قيمة الاتحاد العربي في الميدان الدولي

•

من اقوال العرب المأثورة ان ما من محنة الا في طيّها منحة•ويصدق هذا القول على المحنة التي اجتازها العالم العربي على اثر العدوان البريطاني الفرنسي الاسرائيلي على مصر • فقد نبهت هذه الحوادث المؤلمة الروح العربية الى كثير من الامور واخذ العرب يحسبون لها حسابا بعد ان كانت مهملة • واني اكتفي بذكر بعض من هذه العبر راجيا ان يعيرها العرب ما تستحق من الاهتمام والالتفات •

لقد أيقظت هذه المحنة اهمية الاتحاد العربي لا في مجابهة القضايا العربية فحسب ، بل في طبع المستقبل العربي الذي يصبو اليه العرب افراداودولا وشعوبا • فقد ظهر جليا ان الدول العربية ستبقى ضعيفة ما دامت متفرقة ، وانها لن تستكمل قواها الا بالاتحاد ـ ستراتيجيا واقتصاديا ودبلوماسيا •

فمن الناحية الستراتيجية نجد ان رقعة كل بلد عربي على حدة تشكل خطرا على سائر البلدان العربية من ناحية ، وخطرا على كيانه هو من الناحية الاخرى • فقد اثبت التاريخ مرارا وتكرارا، مثلا ، صحة النظرية القائلة بأن التحكم في شؤون مصر لا يتم الا من قاعدة سورية(١) ، ومن هنا يتضح لنا خطر اسرائيل الدائم على مصر ، كما أثبت صحة النظرية القائلة بان سلامة الهلال الخصيب لا تتم الا بسلامة الجانب الشرقي من الاردن • وقد تجلت هذه الحقيقة بوضوح في أثناء المحنة الاخيرة ووضحت كما وضحت الناحية الايجابية من الامر ، أي ان البلاد العربية تكوّن وحدة جغرافية ستراتيجية تتحكم في البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر من ناحية ، وفي الخليج الفارسي والمحيط الهندي من ناحية اخرى ، كما تسيطر على الطريق البرية بين كل من افريقية وآسية واوربا • هذا المركز الستراتيجي العظيم لا قيمة له اذا بقيت الدول العربية متباعدة ، ويستحيل الى قوة هائلة خلاقة اذا تقاربت واتحدت واستغلت هذه الرقعة كما يجب في خدمة شعوبها وفي تعزيز المواصلات بين الشرق والغرب•

وتأتي الناحية الاقتصادية مكملة للناحية الستراتيجية في هذا الامر • فقد وضح للعرب وللعالم اجمع ، كذلك ، ان ثروة العرب البترولية ، مثلا ، قليلة الفائدة عديمة الاثر ، لا بل تكون خطرا يهدد سلامة كل بلد عربي ، اذا بقيت الرقعة العربية متباعدة الاقطار ، متنافرة الاهداف ، مقطعة الاوصال • اما اذا تقاربت وتكتلت ونسقت لهذه الثروة سياسة موحدة رشيدة ، تستحيل هذه الثروة الى قوة هائلة لرفاه العرب ووسيلة فعالة للذود عن حقوقهم في الميدان الدولي •

واخيرا حملت هذه المحنة القاسية للعرب منحة اخرى ، اذا ادركوا كنهها وبادروا الى استغلالها عادت عليهم بخير وافر ومستقبل عظيم في الميدان الدبلوماسي • فللدول العربية اليوم عشرة وفود في هيئة الدول المتحدة • وقد يصبح هذا العدد اثنتي عشرة عندما يتكامل استقلال الشمال الافريقي قيمة هذه الوفود في الميزان الدولي بنسبة تضامنها واتحادها ، ولا وزن لها دوليا متفرقة ـ كل على حدة ـ وقد ظهرت هذه الحقيقة بوضوح اكثر من مرة منذ قيام هيئة الدول المتحدة•واذ كانت شؤون العالم اليوم قائمة على المساومات الدولية يتبين لنا مقدار الطاقة العربية في هذا المضمار ، اذا كانت متحدة ، وخاصة بعد ان أثمر التعاون الوثيق بين كتلة الدول الافريقية والاسيوية وظهرت هذه الثمرة في اجتماعات الدول المتحدة الاخيرة • فيجدر بالعرب ان يعيروا هذه الناحية انتباههم لاستخلاص الحق لانفسهم ومساندته لدى الغير ، لان الحق واحد لا يتجزأ في كل بلد من بلاد العالم الواحد •

نبيه أمين فارس

---

(١) بالمعنى الجغرافي بما في ذلك لبنان وفلسطين وشرق الاردن •

الطيف

° °°

أعطي قليلا واستردا ... ودنا على حذر وصدّا
طيف ألمّ وليلتي ... رفعت من الظلماء بندا
فأطل مثل البدر من ... خلل السحاب اذا تبدّى
يا روعة لما تمثل ... بالعراء وماس قدا
عارٍ من الاثواب كاسٍ ... من معاني الحسن بردا
أرأيت دمية مرمر ... ترتج رانفة ونهدا
وجه تلألأ مشرقا ... كالسيف ماء أو فرندا
أخفى بمنشور الذوائب ... من محاسنه وأبدى
غالطت نفسي واتهمت ... العين حينا اذ تصدّى

* * *

ما شأنه ماذا يريد ... وما عساه يروم قصدا
أأتى لبنظر كيف أمضي ... ليلتي همّا وسهدا
كبدي تسيل من الجراح ... ومقلتي بالدمع تندى
وجوانحي تنفضُ من ... عصف الهوى عقدا فعقدا
أم جاء يعبث والهوى ... أضحى بحمد الله جدا
ان كان يعتقد الهوى ... طفلا فقد بلغ الاشدا
والله ما ضيعت عهد ... الحب منذ قطعت عهدا
اني اذن خنت الصبابة ... والغرام وجئت ادًّا

* * *

حيّ وطأطأ رأسه ... وخطا اليّ ومد زندا
يرنو وأرنو والعيون ... تجاوبت أخذا وردا
أنا ما بعدت دنا اليّ ... فان دنوت عدا وشدًّا
يعطو اليّ بجيده ... ويدير لي خدا فخدا
فاذا هممت به تراجع ... ضاحكا مني وندا
كتمنع الحسناء اذ ... عمدت الى الادلال عمدا
ولو اعتلقت الخد منه ... جنيت تفاحا ووردا
ما زال بي حتى لقد ... أغرى الصبابة بل تحدى
داورته بالرفق لا ... آلو لو ان الرفق أجدى

ومددت أشراك التآلف ... والرياض اليه ممدًّا
وختلته بحبائلي ... وأرغته عكسا وطردا
وسعيت لاستغوائه ... فاذا به بالغي أهدى
ما كنت أعلم أنه ... أقوى يدا وأعز جندا

* * *

سحر العيون فأخطأت ... قيدا لموقعه وحدا
كالشمس تحسبها دنت ... للغرب وهي أشد بعدا
اني عييت بأمره ... ولقيت مؤتلفا وضدا
قربا وبعدا وهو لم ... يبرح ووجدانا وفقدا
فكأن من دون البلوغ ... اليه هاوية وسدا
وأرى الطوارق بعده ... ماء ولكن لا كصدًّا

* * *

هل كان في المامه ... غير الاسى والسهد أسدى
أغرى وحرّض لوعة ... وثابة واهتاج وجدا
أورى وأرث جمرة ... بين الجوانح ليس تهدا
ترك النوازي في فؤادي ... تنبري جزرا ومدا
ملك الفؤاد فقاده ... وبمسكة العقل استبدا
فلكم دعوت فما استجاب ... ولو دعوت صفا لردا
وكم ابتغيت له الوسيلة ... علّه يعطي فأكدى
وكم استلنت فؤاده ... يا للعواطف ما أشدًّا
ولو استلنت بما أعالجه ... به لألنت صلدا
فلقد جعلتُ حشاشتي ... مرعى له والدمع وردا
ما زلت استدينه وهو ... يلج اعراضا وحردا
حتى ارتميت وليس بي ... رمق وقد جاوزت جهدا
وسقطتُ مخذول القوى ... كالطير عن فنن تردّى
أهوى عليّ وضمني ... وأباح من شفتيه شهدا
ما الرفد للمحروم حين ... يجود بالانفاس رفدا

دمشق

خليل مردم بك

أعبث ... ام هناك غاية

بقلم الدكتور كمال الحاج

*

اذا كنا لا نستجمع قوى الفكر، بغية فهم الانسان الذي يحمل في جسمه ، وقلبه ، وعقله ، كل ما ينطوي عليه الكون العام — فمن المستحيل ان نصل الى معرفة هذا المخلوق بصورة شاملة .

لكأنه ابن العبث الاكبر . والعبث ، ان صح وجوده ، هو انقلاب للوحة القيم ... هو تحطيم ، على بلاطات العدم ، لكل مشروع انساني . به تلاقي الامور حتفها في التلاشي الضائع . وهكذا تبين لنا الحياة وليدة المصادفة الغاشمة .

ولكن العبث غير حاصل . العبث ابن العاطفة الراسبة في الامتحان . كفى ان يعرف الانسان ... او ان يحن الى المعرفة ... ليبطل العبث ، وتلغى المصادفة . المعرفة ، اواعية كانت ام لا واعية (اعني أمحللة كانت أم غير محللة) ترفض ان لا يأتي الشيء في مركزه . ترفض ان تكون عشوائية نظم الطبيعة والانسان . نظمها ، عندها ، ليست كما يعن على البال ... او يحلو للخاطر . اذ لاحداث التاريخ ، الظاهر منه والباطن ، دوزان حكيم نجهل معظم الحانه ، لاننا لا نهتم بغير الدقيقة التي نعيش فيها . العبث نظام محجوب عن وعينا ، المصادفة منطق مخبوء .

كم وكم من الناس مروا — منذ القديم — تحت قبة السماء ، دون ان يلتفت واحد منهم الى فوق . لقد ظلت البشرية تروح ، وتجيء ، مئات بل الوفا من الاجيال ... وعيونها الرمداء عالقة في التراب ، كأنه الصمغ اللازق .
أكانت تعرف لماذا تقع التفاحة من اعلى الى ادنى ؟ قالت ، في كل مرة ، هو العبث العامل .

وذات يوم مر عبقري . مثله كالناس ، باديء بدء ، ينظر كما ينظرون الى الارض الدابقة ولكنه عبقري في قرارة ذاته ، يمتد بداخله الى ما وراء الباطن . لقد كان يداعب لاواعيا نظم الكون المحجوبة . كأن يلامسها بامتدادات ذهنه الراشح . أجل ، ذات يوم — والناس يعتبرون واقع الامر عبثا — سقطت تفاحة على راس ذاك العبقري ، فكان سؤاله : لمَ سقطت التفاحة ، في حينها ذاك ؟ وكان الجواب : هي الجاذبية التي تبطل عشائرية المصادفة .

نادى الغيب هذا العبقري الذي تطلع . وكانت نفسه قابلة ، فالتقطت — بعد سقوط التفاحة — نظاما صارما ، كما تلتقط عدسة الآلة مشاهد الطبيعة . اذا فقدت تلك العدسة من باطن الانسان ، بان الكون خبطا عشوائيا . بانت حوادثه مصادفة . وعبثا يمر الناس فوق النظام ، وتحته ، وعن جوانبه ، فهو يظل عالقا بسقف المجهول ، حتى ينظر اليه بمكبر حساس العدسة .

العبث لا يمكن ان يكون ، لانه بحاجة الى المعرفة ليقيم عبثا ... ليقال عنه انه العبث ... وهذا حكم واع يتنافى مع حقيقة العبث . العبث لا معرفة ، فكيف نقول به ؟ ولكي نقول به يجب علينا ان نعرفه ، والمعرفة لاغية للعبث . المعرفة تعرف ذاتها عابثة ، وبهذا لا تعود عابثة . فحواه ان العبث لا يبقى عبثا يوم يعرف انه عبث . ان الحكم عليه ، بانه عبث ، يقيّمه . والقيمة ارسال الشيء نحو غاية معينة ، أي نحو تنظيمه .

قد تعبث المعرفة بشيء مادي ، فتخربه . قد تعبث بامور اجتماعية ، فتبطلها . ولكنها لا تقوى ، في النهاية ، على ان تعبث بنفسها . هذا من ربع المستحيل . المعرفة تحديد ، والتحديد يقوم على وضع الشيء في مركزه . وهذا عينه ابطال للعبث المخرّب .

المعرفة مركوزة في عنق الانسان . وهي قوة كاشفة . بها يتسق اللاشيء ، وينتظم الجنون ، فتتفهرس الامور بابا بابا . المعرفة تضع كل شيء في نصابه . وهذا معناه انه مسدد نحو غاية ... الى فوق او الى تحت . اذ المعرفة لا تصف لاجل الوصف . المعرفة المعرفة تقيّم كل ما يقع تحت ضوئها .

ان العلماء ، الذين يتحاشون الجدل والنزاع ، يرغبون في ان تكون المعرفة واصفة . لقد تمرسوا بالمناهج الاختبارية . ولهذا يريدون العقل غير متحيز ، كي يتسنى لهم الوصول الى الواقع الصراح . قد تنجح تلك المعرفة ، الواصفة ، في ميدان المادة . ولكنها ، في شاسعات الباطن ، لا تستطيع ان تقف مكتوفة اليدين امام الوجدان . هي لا تصف هنا الا لتنزل الموصوف — جملة — في باب الحسن ، او في باب القبيح . وبذلك ينتفي العبث المجنون .

المعرفة وليدة الوحدة . الجزء ، باعتبار كونه جزءا ، لا يعين على المعرفة . ذلك لان المعرفة فعل يقوم على ارجاع الخاص الى العام ... على ربط النسبي بالمطلق ... على ادراج المفرد في الجمع . حينذاك يبين المعنى ، ويتضح المقصد .

لنضرب مثلا على ذلك . الطاولة . لا معنى لها الا بالنسبة الى وجود اخر ، هو الانسان الذي يعنّي . لا قيمة لها في ذاتها . قيمتها في انها تلبي حاجة الانسان . في انها وحدة . هي الطاولة رمةً . اما اذا فكفكت ... أي اذا تخلعت اجزاؤها بعضها عن بعض ... فانها تفقد معناها . الجزء منها لا قيمة له ، بذات ذاته ، الا اذا لبى حاجة من حاجات الانسان . حينئذ يبطل جزءا ، ليعود وحدة . قد تقوم خشبة من الطاولة ، باحد اغراض الانسان ، فتقيّم . ولكنها لا تقيّم ، اذ ذاك ، كخشبة من الطاولة ... اي كجزء منها ... بل تأخذ معنى الوحدة . تقيّم كشيء مستقل عن الطاولة ، يرتبط رأسا بمجموع الانسان .

لا قيمة للجزء على حدة . الحجر ، لا معنى له ، منفصلا عن البناء . هو يستمد معناه ، من وحدة البناء ، التي تعكس غاية في الانسان ... من انه حجر في بناء.. من انه ذو علاقة بغيره من الحجارة، التي تكوّن وحدة البناء. على ضوء هذه الوحدة (التي هي صورة عما يريده الانسان) يقيّم الحجر ، ويضفي عليه معنى . يبوّب . يفهرس . يجدول . لا قيمة للسكين كسكين ، اي كجزء . قيمته بالنسبة الى وحدة العمل ، التي يقوم بها . هو للخير ، او للشر ، وفق الغرض الذي يحققه للانسان . يفقد معناه ، وتبطل كل قيمة فيه ، اذا بقي جزءا ... اي اذا بقي خارج شبكة اعم ، يدرج في صلبها ، تحت عنوان اكبر .

نتابع ضرب الامثلة . لا معنى للكلمة ، اذا بقيت خارج الجملة . الجملة ، كوحدة بيانية ، هي التي تعطي الكلمة معنى مفيدا . وهل الاعراب ، الذي تقوم عليه الجملة ، الا ربط الكلمات بعضها برقاب بعض ؟ اذا كانت الكلمة في عينها (اي كجزء) ذات معنى مفيد ... فلانها تتناول كوحدة . لا معنى للحرف الا في ما هو اشمل ، اي الكلمة . ولا معنى للكلمة الا في ما هو اشمل ، اي الجملة . ولا معنى للجملة الا في ما هو اشمل ، اي البيان . ولا معنى للبيان الا في ما هو اشمل ، اي الانسان مصدر بيان .

لا معنى للوحة الفنان ، اذا دنونا كثيرا ، حتى لمس خامها . ان الذي يبين لنا منها ، ساعة ننظر اليها عن كثب، هو اجزاء مفككة . البرواز يبين على حدة . والقماش على حدة . والمسامير على حدة . والالوان على حدة . تبين اللوحة كأنها تمريغ اصباغ بصورة عشوائية . اما اذا باعدنا بضعة رماح ، بيننا وبينها ، فاننا نلتقطها في وحدة بنائها . اذ ذاك يبين مقصد الفنان . تبين العلاقات الكائنة بين الاجزاء . اذ ذاك تعرف انها مفيدة . انها تعني شيئا . الفحوى ملتقى هذه العلاقات ، من بعيد ، ومن عل .

الشجرة لا قيمة لها في ذاتها . قيمتها في وحدة الطبيعة . في انها كلٌ ضمن كلٍّ . في انها مرتبطة بالهواء الذي يحيط بها ... وبالارض التي تحوشها ... وبالماء الذي ينمّيها ... وبالشمس التي تنعشها ... وبالتفاحة التي هي خلاصة كل هذا ... واخيرا بالانسان الذي يشتهيها . لو قطعت الشجرة عن تلك الوحدة الاعم ... لو لم يعد هناك ارض ، وماء ، وشمس ، وتفاحة ، وانسان يقيّم ... هل يبقى للشجرة ، كجزء مبتور ، من فحوى مفيد ؟ من غاية منظمة ؟

من اجمل ما خطه برغسون ، بهذا الصدد ، ما جاء في الخطبة التالية، التي القاها على بعض الطلاب، قال ما فحواه: من الحسن ان يحصر الانسان علمه في جهة واحدة ، والا جهل كل الجهات الباقية . ولكنه لا يستطيع ان يكتفي بالتخصص . هو يبدأ ــ كما بدات الانسانية قبله ــ بطموح نبيل ، ساذج ، الى ان يعرف الاشياء كلها . والحق اننا لا نتوصل الى معرفة شيء واحد ، تمام المعرفة ، الا اذا احطنا الاشياء الاخرى بنظرة عامة ، ترينا كيف يرتبط هذا الشيء بالاشياء الباقية . هل بمقدور احدنا ان يقول ، مثلا ، انه يعرف البناء لمجرد النظر الى كل حجر بمفرده ، رغم انه لا يجد غير حجارة في هذا البناء ؟ كلا . ذلك لان البناء فن تنظيم . واهم شيء في معرفتنا لهذا البناء ، يقوم ــ لا على ان نعرف كل حجر بمعزل عن سواه ــ بل على ان نعرف المركز الذي يشغله كل حجر بالنسبة الى غيره .

لقد استعملتم المجاهر ، في مختبراتكم ، ايها الطلاب . ونظرتم الى قسيمات زجاجية ، وضعت في علب تضم كل علبة منها جسما حيوانيا . فاذا اخذتم قسيمة ما ، ونظرتم اليها بامعان ، رأيتم انبوبا مخططا الى عدة مناطق . انزعوا الزجاجة ، بعد ذلك ، وانظروا الى كل خلية على حدة . ماذا ترون؟

اذا كنتم تريدون ان تعرفوا هذا الشيء ، معرفة كاملة ، يجب عليكم ان تطرحوا المجاهر جانبا ... وان تنظروا باعينكم المجردة الى مجمل اقدام هذا العنكبوت البشع . لقد جزأنا هذا الواقع الى قسيمات ، ونظرنا اليه بالمجهر ، ثم فحصنا الاجزاء ، دون ان نشمل بنظرنا . وهي طريقة مستحبة ، لكنها لا تجعلنا نعرف حقيقة ما ننظر اليه . من المستحسن اذن ان يتخصص المرء ، في علم من العلوم ، بعد ان يقف على الباقي وقوفا شبيعا . قد يطول به الوقت ، ليتخصص هكذا ، ولكنه يتقدم بسرعة اكثر . نحن نصل الى الرشاقة اليدوية ، اذا حصرنا كل قوانا فيها. ولكننا لا ننمي الملكة العقلية ، انماء كاملا ، الا اذا تعهدنا القوى الباقية ايضا .

هذا مع الاعتراف بان ثمة قوة واحدة ، فقط ،تتحكم بسواها . بيد انها لا ترفع عاليا ، الا على اكتاف غيرها . هي تشبه ، في الجوقة الموسيقية ، العازف Solo الذي يسيطر بآلته على مجموع الآلات الاخرى ، بحيث اننا لا نسمع الاها . ولكنه عاجز عن اكتساح مشاعرنا ، اذا لم ترافقه الآلات العازفة الباقية . بهذا يتميز الانسان عن الحيوان ، الذي لا يتقن غير عمل واحد . فها هو النحل ، الذي اوجد حلا لاصعب مسالة في علم حساب المثلثات . ولكنه عجز عن ان يحل سواها . اما الانسان ، فانه لم يتوصل الى ما هو عليه من المعرفة ، الا بفضل تشعبه في نواح عدة . حال كون الحيوان يتقلص ادراكه ، رويدا رويدا ، ويتضاءل ضمن حدود التخصص .

الانسان ، إذن ، هو مصدر التقييم . والقيمة ، كما قلناه ، تلغي العبث الذي لا يبين الا في الحالات اليائسة ... اي السلبية . في اليأس يبين كل شيء عبثا ... باطلا .. يبين لا معنى له . وما ذلك الا لان الحالات السلبية تكسّر هذا الوجود الى قسيمات . تعيده الى اجزاء مخلعة ، لا يرتبط بعضها ببعض . تفرفطه . وقد اظهرنا كيف ان الجزء ، في ذات ذاته ، لا معنى له اطلاقا . هو باطل . وما العبث الا الباطل الذي لا فائدة منه .

نقول ، والحالة هذه ، بان الشيء الذي يعتبر جزءا ، لا يكون له معنى . لا يكون له قيمة . هو بدون غاية . هو عبث، اي باطل . اما الشيء الذي يعتبر وحدة ، فله قيمة. له معنى . هو ذو غاية مفيدة . تلك الوحدة ، التي تعطيه معنى من المعانى ، تأتيه من فوق ... من الانسان . ولا عجب ، فالمقيّم اعلى من الشيء المقيَّم .

على صعيد الانسان ، يمكن اللجوء الى القول ذاته . ان عملا يقوم به الانسان ، لا يبين معناه الحق ... معناه الاكبر الصامد ... الا على ضوء وحدة اعمال الانسان كلها . اذ لا قيمة للعمل ، في حد ذاته ... او بالاحرى ان له قيمة صغرى . والقيمة الصغرى هذه لا تكون الا في الحاضر . والحاضر يضمحل مع الزمن . هو فان وذاهب مع الريح . ولذا يبين باطلا ، في النهاية ، وعبثا . يبين بلا قيمة ، ولا معنى . يبين حالة سلبية ، اي فعلا ضائعا ،

وتشهيا خاسرا .

ولقد وقع الكثيرون في مثل هذه الحالات اليائسة... أعني السلبية المكسّرة ... التي بان لهم الوجود فيها بدون غاية . بان لهم باطلا . وما لنا الا ان نفتح الجامعة لسليمان الحكيم ، لنقرأ ما يلي : باطل الاباطيل كل شيء باطل . أي فائدة للبشر من جميع تعبهم ، الذي يعانونه تحت الشمس . جيل يمضي وجيل يأتي ، والارض قائمة مدى الدهر . والشمس تشرق والشمس تغرب ، ثم تسرع الى موضعها ، الذي طلعت منه . تذهب الريح الى الجنوب ، وتدور الى الشمال . تدور وتطوّف في مسيرها ثم الى مداورها تعود الريح . جميع الانهار تجري الى البحر، والبحر ليس بملآن ، ثم الى الموضع الذي جرت منه الانهار . الى هناك تعود لتجري ايضا . جميع الامور تعيي ، فلا يستطيع الانسان ان يشرحها . لا تشبع العين من النظر، ولا تمتلىء الاذن من السماع . ما كان فهو الذي سيكون ، وما صنع فهو الذي سيصنع . ليس تحت الشمس شيء جديد . وقال ابن سينا في قصيدته ، التي عنوانها فلسفة العمر ، ما يلي :

جولت في هذه الدنيا وزخرفها
عيني ، فالفيت دارا ما بها ارم :
كجيفة دودت ، فالدود منشؤه
فيها ، ومنها له الارزاء والطعم !

وروى الجاحظ قال : وجد مكتوبا على حجر : ابن آدم . لو رأيت يسير ما بقي من اجلك . لزهدت في طول ما ترجو من املك . ولرغبت في الزيادة من عملك . ولقصرت عن حرصك وميلك . وانما يلقاك غدا ندمك . وقد زلّت بك قدمك . واسلمك اهلك وحشمك . وتبرأ منك القريب . وانصرف عنك الحبيب . فلا انت في عملك زائد . ولا الى اهلك عائد .

أين الخطأ في مثل هذه الاقوال ؟

الخطأ كائن في ان هؤلاء لم ينظروا الى الحياة الا كمجموعة من الاعمال المفككة .. من الاعمال المبتورة بعضها عن بعض . لا وصلة فيما بينها ، على حين ان العمل الفرد ، يرتبط بسابق له وبلاحق . السابق يرتبط بسابق يرتبط هو ايضا بسابق . واللاحق يرتبط بلاحق يرتبط هو ايضا بلاحق. وهكذا دواليك ، حتى نأتي على اخر سلسلة الاعمال كلها ، في حياة الانسان . اذ ذاك يبين لنا المعنى الاكبر . تبين لنا الغاية البعيدة .

نقول ، على هذا الضوء ، ان الانسان يظل تاريخا مفتوحا ... قابلا للتغيير والتبديل ... حتى يدرك الساعة الاخيرة ، التي يختم بها اعماله البشرية . حينذاك يتعرى من الجزئيات ، ليظهر وحدة كاملة ذات مغزى . حينذاك يبطل العبث ، وتندحر المصادفة . ومن هنا عظمة الموت ، الذي هو تمام الانسان ، وكماله . تمامه لانه يختم به دائرة وجوده ... وكماله لانه ينفي به عنه النقص ، الذي يأتيه من أعماله الجزئية .

لو بقي الانسان في قيد الحياة ... أي لو بقي تاريخا مفتوحا ... لظلت اعماله مخلعة بعضها عن بعض . لما بان منها المعنى الاكبر ، الذي يجعل الانسان ذا غاية . ولهذا تظهر لنا الحياة باطلة ، على صعيد الاعمال المجزأة . تظهر لنا بنت الزمان الهروب ... بنت الزمان اللاغي . ولكن الموت يتلافى كل هذا . يوقف الزمان ، فلا يعود الانسان

تاريخا مفتوحا . وبوقف التجزئة ، فلا يعود الانسان اعمالا مكسّرة . يصبح وحدة ، والوحدة هي دائما ذات معنى . . . ذات مقصد .

ما لذي يحدو القائد الفرنسي — مثلا — على الانحناء بجلال امام نعش القائد الالماني ، الذي كان خصمه في ساحة الوغى ؟ ينحني امام نعشه اكراما ، وتقديرا ، لا لكونه القائد الالماني ، الذي طوله كذا ، وعرضه كذا ، ولون شعره كذا ، وجنسيته كذا . . . والذي حاول ان يقتل ، فلم يفلح . كل هذه الافعال اجزاء مفككة . جاء الموت فاتمه ، واكمله . بعده بان القائد الالماني في جلاء وحدته ، بانت انسانيته . لقد اصبح عبرة ، والعبرة دلالة ، والدلالة ايماء الى غاية .

جاء في الاغاني : لما راى الفلاسفة تابوت الاسكندر ، وقد أخرج ليدفن ، قال بعضهم : كان الملك امس أهيب منه اليوم . وهو اليوم اوعظ منه امس . وقال اخر : سكنت حركة الملك في لذّاته . وقد حركنا اليوم في سكونه جزعا لفقده . وهذان المعنيان اخذهما ابو العتاهية برثاء ابنه علي . قال :

بكيتك يا علي بدمع عيني ... فما اغنى البكاء عليك شيا
وكانت في حياتك لي عظات ... وانت اليوم اوعظ منك حيا

ومما وجد على قبر :

تناجيك اجداث وهن سكوت ... وسكانها تحت التراب خفوت
ايا جامع الدنيا لغير بلاغة ... لمن تجمع الدنيا وانت تموت

بالموت لا يعود للممكن مجال حدوث . به يتم النسج على منوال الزمان ، فيبين الثوب كله . به لا يعود هناك مستقبل . ولكن ما دام الانسان حيا . . . ما دام كناية عن باب مفتوح . . . عن نول قابل لمجيء الحوك وذهابه . . . ما دام تهيئا دائما لان يكون من جديد ما لم يكنه قبلا . . . لا يجوز لنا القول بانه الى تحت ، أو الى فوق . تظل اعماله الماضية كلها قابلة للتقييم ، خيرا او شرا ، بموجب اللون الذي يضفيه عليها عمله الاخير . بالموت يتركز الانسان نهائيا في مجاله الاكبر . بالموت يبطل المستقبل ، الذي هو مشروع مفتوح دائما . به يقفل الباب ، ويختم عليه . هنا تدخل الاعمال الجزئية ، التي يكون الانسان قد قام بها ، في اطار تلك الوحدة الكبرى . أعني في انسانية الانسان .

كلنا نعرف حكاية اللص الذي صلب مع المسيح . هذا اللص كان لصا في حياته . . . لصا في رأي مجتمعه . ولم يكن احد ينتظر خروجه ناصعا . ولكن ما من احد جرؤ على القول بان هذا اللص لص نهائي . ذلك لان تاريخه كان مفتوحا بعد . . . أي قابلا ، وهو في قيد الحياة ، للتقييم من جديد . كان المستقبل امامه ، والمستقبل خلاق يضفي على اعمال الماضي معناها الاخير . تاريخه ما زال عاملا . ما زال قوة فاعلة .

الواقع ان هذا اللص لم ينه حياته باللصوصية . لقد ختمها بما نعرف عنه . ختمها بالتوبة . أجل ، لقد تاب على خشبة الصليب ، وطلب المغفرة . ماذا كان جواب المسيح له ؟ ستكون معي ، الليلة هذه ، في الفردوس . اضفت تلك الهنيهة الاخيرة ، من حياته ، معنى الفضيلة على ماجريات ماضيه . . . فضيلة صبغ لونها الخاص جميع ما قام به من لصوصية . على خشبة الصليب اكتملت وحدة كيانه . ختم عهده . اقفل بابه . لم يعد لتاريخه من آت . اذ ذاك اصبح ممكنا اطلاق حكم عليه . لقد بطلت اعماله عن ان تكون اجزاء مخلعة ، مكسّرة . صارت وحدة ذات معنى ، وهدفا ، ومقصدا .

وهكذا قل عن الحركات الاجتماعية الكبيرة . فقد تفشل حركة سياسية ، في حينها ، وتنجح على مر الزمان . او تنجح ، في حينها ، وتفشل على مر الزمان . المهم كيف ينتهي الانسان . كيف تنتهي الحركة . النهاية هي التي تعطي الوحدة . ومن هنا قول تشرشل : ليس المهم ، في الصراع ، كسب المعارك بل كسب الحرب . أجل ، الحرب وحدة ، والمعارك مراحل منفصلة بعضها عن بعض . فالذي يربح المعارك ، ويخسر الحرب ، يكون خاسرا . والذي يخسر المعارك ، ويربح الحرب ، يكون رابحا . الوحدة هي التي تضفي على الاجزاء المعنى الاخير ، اي القصد الاكبر .

نلخص ، اذن ، ما عرضناه حتى الان . ان العبث غير كائن ، لانه يتنافى مع المعرفة . . . لانه اللانظام ، والمعرفة نظام . وهي مركوزة نهائيا في قلب الانسان ، مما يحدو على القول بانها جوهر ، والعبث عرض .

معنى هذا ان التقييم ، الذي هو معرفة ، يصدر عن الانسان . الانسان هو الذي يقيّم البرانيات . لا نظام في الخارج . . . لا قيمة . . . لا غاية . . . الا عن طريق الانسان . به تتسق الاشياء ، وتتساوق . به يدخل التقييم في العالم الخارجي . لولاه ما استطاع الكون المادي ان يكون ذا دلالة .

والقيمة لا تضفي الا على الوحدة . الشيء ، باعتباره جزءا ، لا معنى له . هو الانحدار الى السلب . الايجابية لا تكون الا في الوحدة . في الطاولة ككل . في السيارة ككل . في المسكن ككل . اما اذا تجزأ الشيء الى كسيرات مخلعة ، فانه يفقد قيمته ، لانه لا يعود مفيدا .

وهكذا اعمال الانسان . . . الافكار ، والارادات ، والمشاعر . لا قيمة لها الا عندما ينهي الانسان خطه الاكبر ، الذي ينطلق من المهد الى اللحد . العمل ، باعتباره جزءا ، لا قيمة له . انه باطل يذهب مع الريح . العبرة هي في مجمل حياة الانسان ، باعتبارها وحدة كاملة .

★ ★ ★

يبقى ان نطرح السؤال التالي : ما دامت المادة تستمد قيمة وحدتها من الانسان ، الذي يتمتع بالفوقية . . . من جهة النوع . . . فمن اين يستمد الانسان قيمة وحدته ؟ هل هناك مصدر فوقي يضفي على الانسان قيمته ، فيصبح له غاية ؟

نقول بان مثل الانسان كمثل المادة ، من هذا القبيل . هو بحاجة الى مصدر فوقي ليكون له قيمة . لولا هذا المصدر ما تساوقت اعماله ، متجهة نحو غاية واحدة ، سامية ، هي ما نسميها الله . ولكن هناك من لا يؤمن بوجود ذاك المصدر الفوقي ، نعني بوجود الله . ذلك هو الالحاد الذي ينتاب عصرنا الحاضر .

لا نود ان نتطرق هنا الى الالحاد ، الذي ينتج عن كون العقل البشري — اي العلم الاختباري — لا يستطيع ان يبرهن عن وجود الله . لقد افلس هذا الالحاد ، لان العلم ذاته يبين لنا (يوما بعد يوم) ان هناك عقدا كثيرة لا يقوى

على حلها . ان كل عالم يلجه العلم يوجد معه عدة عوالم مجهولة . أضف الى ذلك ان العلم لم ينه مركاضه ، في مدى الغيب ، كي يسمح ايجابيا لنفسه ان يطلق حكما مبرما على الله . ما زال العلم في مرحلة الجزئيات ، وبت معضلة الله قضية كلية دفعة.

يبقى الالحاد، الذي يتزعمه الفيلسوف جان بول سارتر ، وهو بدون شك اعنف بكثير من الالحاد السابق . هذا الالحاد السلرتري ، الذي يمكن تسميته بالايمان المتكابر، لا ينظر الى الله كقضية تستحق العناية . فقد يكون الله موجودا ، وقد لا يكون . المهم ، في نظره ، ان الانسان حاكم ذاته . سيد ذاته . خالق ذاته . الانسان لا يعود في وجوده الى جوهر عام ، سابق له ، مطلق ، متسام عليه . هو لا يكتسب وحدته ، من كائن فوقي ، قبله في الزمان واللازمان . الانسان في بدء مما هو . وما هو (اي ماهيته) يقوم على انه يتكون ، وينحل باستمرار ، وينزع لا جبريا بصورة متدرجة الى التكون التام .

ان الانسان لا يكون شيئا كاملا ، منذ بدء وجوده ، لنرجعه الى الله . هذا الارجاع يفرض عليه ان يكون شيئا كاملا ، منذ البدء . في حين ان تمامه ، وكماله ، لا يحصلان الا في النهاية . هناك بلا ريب ، نوع من الكمال النسبي . ولكن الانسان لا يدعي الكمال هذا ، تاما ، الا في اخر المركاض ... أي في النهاية القصوى من حياته . يقول سارتر في L'Existentialisme est un Humanisme بان الانسان يوجد ، قبل كل شيء . يلقي بذاته ، اولا ، في خضم الوجود ، ويبرز الى العالم ... ومن ثم يعرف ذاته . وهذا يعني ان لا وجود لجوهر انساني عام ، شامل ، سابق للوجود . ذلك لانه لا وجود لاله يمكن ان نتصوره .

الانسان موجود لا جوهر له . لم يكن الانسان شيئا قبل ان يكون . هو الوجود ، الذي يريد وجوده ، بعد الوجود . هو ، منذ البدء ، مشروع وجود منفتح دائما . يعيش وجوده منطلقا من وجوده ، اذ لا شيء يوجد ، في عالم المثل ، قبل ذلك المشروع . الوجود ، على صعيد الانسان ، هو الذي يفرز الجوهر ... اي ان الانسان يكون بحسب ما يشرعه لذاته . واذا كان الانسان ، في نظر سارتر ، غير قابل للتحديد . فلانه عدم في البدء ، اي لا شيء قبل ان يكون . الانسان اولا ، ثم الانسانية بعد ذلك .

ماذا نستنتج من هذا ؟ نستنتج ان اعمال الانسان تكون خيرا ، او شرا ، في بدء من الانسان ذاته . هو الحر المطلق . هو الذي يقيّم افعاله . اذ اي معنى يكون للمسؤولية الكبرى ، التي يجب ان يكونها الانسان ، اذا كانت مقيدة بارادة الله ؟ الانسان هو المسؤول المطلق ، عن وجوده التام، أكان الله كائنا ام غير كائن . والمسؤولية المطلقة تفرض الحرية المطلقة . والحرية لا تطلق ، الا اذا كانت بلا قيد ولا غل . اذن الانسان حر تماما ، في الخير الذي يفعله ، وفي الشر الذي يتجنبه . هو باعث الحق ، وهو خالق الباطل .

سؤال نوجهه الى سارتر : اذا كان الانسان هو الذي يهتف هذا خيري ، وهذا شري . اذا كان الانسان هو الذي يقيّم ، بادئا من الانسان ، فيجمّل ويقبّح . اذا كان الانسان وراء الانسان ، أي اذا كان الالف والياء ، في كل ما يفعل . اذا كان هو الذي يقيّم وجوده ، ووحدته ، بعد ان يحصل عليهما من ذاته ... لا نرى ضرورة ، بعد كل ذلك ، الى ان يكون مسؤولا . وحيال من يكون مسؤولا ، ما دام سارتر لا يجعل فوق سقف الانسان سقفا اخر ، يسال ويدين ؟ المسؤولية تفرض سائلا ومسؤولا ، وتفرض ايضا ان يكون السائل فوق المسؤول ، ليكون في الحلال ثواب ، وفي الحرام عقاب .

ما هي الفائدة من وجود خير وشر ، ما دام الانسان لا يعاقب ذاته ، حين يكون في بدء من ذاته ؟ اذن الوجودية السارترية بين واحد من اثنين : اما ان تعيد الله ، ما دامت تؤمن بوجود المسؤولية . واما ان تلغي المسؤولية ، ما دامت لا تؤمن بانبثاق الخير والشر من الله .

ان معضلة الله لا يمكن بتها بمعزل عن فكرة الموت . لو لم يكن الموت لهان الالحاد في نوعيه . لا يعود ، اذ ذاك ، من ضرورة لوجود الله ، ما دام الانسان باقيا في هذه الحياة الدنيا ، يامن شر الفناء . ولهذا كان من واجب الملحد ــ على أقل تقدير ــ ان يتحرر من شوكة الموت ، ليصبح في حل من الله . هذا ما يجب على الملحد ان يفعله ، ليكون منسجما في تفكيره ، والا ظل الحاده وهما . وقد شعر ديكارت ــ هو الذي غررته نفسه ، اكثر من مرة ، ان يتكابر ايضا ــ شعر بضرورة التكبر على الموت ، ليأتي الالحاد منسجما . شعر بان من واجب الملحد (اذا اراد زجر الله ، وشتمه) الا يشك والا يشتهي ، والا يفتقر الى الكمال . شعر بان من واجب الملحد ان يغدق على نفسه الكمال اللامتناهي ، الذي يود لو يكونه ، ولا يكون في النهاية الا ما يكونه بالواقع ، أي نقصا متناهيا .

ما هو امر هين ان يزجر الله من حياة الانسان . ان موته يبطل الانسان ، كما يبطل موت الانسان كل قيمة في المادة . ولذا كان الدين ، في رأي برغسون ، غاية الغايات التي تراود النفس البشرية ، منذ ان سويت نفسا عاقلة . فقد نعثر عبر التاريخ على جماعات او شعوب ، لم يكن لها علم ، ولا فن ، ولا سياسة ، ولا فلسفة . لكننا لن نعثر على شعب من الشعوب ، لم يكن له دين ، يميز فيه بين خير مستحب ، وشر مستقبح ... ويرجع به الى عزة فوقية ، هي الله . عبثا نبحث في مطاوي الاجيال الماضية ، فالانسان لم يفن حياته ، خلف حقيقة ، مثلما أفنى حياته جادا وراء معرفة الله .

لا بد للانسان من مصدر أعلى يعطي لوحدته القيمة الكبرى . ولهذا كانت صورة الله من أقدم الصور في ذاكرة الانسانية . منها تفرعت ، واليها ترد السبل التي نهجها العقل البشري ، في جميع محاولاته الفلسفية . اجل ، ان الله شرش أصيل في الوجدان ، بل شرشه الاول . هذا هو الواقع الاصح ، والواقعية عينها تستلزم المثالية . الواقعية ذاتها توجب قيام فلك اعلى تستمد منه قوتها ، في اتجاهها الصاعد . اذ لا قيمة لواقعية ، من تحت ، لا تهيمن عليها مثالية، من فوق. لا قيمة لارض لا تظللها سماء. ولهذا سيبقى الله . سيبقى فاتحة كل بداية ، وخاتمة كل نهاية ، في اعمال الناس ، ما دامت عقارب الزمان تدور ، وترقم . سيبقى الذي بدونه لا قيمة لوحدة اعمال الانسان.

كمال يوسف الحاج

نشـيـد

O

من مسرحية لم تنشر . رجل عزم على اقتحام صعاب المجهول
معا في التقاط نفحة الابدية يخاطب ضارب قيثار يجوب الافاق باحثـا
عن طرب غير مألوف

O

أيها القيثار
رفرفت نشيداً هائما هلعا
فررت من أوكار
علقوا بها قصيدا رددوه في كعبة الوطن

أيها القيثار
أنت حس مصطفى
ينشد الثمار في سرائر طابت تحت شمس بكر
ما مسها حسبان
أيها المتمرد في وادٍ هان غلقته أسوار الصغار

أيها القيثار
يا أخي في الظما
رجّع أهازيج أنهار صدقت عندها الاساطير
غمرت حلم الاوتار فماجت حرة مرحة
تشيع جهادي في مهاوي قفار
نصبت فيها الاخطار نصيبي الخطير

القــاهرة **بشر فــارس**

من اساطير الاولين

بقلم الامير جعفر الحسني

امين سر المجمع العلمي العربي بدمشق

ο
ο ο

منبج هي اليوم بلدة متواضعة وكانت في العهد الوثني مدينة عظيمة ومقدسة ذات شهرة واسعة وخيرات كثيرة وارزاق وفيرة . تقع في فضاء من الارض بين حلب ونهر الفرات . وهي بلدة البحتري ومن قبله ولد فيها عبد الملك بن صالح الهاشمي ، وكان من اجل قريش ولسان بني العباس ، وبه يضرب المثل في بلاغته وفصاحته، وقد طلب اليه الخليفة الرشيد العباسي ان يصف له منبج فقال : هي بلدة طيبة الهواء قليلة الادواء ، بربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة خضراء ، فيافيها بين قيصوم وشيح وليلها سحر كله .

وكانت منبج في حاضرها كما كانت في ماضيها تثير ابدا اشجان المحبين ويهيج ذكراها الحنين ، وهذا ما جرى لابراهيم بن المدبر فهزه الشوق الى منبج وكان قد فارقها وله فيها جارية يهواها فانشد يقول :

وليلة عين المرج زار خياله ... فهيج لي شوقا وجدد احزاني
فاشرفت اعلى الدير انظر طامحا ... بالمح اماقي وانظر انساني
لعلي ارى ابيات منبج رؤية ... تسكن من وجدي وتكشف اشجاني
فقصر طرفي واستهل بعبرة ... وفديت من لو كان يدري لفداني
ومثله شوقي اليه مقابلي ... وناجاه عني بالضمير وناجاني

لم يبق اليوم من منبج الوثنية ما يدل على اصالة ماضيها وعريق مجدها سوى بقايا اشلاء معالمها القديمة المتناثرة في احيائها وساحاتها او اقحمت في بعض جدران دورها الحديثة ، وهي شواهد ما خلفته معارك الزمن وعبث الانسان وامعانه في دمارها، وستبقى منبج محتفظة باسرار ماضيها الى ان ينبش الاثاريون قصتها فيبعثوا لنا تاريخها فاين هي منبج اليوم من تلك التي تصاولت الى كنوزها اعناق دهاقنة الفرس واباطرة روما وبيزنطيا واثارت اطماع الغزاة وحلت بها بسبب ثروتها النكبات .

ان كانت منبج الوثنية قد عفت آثارها وغاب عنها رسمها فقد خلدت لنا عناية الاقدار من اخبارها ما يثير فضول الباحثين عن اسرارها وبعثها من سباتها . زار قبيل الميلاد الرحالة لسيانوس اليوناني سورية وقصد منبج ووصف صروحها الشامخة ومعابدها الرائعة ، واعجب ببركة اسماكها المقدسة وسرب حمامها المحرمة ، ورأى تزاحم الحجاج في هياكلها الذين قصدوها من اقصى الاقطار السامية على اختلاف نحلهم ولهجاتهم ، وافدين اليها بقلوب خاشعة ، متهادنين فيما بينهم ، متناسين منازعاتهم واحقادهم ليتباركوا برب الارباب حدد وقرينته هيرا ، ونقل ما رواه كهنة معابدها وسدنتها عن مبلغ اعتزازهم بمنزلة معابدهم واجماع الاقطار السامية على احترامها وتقديس اربابها . وهم ينسبون بناء معبد هيرا الى الملكة سميراميس السورية زوجة الملك نينوس الاشوري التي انشات بابل وحدائقها المعلقة ، ويروون الاسباب التي حملتها على هذه المبرة .

نعم الملك نينوس الاشوري بسعادة لم ينعم قبله بمثلها احد من ملوك الارض ، حالفه الحظ في ملكه وصفا له الحكم اذ سعد به شعبه وحمد له حكمه وعدله . ورزق على كبر ولدا وحيدا ، اصبح قبلة انظاره ومحط رجائه ، يشد به ازره ويكون وريث عرشه من بعده . ولكن حياة المرء لا تصفو من نكد ، فقد وقع ما لم يكن حسبانه وحل بوحيده وهو في ريعان صباه سقم انهك قواه والزمه الفراش ، ولم ينجع فيه دواء ، وعجز عن كشف علته احذق الاطباء ، وهو على استفحال مرضه لا يشكو الما ولا يبدو عليه تململ . ولما ساء حاله وبلغ الانحلال غايته ويئس الاطباء عن انتشاله من مخالب الموت كاشفوا والده بالحقيقة وتوسلوا اليه ان يعتصم بالصبر وان يستسلم لمشيئة الآلهة علها تجود بمعجزة من عندها .

قدم على الملك في اشد ساعات يأسه طبيب حنكته طوال التجارب واكسبته علما وزادته خبرة . واسترحم منه ان يسمح له بعيادة المريض علّه يفلح حيث اخفق زملاؤه الاطباء ، ولما فحصه طلب ان يستعرض امام المريض جميع من في القصر من رجال ونساء . وبعد ان تم العرض وهو يراقب خلجات قلبه ، تقدم من الملك واخبره انه اكتشف العلة وان دواءه متعذر النوال ، وقنع الملك ان يصف له الدواء وعليه تأمينه مهما غلا ثمنه وعز مطلبه ، وعندها كاشفه ان مريضه لا يشكو علة في جسمه ليصف له دواء بل علته كامنة في نفسه ، وهو ضحية ما يقاسي فؤاده من الم الوجد وشغف حبه لامراة اسره هواها وصبر على جوى عشقها الذي ينهش احشاءه ويورده حتفه ، وانه عرف التي هام بها وابى ان يفصح عن اسمها رغم الوعد والمغريات التي مناه بها الملك ، ولما لم يستجب الى رغبته هدده وتوعده وعندما امتثل لامر الملك وباح له بان عشيقة ابنه هي زوجة الطبيب نفسه ولذلك لا دواء لدائه . وطلب منه الملك ان يتخلى لابنه عن امراته هذه وهو يعوض له عنها

ما يطلب ويريد في سبيل نجاة وحيده وسلامة ملكه ، وكلما زاد الملك توسلا واغراء زاد الطبيب اعراضا واباء حتى عيل صبره فعزم على انتزاعها منه قسرا ولو كلفه ذلك ضياع ملكه ، وتوسل الطبيب اليه قبل ان يغتصب احب الناس اليه ويقضي بفراقها عليه ان يضع نفسه موضعه وهو سيرضخ بعد ذلك للحكم الذي يرتضيه الملك لنفسه. فاجابه الملك على الفور ان التضحية في سبيل انقاذ نفس بريئة لا توازيها تضحية ولو كان مكانه لما تردد باستجابة رغبة مليكه وراحة ضميره ، وعندها تنفس الطبيب الصعداء وقال له : بما ان هذا حكم مولاي ولا مرد لحكمه فاني ابشره بنجاة المريض وشفائه السريع ، وان المرأة التي تعشقها ابنه وهام بها ليست زوجة الطبيب العجوز بل زوجة ابيه الشابة الملكة سميراميس ، فصعق الملك لهول المفاجئة ولم يمهله القدر ووقعت المعجزة ووافاه الاجل ، ثم انتقل الملك من بعد وفاته الى ولي عهده المريض ، وورث العرش والقصر ومن حوى ، ولازمته سميراميس ارملة ابيه الى ان تعافى وعادت اليه صحته ونضارة فتوته فزف اليها وشاركها تاجه ونعما بنعمة الملك وهناء الحب .

وبعد مضي مدة زفافهما تذكرت الملكة سميراميس ان عليها واجبا تقضيه نحو الربة هيرا السورية وبها على ما تزعم يتصل نسبها وتتمتع ببركة رعايتها وانها هي التي وهبتها جمالها وسعادتها . وفكرت ان تشيد لها في موطنها منبج ، منبت الكرمة ومنبع الخمرة ، هيكلا يليق بعظمتها وما تدين به اليها ، وكاشفت زوجها بالامر وطلبت ان تشرف بنفسها على البناء ، فأجابها الى رغبتها وعهد الى احد قواده المقربين اليه ممن اشتهر بشجاعته وسمو خلقه وجمال فتوته واخلاصه لسيده ان يجهز لها ما تحتاج من جند وصناع وان يكون الحارس الامين عليها . فامتثل القائد للامر واستمهل الملك فترة من الزمن حتى ينهي شؤونه الخاصة ويهيء حملته ، ثم عاد بعد انقضائها الى الملك واثر الاعياء والوهن باد عليه وسلمه اناء من رخام محكم السد ورجاه ان يودعه خزينته لحين عودته من مهمته ، ثم استأذن بالسفر وسار بموكب الملكة وحاشيتها ، وبلغ الجميع منبج براحة وسلام . وباشر الصناع عملهم بتوجيه الملكة واشراف قائدها . وبعد مضي مدة على اقامة الملكة في منبج وهي تتمتع بطيب هوائها ولذيذ راحها ، ثارت فيها الغريزة البشرية واستجابت لنداء جسدها ، فطلبت من قائد حملتها ما طلبته امرأة فرعون من يوسف الصديق فأبى واستكبر وانكر عليها محاولتها ودفعها عنه بالحسنى ، واستعاذ بالالهة من شرها ، وشق الامر عليها وغضبت لاستهتاره بجمالها واستخفافه بفتنتها واضمرت له الشر وصممت على ان تنتقم لحبها المتهن ، وكتبت الى زوجها تشكو خيانة القائد الذي ائتمن وكيف انه راودها عن نفسها واختلقت ما شاء لها مكرها من كذب وافتراء ، واوفد الملك من اتى بالخائن المزعوم وسجنه ريثما يلقى جزاء خيانته ، ودعى في اليوم الموعود الملك اعيان دولته ليشهدوا تنفيذ حكم الموت باحب القواد اليه ، واحضر من السجن الى ساحة الاعدام . فاستأذن ان يسمح له بكلمته الاخيرة قبل اعدامه وتوجه الى الملك قائلا : يعلم مولاي براءتي من هذه الوصمة الشائنة ، وانك دبرت هذه المكيدة لتسلبني ما ائتمنتك عليه دون ان يداعيك من بعدي احد ، واني مستعد ان احقق طمعك دون ان تهدر دم نفس بريئة ، اني اهبك الامانة على ان تهب لي الحياة . واراد الملك ان ينفي ما زعمه المتهم وامر باعادة الاناء اليه وان يفتح امام الحاضرين ليتأكدوا من سلامة محتوياته ، ولما افرغ لم يعثر فيه الا على عضو تناسلي مبتور ، وعندها خلع المتهم ثوبه وتعرى امام الحاضرين ودهشتهم فقد تجلت لهم برائته وانه قضى بنفسه على صفة رجوليته ، وصاح : من كان هذا حاله لا تدنس عفته ولا يرتاب بطهارته ، وافاد انه اقدم على فعلته هذه قبل سفره ليعصم نفسه من الزلل اخلاصا لمليكه ، وعندها هتفت الجماهير بحياة القائد الامين ونادت بموت المفترين .

نجد لهذه الاسطورة التي وقعت حوادثها في العهد الوثني قبل اكثر من الفي سنة في اقصى شمال سورية صداها او ما يشابهها في العهد الاسلامي وفي اقصى جنوب بلاد اليمن . نقلها الينا الرحالة ابن المجاور في القرن الثالث عشر م. في رحلته الى اليمن حيث روى له بعضهم عن نسب قبيلته : انه ثار بملك من ملوك اليمن مرض البرسام ووصفت له الاطباء ان يتزوج في كل ليلة جارية نوبية بكرا ، وانفذ وزيرا له الى بر السودان ليشتري له مائة جارية من ابكار النوبة ، وبعد ان تجهز الوزير جاء الى الملك واودع عنده حقا لحين عودته ، وسافر الى السودان ثم عاد واتى بمطلوب الملك ، فكان ان وجدهن ثيبا ، فاتهم الوزير بامرهن ، ودافع الوزير عن نفسه وطلب احضار الحق وفتحه بحضرة الملك فوجد فيه مثل ما عثر عليه في اناء القائد الاشوري فقنع ببرائته وسأله ما الذي حمله على هذا الفعل ، فأجابه : خفت الذي بدا وقضيت الذي جرى ، وحينئذ نادى الملك الجواري وسألهن عن حقيقة امرهن ، فقالوا : نزلنا جزيرة قيس وسبحنا في بركة فيها فما شعرنا الا والجن تهاجمنا وتستحل اعز ما عندنا ، فأمر باعادتهن الى جزيرتهن ، فتزوجن فيها وتكاثر نسلهن وانحدرت العشيرة منهن .

ليست العلاقة بين الاسطورتين السورية واليمنية وليدة الصدف أو هي من توارد الخواطر لما بينهما من البعد الشاسع ، بل لها مغزى اعمق ودلالة تاريخية لها اثرها . ومما لا شك فيه ان للاسطورتين منشأ مشتركا ، فأما ان يكون قد حمل احداها الحجاج اليمانيون الى منبج الوثنية ، ونسج اهلها اسطورتهم على النحو الذي ذكرناه واما ان يكون قد نقلها اليمانيون الى بلادهم من منبج الوثنية فتداولتها الالسن الى ان وصلت بعد الف سنة على النحو الذي رواها الرحالة ابن المجاور .

ونجد في كلتا الحالتين دلالة على العلاقة الوثيقة بين شعبي سورية وجزيرة العرب منذ اقدم العصور ، وتضيف هذه الاسطورة دليلا جديدا على هذه العلاقة وعلى وحدة عنصريهما . وكما ان اثمن الجواهر تظهر في اخبث الترب ، كذلك الحقائق التاريخية ينبثق نورها من اغرب الخرافات واتفه الاساطير ، وصدق من قال : وما بلاد الشام الا امتدادا لجزيرة العرب .

دمشق — جعفر الحسني

نغم الحياة

لثريا ملحس

٥

قالوا لي قالوا لنا
من هنا من هنا
نبدأ دربنا
من هنا من هنا
قالوا لنا
نوقف دربنا
محونا قهقهات الغيوم
ما أبهنا
سحقنا ذرات النجوم
ما اهتممنا
قالوا لي قالوا لنا
من هنا من هنا
كأن الفجر ما تاه
ولا البدر طلع
كأن هزءات النغم
والنغم ما كان
قالوا لي قالوا لنا
من هنا الدرب
ينتهي من هنا
ضحكنا
أخرسنا كل حين
والزمن والمساجين
كل شيء كان لنا
كأن النغم ما كان
ما سمعنا من زمان

طرقنا كل باب
من زمان
كانت الدنيا لنا
من زمان
كان الهم لنا
من زمان
كنّا على الدنى
باليد بالعين بالكلام
عرفنا ما قالوا لي
ما قالوا لنا

*

كأن القلب سالٍ
والجدول الجاري
والنبت وجذر الشجر
كأن الروح خالٍ
والدرب
والكوكب
والزهر
وفي المعالي
ترقد الليالي
سمراء بلون الدوالي
تزكوا عروق الدوالي
تسطع في الدنى حبّات
عروق الدوالي

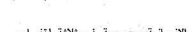
بالامس في الاعالي
في الغد في الملاوي
نبحث عن حياة
عن قنٍّ
عن أمانٍ
في الكوكب الداني
والكوكب الداني
يحــار
بين أمن بين دمار
والحفنة من غيوم
تلف الشمس مع النجوم
عين بشريٍّ
برمش تصلّي
عروق الدوالي
للارض
للسماء
عيون سواها
تنشد نغم الحياة

*

انحنت الزهرة على عطرها
والورود لفّت ألوانها
والعناكب طوت سيقانها
والدرب تلوّى
عيوننا صلّت للغروب
والشمس رنّفت بشحوب
انتظرنا
وما بعد ؟
انتظرنا
كأنّ الدنيا ملكنا والعهود
عاد الى صنّين الثلوج

من غيوم السما نقطّع الغيوم
تندف من أيدينا
مع النجوم
على صنّين
وصنين لا يميد
كالشيخ أقعده المشيب
ووادیه جذر عنيد
نحمل الوعد والوعيد
نرتد بكبرياء
نخلع من الاعماق السنين
نتلهى بها
نعدها بعد حين
نصحو على البرق مع الرعود
وفي المرايا
نعدُّ التجاعيد
وعلى الجبين أخاديد
مثل صنين
أقعد رأسينا المشيب
هزأت منّا السنون
وعلا عيوننا الشحوب
تحت أقدامنا الحفر
تثور في الحفر
كخيوط نسلناها من العصب
تلاشى عنا حتى القدر
عدنا نتلهى بالسنين
نحفن من ثلوج صنين
نصنع لنا الحياة
من ثلوج صنين

ثريا ملحس



بقلم الدكتور جميل صليبا



النفس الانسانية محبوسة في ثلاثة اقفاص اولها البدن ، وثانيها المجتمع ، وثالثها الطبيعة.

اما قفص البدن فمؤلف من عوائق الشهوات وحوائل الغرائز التي تمنع النفس الانسانية من الانطلاق ، وتقعدها عن ادراك الكمال ، وتعميها عن تمييز الخير من الشر . ولو كنا نريد الان ان نتكلم عن صفات الغرائز كما فعل علماء النفس قبلنا لاسهبنا في ذلك كثيرا ، ولكن غرضنا ها هنا ليس بالطامح ولا بالبعيد ، وانما هو غرض اخلاقي محض نريد ان نشير فيه الى بعض الوسائل العملية التي تعين الانسان على التحرر . فخير وسيلة للتحرر من ربقة الشهوات ان يجاهد الانسان نفسه، ويسيطر بعقله على غرائزه واهوائه . ان هذه السيطرة على الشهوات لا تكون بقمعها ومحاربتها ، بل تكون بتحويل مجراها وتنظيم حياة الانسان على اساس عقلي يضمن له تحقيق طبيعته المثالية . فالسعادة ليست في اماتة البدن وقهر الميول والعواطف ، وانما هي في تحويل مجرى الغرائز وتوجيهها الى ما فيه الخير . ان الميول والغرائز هي القوة المحركة للعقل ، والنزعات غير المرضية قد تولد آلاما وعقدا نفسية تشوش حياة الانسان وتبعده عن الكمال . فمن الخير للانسان ان يكون متزنا في اتباع ميوله ، فلا ينقاد لها انقيادا أعمى ، ولا يخالفها مخالفة تامة ، بل يستخدمها ويعتمد عليها في جلب النفع لنفسه ودفع المضرة عنها .

واما قفص الحياة الاجتماعية فمنسوج من العادات والتقاليد التي تمنع الانسان من الاستقلال وتعوقه عن تسنم المخاطر . وهذه العادات والتقاليد تزداد وتتعقد بتعقد الحياة الاجتماعية ، فكلما كان المجتمع أقدم كانت تقاليده اكثر تعقدا واشتباكا ، وكلما كان ادنى كانت تقاليده ابسط . لقد اصبح نظام المجتمع في ايامنا هذه شبيها بآلة كبيرة او شجرة عظيمة مشتبكة الاغصان ، واصبحت النفس الانسانية مثقلة بأعباء تنوء الارض بحملها . فكيف السبيل الى تحرير نفوسنا مما تكادها من الامور ؟ ان كسر القفص الاجتماعي لا يحرر نفوسنا ، لاننا اذا كسرناه وقعنا في قفص الطبيعة ، وكذلك لا نستطيع ان نحرر نفوسنا بمحو الماضي الذي اثقلها ، لان آثار الماضي لا تزول من العقل الظاهر الا لتختبىء في العقل الباطن . وهذا الماضي الذي يملأ نفوسنا كثيرا ما يوهمنا بان حياتنا الحاضرة حياة متجددة مع اننا لو انعمنا النظر فيها لوجدنا التقليد في قلبها والاتباع في صميمها ، ان اصلاح الشجرة المشتبكة الاغصان لا يكون باجتثاثها ، كما ان تطهير الوادي العميق لا يتم بارسال سيل عليه يجرف كل ما فيه من رواسب . فخير وسيلة لتحرير نفوسنا من ضغط المجتمع هي تنظيمه على اساس يضمن لنا التمتع بحقوقنا الطبيعية وحرياتنا الفردية . وسبيل هذا التنظيم ترتيب العمل الاجتماعي ترتيبا منطقيا يخفف من تعقيد الحياة ويقلل من أعبائها وآلامها . تصوروا موظفا تراكمت اوراقه على مكتبه فكدسها بعضها فوق بعض دون ان يرتبها وينظمها . ان هذا الموظف الرازح تحت اوراقه المبعثرة شبيه بالمجتمع المثقل بآثار الماضي المشوشة ، فلو نظم اوراقه لما ناء بحملها ، وكذلك المجتمع الانساني لو نظم رواسب الماضي الثقيلة لتحرر منها .

لقد أدى فقدان التنظيم من مجتمعنا الحاضر الى الزج بالافراد في قفص ضيق من الاوضاع العائلية الشاذة والاوضاع الاقتصادية المضطربة . ومن نتائج ذلك ايضا ان الامم الحرة لم تستطع ان تحرر الافراد من الفقر والمرض والجهل فهي لم تنقذ البائسين من بؤسهم ولم تخلص الفقراء من جوعهم ، بل اكثرت من عدد الجائعين والمتعطلين عن العمل . الا ترى انها تنفق الملايين من الدولارات على صنع الاسلحة لحفظ التوازن الدولي من غير ان تهتدي الى نظام دائم يحقق السلام العالمي ، ويضمن سلامة الافراد وحريتهم وطمأنينتهم ؟ الاترى انها تحرق الجبال من المواد الغذائية لمعالجة الازمات الاقتصادية من غير ان تعمل على تخفيف جوع الجائعين وآلام البائسين . ان الكثيرين من سكان الارض لا يأكلون عند الجوع ، ولا يجدون لانفسهم عملا عند الحاجة ، فكأن قفص الحياة الاقتصادية قد صنع من حديد ، وكأن اجسام العمال قد صنعت من نحاس ، انهم مقيدون بالسلاسل ، كما ان الالات التي يحركونها مقيدة باسلاك الكهرباء . واذا كان الحديد لا يصدأ في النار ، فان جسم العامل لا يصدأ الا في العمل المضني ، واذا صدىء في العمل اصبح فراشا من رماد توقد عليه النار . وما دري هل سيطر العامل على الالة ، ام سيطرت الالة على العامل . ولكن الالة على كل حال تسمعنا صوتها وتقول : انا لا اتحرك بنفسي بل اتحرك باليد التي تحركني . فخير وسيلة لتحرير العامل من قيود الالة ان توضع الالة في يده وان يحركها بارادته ، لا ان يربط بها كما يربط الحيوان بحجر الرحى ، وخير وسيلة للتحرر من قيود الحياة الاقتصادية والاجتماعية ان ينظم المجتمع تنظيما منطقيا يضمن لجميع الافراد حياة حرة كريمة عادلة .

واما قفص الطبيعة فمؤلف من القوانين المسيطرة على ظواهر الكون . ان هذه القوانين تحبس الانسان في شروط لا يستطيع مخالفتها ، واذا خالفها عرض نفسه للهلاك . اننا لا نستطيع ان نخالف قوانين الكيمياء ولا قوانين الكهرباء والحرارة والميكانيك ، لان هذه القوانين مسيطرة على اجسامنا كما هي مسيطرة على الاجسام المادية ، وكذلك لا نستطيع ان نخالف قوانين البيولوجيا

والصحة لان مخالفتها توقعنا في المرض وتسوقنا الى الموت . فهل نقف مكتوفي الايدي امام حتمية هذه القوانين وهل نستسلم لها . لا شك اننا لا نستطيع ان نسير في السماء صعودا باجسامنا لانه ليس لنا اجنحة كالطير ، ولكننا نستطيع ان نحتال على قوانين الطبيعة فنخترع طائرة تحملنا وتحمل اجساما أثقل من اجسامنا . وكذلك لا نستطيع ان نغوص في البحر كما تغوص الاسماك لانه ليس لنا غلاصم مثل غلاصمها ، ولكننا نستطيع ان نركب البحر على سفن وغواصات تهزأ بقانون السقوط وبقوانين توازن السوائل ، وهكذا نستطيع ان نستمد من ضعفنا قوة فنسخر قوانين الطبيعة لتحريرنا من عجزنا الطبيعي .

فانتم ترون الانسان يستطيع بعقله ولطيف حيلته ان يتحرر من الاقفاص التي حبس فيها فيصبح بذلك سيد نفسه وسيد الطبيعة . فهو يحرر نفسه من سيطرة الشهوات والغرائز بتحويل مجراها وتوجيهها الى ما فيه خيره ونفعه ، وهو يحرر نفسه من قيود الحياة الاجتماعية بتنظيم المجتمع تنظيما عقليا ، وهو يحرر نفسه من قيود الطبيعة بتسخير قواها لمصلحته . وسبيل ذلك كله تنمية قوى العقل والاعتماد على العلم في تحسين حياة الانسان ، وزيادة سلطانه وتأثيره .

* * *

جاء في اساطير اليونانيين ان اصل الحضارة يرجع الى (برومثوس) اله الاختراع الذي صنع الانسان من خزف بعد ان استعان على ذلك باتنة بنت جوبيتر . صنع الانسان من خزف بعد ان احرقه واحياه بالنار الالهية التي سرقها من السماء . ثم علم (دوكاليون) بناء السفن يوم الطوفان ، واخترع الالات وعلم الانسان ايضا فنون الحيل للتغلب على الطبيعة . لقد ظهر (برمثوس) انه سيكافأ على عمله باوفى مما يكافأ به المحسنون ، ولكن الاله لم يكافئه على ذلك بل عاقبه على سرقته النار من السماء وهبوطه بها الى الارض ، عاقبه لانه احيا الانسان وعلمه اسرار الطبيعة ، فربطه بصخرة على جبال القفقاس ووضع بالقرب منه نسرا يفترس كبده ، ثم جعل كبده خالدة فكلما اكل النسر منه جزءا تجددت وتضخمت ، وكلما تضخمت تجددت معها الامه . ان اقفاص الحياة الثلاثة شبيهة بالاقفاص التي حبس فيها (برومثوس) والالام التي تاكل كبده شبيهة بالالام التي تحز قلب الانسان . ولكن كبد (برومثوس) هذه قد اصبحت اليوم اضخم مما كانت عليه في الماضي ، بل صارت كافية لتغذية عدة نسور . ماذا اقول . لقد تكاثرت النسور علينا بتضخم اكبادنا . ونحن مع ذلك نحب النسور ونكره اكبادنا . فليت شعري ، متى يتعاون الناس جميعا على قتل هذه النسور . الا تتغذى النسور الا بكبد الانسان ، الا يستطيع الانسان ان يعيش بلا كبد ؟ متى يتحرر (برومثوس) من قيوده . لقد سرق النار من السماء وملأ الدنيا ضياء . فمن الظلم ان نتركه مربوطا بصخرته ، لا بل من الجنون ان نطفيء النار التي وهبنا اياها ولو بعث (برومثوس) بيننا لقال لكل محبوس في اقفاصه متضجر من حياته خير لك ان تضيء شمعة من ان تلعن الظلام . يجب على كل انسان ان يمزق نسره ويحرر نفسه .

دمشق — **جميل صليبا**

دنيا الاساطير

بقلم موسى سليمان



دنيا الاساطير !.. اين تكون ؟ وما هي ؟ وما الذي يحملنا على طرقها ؟ (١)

دنيا الاساطير !... وما همك من الاسطورة ، وانت انما تعيش في قلب القرن العشرين ، عصر الحقائق الدامغة التي قلبت نظم العيش ، وبدلت طرق الحياة وغيرت اوضاعنا ومجاري تفكيرنا ؟...

مالك ، يا هذا ، وللاساطير ، تنبش الاموات من قبورهم وتنزل الالهة من علياء سمائهم ، وتستنطق الصخور الصماء فلسفة وعبرا !...

او تكون الاساطير غير حكايات حكتها كائنات فوق الكائنات ، وغير اعمال خارقة ، ان صعب علينا تصديقها ، فلقد صدقها قبلنا ، وما زال ، قوم تمرسوا في روايتها ، وفكروا في مغزاها ، واتعظوا بفلسفتها .

ولم نخافها ؟... دنيا الاساطير ؟...

العالم الصاخب يضج بالالهة ، وانصاف الالهة ، العامر بالابطال تضج في اعماقهم قوى الخير والشر ، فيها من الطبيعة شيء ، ومن فوق الطبيعة اشياء !

وما همنا ، ونحن ما زلنا في عالم كل ما يحيط به اسرار والغاز ، ان كانت هذه الحكايات الاسطورية قد وصلت الينا ، عن الفراعنة والهنود ، عن البابليين والاشوريين ، كلمة كلمة على افواه الرواة والمحدثين او جاءت محفورة في قلب الصخر ، تشهد بما كان للقوم من علم وشعر وفلسفة ودين ! بل ما همنا ، ان تقوم الاسطورة على مجرد الوهم والظن والتخيل ، وهي مظهر رائع لتخيلات الناس تنطلق في عالم الرؤى والاشباح ، عالم النور والظلام ، عالم الطبيعة ، لتصل الى حقائق الحياة وتتعرف اليها وتسبر غورها ، حقائق كل مكان وكل زمان كما عرفها وخبرها بنو البشر .

الم تقم هذه الاساطير مقام العلم الاختباري في عالم، لم تتوافر لناسه حقائق العلم النظري التجريدي ، ولم تنتشر فيه النظريات العلمية المنتشرة في العالم الحديث !

والاسطورة ... هذه الاسطورة التي وصلت الينا ، وتلك التي لم تصل ، وتلك التي عاشها قوم ، وتلك التي حملت حقا وازهقت باطلا ... الاسطورة ... كل اسطورة ان هي الا دغدغة لشعورنا ، وهزة قوية تهز اعماقنا ، ورعشة شعرية تفتح ما انسد من ابواب وعينا ، نحياها في خيالنا ، ونحياها في اجوائنا الساحرة ساعة ترضى الحياة عنا وتنعم علينا ببعضها ، والعفاء ، بعد ذلك ، كل العفاء ، على ما سماه ويسميه العلماء : « معرفة » . وبعد ، فماذا نعرف ، نحن الذين نعرف ، عما يختلج في اعماق نفوسنا ، فندعي معرفة ما يحيط بنا ؟

(١) سلسلة من الاحاديث الطريفة في الاحاديث وتأثيرها في حياتنا اليومية يقدمها الاستاذ موسى سليمان الى قراء الاديب باسلوبه الادبي الممتع .

ومهما غالى رجال العلم في نظرياتهم ، وابتعدوا عن عالم الخيال في تفسيرهم مظاهر هذا الكون ، ومهما تمسكوا بالبديهيات العلمية ، والنظريات المبنية على اسس قائمة على قواعد علمية ثابتة ، يبقوا ، في حقيقتهم النهائية ، مقصرين التقصير كله عن فهم الكثير الكثير من هذه المظاهر ، عاجزين العجز كله عن تفسير ما يحيط بنا من أسرار الكون والغاز الحياة ...

ولقد دلت حوادث التاريخ ، وسير العلوم ، ومجرى المدنيات في العالم ، منذ كان العالم ، ان الطبيعة البشرية ، مهما تعددت مظاهرها ، ومهما تكاثرت الوانها ، هي في الحقيقة ، واحدة ، في كل زمان وكل مكان ...

هناك من يدعي ، وفي ادعائه كثير من الحق والصواب والمنطق ، ان الاسطورة وضعت لتفسير حقائق هذا الكون وساعدت على نبش هذه الحقائق من مخبآتها . وان الكثير مما نسميه اليوم حقائق علمية ، قد مر ، قبل وصوله الى درجته النهائية ، في طور اسطوري خيالي خلقته مخيلة القصاص المبدعين ، وانصاف الالهة من عباقرة الادميين .

فليس هناك ما يمنع العقل مثلا من ان يرى في شروق الشمس كل صباح ، ومرورها مخترقة كبد السماء ثم في غروبها كل مساء ، ما كان يراه الاغريق من تعليل لهذه الظاهرة . فمثلوا ابولو الها للشمس ، وحملوه على ان يمتطي كل صباح مركبته النارية يجرها جوادان الهيان عبر السماء !

وليس من المستبعد ولا المستغرب ، ان يأنس واحدنا الى اسطورة خلق النور وقدجاء فيها ان فلكان Volcan اله النار ، قد غضب عليه ابوه في العالم الاخر ، فقذف به من عالم الالهة الى عالمنا الارضي ، فكان لنا النور !..

وهناك من يعتقد ان عشرات الخرافات التي ترويها الاساطير عن الاشباح الهائلة ، ذوات السحن الغريبة ، والتي كان يرسلها نبتون اله البحار ، لاهلاك بعض الناس ، ولتدمير الارض ، ليست سوى تجسيد للعواصف الهوجاء والانواء الشديدة التي كانت تجتاح البحار حاملة بين طياتها الموت والدمار !...

واطرف ما وقعت عليه في مطالعاتي من شروح بعض الاساطير وتعليلها تعليلا تاريخيا منطقيا ، تعليق لبعض ادباء الغرب على اسطورة الملك مينوس ، ملك جزيرة كريت (سماها العرب القدامى اقريطش) ، الذي ، فيما تزعمه الاسطورة ، كان قد فرض على الاثينيين أن يقدموا كل سنة (٢) سبعة من احداثهم ، وسبع عذارى من فتياتهم ، فيرمي بهم جميعا لحيوان خرافي رأسه رأس ثور ، وجسمه جسم انسان (هو المينوطوروس) فيلتهمهم الواحد تلو الاخر ... يعلق احد الكتاب الانكليز على هذه الحكاية بقوله : (٣)

« لو قدر للبريطانيين ، بعد انتصارهم على البوريين، في حرب البوير الشهيرة في جنوب افريقيا ، ان يبعثوا ببعض الاسرى من اهالي البوير الى بلادهم ، بلاد الانكليز ، فاعدموا هناك ، لكان من المحتمل جدا ان يقال عندئذ ، في لغة الاساطير : « لقد التهمهم الاسد البريطاني » !

ومهما يكن من امر فان من القدامى من قدس الاساطير وجميع ما جاءت به من افكار واراء وعبادات وتسابيح . ومنهم من حاول ان يضعها على محك عقله وعلمه، العلم الذي وصل اليه ذلك العصر ، فتخلص من الاستعباد لالهتها دون ان يتخلص من التأثر بها وبما توحيه . فنظر اليها نظرة الاكبار والاعجاب ، واعتبرها تراثا قوميا ثمينا تحدر اليه من قومه وابناء جنسه فوجب عليه درسه وفهمه والمحافظة عليه . يهمني من كل ذلك ، ان اقرر موقفنا ، علماء ، وادباء ، ومواطنين ، من الاسطورة ، كل اسطورة .

هي عالم قائم بذاته لنا فيه ما لنا في عالم اليوم ، عالم الذرة والقنبلة والصواريخ الطائرة .

لغيري ان يحسبها من الاوهام الخيالية وانها ليست مجسمة في حقيقة من حقائق التاريخ اليابسة فانا احسها وانا افهمها ، وهي تنزل في الجانب الروحي من نفسي وتلعب في توجيهي الجمالي دورا لا يقل عن دور الشعر والموسيقى وسائر الفنون .

كما ان اداب الغرب وفنونه قد تغذت من هذه الاساطير القديمة واستوحتها روائع خالدة من الاثار الشعرية واللوحات الفنية. ان تأثر المدنية الغربية بالاساطير واتحادها بها اتحادا وثيقا ، واعتمادها اياها مصدرا موحيا في الادب والشعر والتصوير والنحت وكثير من الفنون ، بلغ مدى كبيرا يفوق حد التصور . فكثيرة جدا هي الكتب التي لا يمكن فهمها او فهم بعض موضوعاتها الاسطورية ان لم يكن للقارىء الملم صحيح بالاساطير التي تناولتها هذه الكتب تصريحا أو تلميحا .

وكم يقف السائح مدهشا في بلاد الغرب ، وهو ينتقل بنظره من تمثال الى تمثال في حدائق اوربا العامة أو في متاحف اميركا الكبرى دون ان يتوصل الى حل رموزها او فهم موضوعها ، وكثيرا ما يكون مستمدا من اسطورة جميلة من هذه الاساطير القديمة الرائعة .

كذلك لعبت الاسطورة دورها عند الغربيين في اعطاء الكثير من الازهار والاشجار والحيوانات والنجوم والاماكن اسماء علمية مستمدة من اصل اسطوري . والذي اراه مخلصا ان المدنية الغربية ، في انطلاقها هذا الانطلاق الجارف ، وفي سيرها قدما الى اهدافها ، وفي انفتاحها واستعدادها لتقبل مختلف المجاري الفكرية ، انما هي مدينة ، فيما هي مدينة له ، لعوامل عديدة ، في مقدمتها هذا التحرر الفكري ، والانعتاق العقلي الذي كان للاسطورة في ايجاده وتكوينه دور كبير يذكر .

وهل اقارن بين ادبنا العربي ، قديمه وحديثه ، وبين ادب الغرب على هذا الصعيد ، فاقول : كنا وما زلنا اطفالا نحبو ، ذلك ان الادب العربي القديم لم ينفتح انفتاحا فكريا مخلصا على اي نوع من انواع الاساطير القديمة : بابلية كانت أم فرعونية ام يونانية . فكان تأثره ببعض هذه الاساطير

---

٢) وقيل كل تسع سنوات

C.H. Hawes et H.B. Hawes.

صدى المؤتمر

بقلم الدكتور انيس فريحة



عقد في دمشق (١) بين التاسع والعشرين من شهر ايلول والرابع من تشرين الاول ١٩٥٦ مؤتمر المجامع اللغوية العلمية لبحث مشاكل اللغة العربية ولتدارس الوسائل لانهاض اللغة لتساير ركب الحضارة كقضية تأسيس اتحاد للمجامع اللغوية العربية، والترفع من استعمال العامية، وقضية التأليف والترجمة والنشر، والمصطلحات العلمية، وتحقيق المخطوطات ونشرها وغيرها من المواضيع اللغوية الصرفة كتيسير الكتابة والنحو: وقد خرج المؤتمر بجملة صالحة من التوصيات.

وكان من الطبيعي ان تتلفت الفئة الواعية نحو دمشق. لان موضوع اللغة موضوع الحياة ذاتها. لا يمكن ان يكون هنالك علم او فلسفة او فن بدون اللغة. اللغة طريق الانسان الى ادراك كنه ذاته وسبيله الى فهم الكون المحيط به. ومشاكل اللغة هي مشاكل الفكر وبالتالي مشاكل الحياة.

ولمّا كنت ممن يعنون بناحيتين من قضايا اللغة:

(ا) قواعد العربية وضرورة اعادة النظر فيها وتبويبها على اسس جديدة وتدريسها على طريقة وصفية تقريرية، اي بتجريدها عن الفلسفة.

(ب) وقضية الخط العربي الخالي من الاحرف المصوّتة مما يجعل القراءة امرا عسيرا ويشكل عقبة في تيسير التعلم ونشر المعرفة بين جميع الطبقات.

اقول، بما انني اعني بهاتين القضيتين، تلفّتُ نحو دمشق وترقبت بصبر ظهور المحاضرات في المجلات.

كان للمؤتمر اثر طيّب في نفوس الناس. وقد خرج المؤتمر بتوصيات طيّبة من شأنها ان تنهض بالعربية. ولكني لا ارى ان المؤتمرين، ولاسيما اولئك الذين عالجوا قضايا التيسير، تناولوا جوهر القضية: تيسير اللغة والكتابة. شعرت انهم تناولوا العرض.

واني اشعر ان التيسير، كما افهم التيسير، امر غير ميسور الآن. هنالك مثل واحد يمكن فيه ان نيسر: اساليب تدريس العربية.

ان الذي قراوا محاضرة الدكتور طه حسين يشعرون كما شعرت انا: ابدع في وصف الداء وتشخيص العلة ولكنه لم يخرج بحلّ: جلّ ما قاله:

« ... قدّموا ايها السادة العلماء الى الحكومات كتابات ميسّرة ونحوا ميسرا وقربوا لغتكم من الشعوب، وثقوا بانكم ان فعلتم فستبلون بلاء خيّرا من البلاء العظيم الخطير الذي ابلاه نحاة البصرة والكوفة وبغداد في العهد القديم. »

ولكن ما هو نوع الكتابة الميسّرة والنحو الميسر؟ كيف يتمّ تقريب لغة الادباء من لغة الشعوب (يعني العامية) ؟

وبعد ان عالج الدكتور منصور فهمي قضية الخط وتناول مختلف الاقتراحات خرج براي غريب جدًا: بحث قضية الخط العربي: « ضرب من اللغو والسرف. » يقول:

« ايها السادة لعلّ في الخوض فيما لا جدوى فيه فتنة وبلاء وتعكيرا للصفاء، اللهمّ قنا شرور الفتن، انك ارحم الراحمين. »

حلّ اية مشكلة يتطلب، اول ما يتطلب، كثيرا من الموضوعية، اولى الخطوات الاساسية في درس المشكلة — اية مشكلة — الاعتراف بوجودها: هل هنالك مشكلة؟ ما هي اسبابها، مظاهرها، ملابساتها، آثارها في المجتمع؟ والخطوة الثانية التجرّد عن كل غرض او هوى او عاطفة، وان شئت قل التجرّد عن سابق معرفة اذا كان التجرد من المعرفة السابقة يؤدي التفهم الصحيح. والخطوة الاخيرة اعلان الحقيقة ووصف الحل او العلاج. نعم، ان الحقيقة تجرح، والدواء مر، وقد لا ينجع الدواء، انما على العالم النزيه ان يجرؤ على ذكر الحقيقة.

يبدو لي ان اصحاب التيسير يقعون في تناقض غريب من جرّاء جهلهم او تجاهلهم حقيقة لغوية هي « الالف باء » في علم اللغة: اللغة تتركب من جوهرين المفردات والتركيب. والتركيب هو الجوهر الاهم. المفردات في اللغة تولد وتكبر وتهرم فتنبذها الحياة وتحلّ محلها الفاظا جديدة ذات معان جديدة. وكل تيسير يتناول المفردات تيسير لا يمسّ الجوهر. والتيسير معناه السهولة والبساطة والابتعاد عن التعقيد. فاذا تنكّب اصحاب التيسير عن مسّ الجوهر ظل جوهر اللغة معقّدا عسيرا.

هل يمكن تيسير العربية كتابة ونحوا؟ نظريا نعم.

---

(١) مؤتمر المجامع اللغوية العلمية الذي عقد في دمشق. وهذا المقال خلاصة كتيب سيظهر قريبا حول الموضوع عنوانه « يسروا اساليب تدريس العربية، هذا ايسر واجدى » تأليف الدكتور انيس فريحه. وقد رفعه الى الدكتور طه حسين واهداه الى الدكتور شارل مالك.

ضئيلا ان لم نقل معدما. واما المحاولات الجريئة التي قام بها بعض من شعرائنا المحدثين وادبائنا الطالعين، فهي، على اخلاصها وجراة اصحابها، ما زالت فجة وقليلة.

على شواطىء لبنان الحالمة قامت اروع الاساطير واجمل الحكايات ... وما بين دجلة والفرات ازدهرت، قبل الميلاد بالوف السنوات، مدنيات، ما زال المنقبون في بطون الارض، ارضنا، يدهشون العالم، حتى اليوم، بما يكتشفونه من آثارها واخبارها. ولجزر الابيض المتوسط، بحرنا، تاريخ حافل بالف لون ولون من الوان الدين والعلم والادب والفن. فهل عرفنا جميعا، علماؤنا، وشعراؤنا، ورجال الفن فينا ان ننفتح على هـذه العوالم الخصبة، الموحية، وان نعب من معينها الفياض الزاخر فنمتع ارواحنا بدنيا الحب ... دنيا الجمال ... دنيا الاساطير!.

الجامعة الامريكية بيروت — **موسى سليمـان**

اذ ليس هنالك ما يمنع العرب عن الاعتراف بالتيسير الحقيقي الذي يسرته الحياة فنبذت ما يجب نبذه واستبقت ما له قيمة بقائية. ولكن التيسير عمليا امر صعب المنال في الفترة التي نعيشها . للعرب من مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية ما يشغلهم (خطأ) آنيا عن قضايا اللغة . واللغة لصيقة بالدين والادب ، وكل شعب يحرص على الا تمسّ اللغة بسوء . فان الافرنسي لا يزال يعول عن ٩١ انها ٤ × ٢٠ + ١١ ! انما نستطيع ان نيسّر اساليب تدريس العربية فنقضي على ظاهرتين خطيرتين اشار اليهما الادباء واعضاء المجامع اللغوية في اكثر من مناسبة واحدة :

النفرة من تعلم العربية

والضعف اللغوي البادي في الجيل الطالع .

ولكن ، كما قلنا آنفا ، لا نستطيع التيسير ما لم نلم بمشاكل العربية الاساسية ثم ننظر في ايها يمكن التيسير. مشاكل العربية الاساسية تنحصر في النقاط التالية :

(ا) ازدواجية اللغة (عامية وفصحى) واثرها في المجتمع العربي

(ب) الخط العربي الخالي من الاحرف المصوّتة

(ج) الاعراب والاسراف في احكامه وفلسفته

(د) عجز العربية عن اللحاق بالعلوم والفنون (١)

(ه) تدريس العربية على اساليب قديمة واعتماد كتب تدريس اساليبها قديمة منفّرة .

وجميع هذه القضايا يجب ان تحلّ يوما لتساير لغتنا ركب الحضارة . ولكن التيسير الذي يمسّ جوهر اللغة امر غير ميسور الآن ، فلا يبقى لدينا الا ان نعيد النظر في اساليب التدريس وفي وضع الكتب .

ان المآخذ التربوية الرئيسية (بالنسبة للاطفال والاحداث) التي نأخذها على اساليب تدريس العربية تنحصر في النقاط التالية :

(ا) فلسفة القواعد

(ب) قصر التأليف على جماعة المتفقهين

(ج) تعقيد في التبويب

(د) اسراف في المصطلحات الغامضة

(ه) قصر القواعد على الشكل دون الفهم والافهام

(و) كتب التدريس

وينحصر رأينا في تعليم اللغة العربية على طريقة وصفية تقريرية descriptive اي دون ذكر العلة او السبب ، لاننا لا نعرف السبب ، والافضل ان نعلّم الاولاد نماذج صحيحة للتركيب ونقول لهم هكذا يقول الفصحاء ، هكذا تحدرت اللغة الينا ، وعليكم ان تنشئوا مثلها او احسن منها اذا استطعتم .

وايجازا نذكر المبادىء العامة التي نقترحها في تدريس العربية تدريسا فعّالا :

اولا : يجب الا تعلّم القواعد في الدراسة الابتدائية . النحو نوع من التجريد ، والاطفال لا يستطيعون ادراك المجردات . بل الافضل ان نعلم اللغة بالانشاء والحِفظ والتصريف على مبدأ « وعليه قِس » كما فعل المرحوم خليل السكاكيني .

ثانيا : قواعد اية لغة وحدة تامة لا تتجزأ ، ويجب ان تدرّس كوحدة . هذا ما يفرضه منطق اللغة . ونحن نقترح تعليم القواعد تحت بابين : باب الاشتقاق وقوانينه وهو علم يتناول المفردات ، وباب التركيب او الانشاء .

ثالثا : يجب ان يكون التوكيد في تدريس اللغة على لفظة « أنشِىء » لا على لفظة « أعرب » .

رابعاً : يجب ان يكون تدريس التركيب او الانشاء (النحو حسب المصطلح القديم) قائما على الجملة المفيدة . والجملة واحدة ونوع واحد . وهي التي تتألف من ركنين : ما يتكلم عنه ، او موضوع ، وخبر عن الموضوع . فلا فرق بين جملتي زيدٌ قام وقام زيد .

خامسا : يجب ان يكون تعليم قواعد اللغة قائما على اساس الفهم والافهام . ليس تعليم اللغة رياضة عقلية وحسب .

وقد يبدو في هذه المبادىء العامة شيء من الغموض وعليه عقدنا العزم على نشر اقتراحنا هذا بشكل عملي لينظر فيه الاساتذة الذين يعنون بالعربية ، وقريبا ان شاء الله .

(١) وليست هذه الظاهرة نقصا يلازم اللغة انما العجز عجز الناس. ولكن هذا لا ينفي كونها مشكلة لغوية خطيرة جديرة بالدرس .

الجامعة الامريكية بيروت   انيس فريحة

نبكي ونضحك

✳

طارت باجنحة السحاب   وغرقت في دنيا اكتئابي
غريدة جاءت وغنت   في الافانين الرطاب
رفت رفيف الطيب   في شفق تكحل بالضباب
ومضت تعلل خاطري   بوصالها بعد الاياب

* * *

يا هند هل لم يكفني   ألم تشبث باللباب
حملتني فحملت للهجرا   ن هما فوق ما بي
ايكون لي عطف الامو   مة منك في دنيا اغترابي
وتموج في كفي منك   رسائل .. تزكي التهابي
وتهب من ذكرى هوا   ك نسائم ملأت رحابي
واراك رغم توله ..   تتجاهلين مدى عذابى

* * *

عودي ـ فقد عاد الر   بيع مزهزها بعد الغياب
عودي ـ نعد طيرين   نمرح في الخمائل والروابي
في ملعب الشمس المطل   على الشواطىء والهضاب
او مسبح الفيد اللوا   عب في الضفاف وفي العباب
او معبق الطيب المبدد   في الفضاء وفي الشعاب

* * *

لله ايام .. مضت   وكأنها نغم الرباب
ذوقتني ما لم اذق   في الحب من حلو التصابي
واعدت لي عهد الطفولة   والرضاعة في الشباب
اسكرتني فسكرت من   خمرين لحظك والرضاب
فكفرت حين كفرت بالعقل المنطق بالصواب
وطبعتها قبلا على   شفتيك تضطرب اضطرابي
قبل معربدة على   جسد تكهرب من دعابي
جسد له عبق الورود   تفتحت لندى السحاب
جسد تشرب من دم   الشفق المضرج بالغياب
يهتز بين يدي مرتعش التشهي والرغاب
كاس مهفهفة شربنا   ها وغبنا في الشراب

* * *

الله من شحرورة ..   ناحت على اطراف غاب
وكأن ريش جناحها   اهدابك السود السوابي
فأهاجني من نوحها   ان الحياة على ذهاب
وبان احلام الشباب   وزهوه لمع السراب
نمضي ونبقى اسطرا ؟   تبكي وتضحك في كتاب ! ؟

ريو دي جانيرو   **شكر الله الجر**

هناف المروج

٥

حلو كعينيك هذا الصباح يا فاتنة !
وانسام النيل تداعب خديك وتبعثر غدائر شعرك الفاحم .
والندى في الحقل يبلل قدميك الصغيرتين
ويستحيل في اصابعهما الوردية طينا ذا عبير !
في رحلة مع الشمس نمشي
وتمشي معنا أشجار الصفصاف على الجدول
وسنابل القمح المريضة يلعب بها الضنى
برحت بها لهفة الى الربيع الهاجر ..
فهي توشوش ثيابنا بالشكوى
وتلثم ايدينا لثمات حارة متوسلة

* * *

ونحن نمضي ..
نمضي .. لا نعبأ ان تصمت غمغمة الانسام للغصون
وقد احمر الضحى والتهب الشعاع وتندت جباهنا
.. فهنا الفجاج الخضر تحتفي بقلوبنا النشوانة
وتترع كؤوسنا من رحيق الحرية
ونعود اطفالا ..
مع العصافير نمرح على تراب ارضنا
أرضنا العاشقة تقبل اقدامنا
وتداعب خطونا بأعشابها وعوسجها ايضا
وفي عرس الفراشات والشحارير
وفي نعير السواقي العاشقات
نزف افراحنا الى الطبيعة
تملأ أسماعنا اغاني الحصاد
وتزحم طريقنا قدود الصبايا
على رؤوسهن الجرار الوردية
ومن احضانهن تفوح رائحة الخبز الساخن المختلط بروائح الجبن ..
ومن خلفهن المواشي تنعر وتثغو في مرح ونشوة..
تتعجل الخطو نحو الحقل الحبيب ..

انها ذاهبة الى هناك لتشرب الاشعة ، وتتنفس الضوء ، وتستحم بالانسام ! !

* * *

هنا يا رفيقتي فيء شجرة في دنيا الربيع ..
تتنهد مثقلة باوراقها الخضر .
مبهورة الرقصات من طول ما تبرجت للطير
تحتضن فراخها وتطعمها الظل الرطيب حتى تعود الام بالرزق من رحلة الفضاء .

* * *

لا تلملمي فستانك الانيق يا صديقتي
دعيه يشرب من عبير الحقل ..
لقد ترك عليه الغبار المندى تذكاراته
اخلعي جوربك الذي كان أنيقا وتعالي نخوض في النبع ..
ما لنا والناس ؟
نحن هنا في حفل راقص في معبد الطبيعة .
طائران ارشفهما الحب رحيق الحرية
وطبع على منقاريهما الا خوف ولا مبالاة .. بل حرية وانطلاق عبر الفضاء ..
هاربان من عسف المدينة الى احضان الله ! !
وفي هيكل الطبيعة المقدس تتخشع ابصارنا للجلال وتصلي للحب .
فهنا يا فتنة المروج يحمل الحب مطرقته ليدق بهـا قلوب البشر ..
وهنا تندمج المخلوقات جميعا في غلالة من انداء الجنة وسحر الفجر ..
وهنا ينطلق نشيد متجاوب الانغام مطلعه ومقطعه :
الله .. والطبيعة ! !

القـاهرة — **رضـوان ابراهيـم**

المعري بين عبودية التقليد وثورة التحرر

بقلم الدكتور كمال اليازجي

✱

في اواسط القرن الثامن(١) بدأت فئة من الشعراء تخرج على العرف والعادة في النظم . واتسعت هذه الحركة الجديدة في عهد بشار ومسلم بن الوليد ، حتى اذا جاء ابو نواس نظمهـــا ، ووضع مبادئها ، ودعا اليها جهارا ، وتجرد لمهاجمةالاسلوب القديم مهاجمة شديدة . وقد كان لهذه الحركة ثلاثـــة اهداف ، اولها ايثار الالفاظ المأنوسة والتعابير المألوفة على ما هو منها غريب نافر ، وثانيها: ترك الغزل التقليدي المتكلف في مطالع القصائد ، وثالثها : اختيار المواضيع الشعريـــة من واقع الحياة . وقد رفع ابو نواس صوته عاليا في هذه الدعوة ، واظهر مساوىء المنهج القديم بجرأة نادرة . الا ان انصار القديم كانوا اهل الحل والعقد آنئذ فسفهوا هـــذا الجديد ، ورذلوا الداعين اليه ، ونسبوهم الى الافـــك والسخف . وما ان قضى ابو نواس نحبهحتى أخذتحركته بالتلاشي ، وعاد الشعر الى سلوك سبيل التطور البطيء .

وفي اواخر القرن العاشر ظهر شاعر اخر سلـــك سبيل القدماء . وباراهم في الكثير من فنونهم ، فجـرى مجراهم في ركوب النياق ، وسلوك القفار ، وبكاء الاطلال ، ومناجاة الاحبة ، وهو قابع في داره ، لا يسرجها الى مكان ، ولا يحن الى امراة . فعل ذلك شأن اساتذته من فحول الشعراء ، لا للتعبير عما كان يستوحش منه من دوارس الربوع ، ولا لما كان يستأنس به من دواعي الشوق . على انه ما ان خبر الدهر ، وسبر غور الحياة ، حتى بدا لـــه التقليد هيكلا اجوف ، وعقد العزم على ان يفارقه جملة ، لكنه لم يوفق في ذلك الا الى حد . ذلك لان المرء ابـــن ماضيه ، فهو غير قادر على نبذه جملة ، هذا الشاعر هو صاحبنا ابو العلاء المعري .

القيـود الشكليـة

جرى ابو العلاء في ديوان شبابه ــ سقط الزند ــ على سنن الاقدمين . فاستعار الفاظه وتعابيره من حيـــاة البادية ، ونهج في استهلالاته نهج القدماء ، فذكر الربوع والطلول ، ووصف القفار والرواحل . وحذا في موضوعاته الشعرية حذوهم فمدح وهجا وفخر ورثى ، لكنه مـــا ان تخطى صباه وامعن في كهولته حتى بدأت ثورتـــه عـلى التقليد . على ان حركته هذه لم تكن محصورة فيالاسلوب والموضوع ، بل تناولت مظاهر الحياة من وجهاتها المختلفة : من اخلاق واجتماع وعلم ودين وفلسفة . لكن تجديده هذا ــ على اتساعه وبعد مراميه ــ قصر عن استيعـــاب امور كثيرة أبى الشاعر الفذ الا ان يقيد نفسه بها . والذي دعاه الى ذلـــك في الغالب هو الاعتزاز بسعـــة المعرفة ، والاعتداد بمدى المقدرة الادبية ، فتجلى قديمه لذلك في ثلاثة مظاهر بارزة :

١ ــ ايثار الغريب . ذلك ان ابا العلاء كان واسع العـلم بالمفردات ، طويل الباع في التصرف بها ، فكان يجيـــد استخدامها بصيغها الفصيحة على اختلاف مدلولاتهـــا ، واقل نظرة في ديوانه تثبت هذا الامر . على ان شاعرنـــا قد اضطر في ظروف كثيرة الى العدول عن الصيغ المألوفة الى النادرة ، اما بحكم القيود الشعرية ، واما رغبة فـــي اظهار سعة المعرفة باللغات الغريبة . فمن شواهد استعانته بالغريب النادر تخفيف لفظة سيء في قوله :

والقول كالخلق: منسيء ومن حسن   والناس كالدهر : من نور وظلماء

ومنه حذف النون من « من » الجار كما في قوله :

ولن يقوم مسيـــح يجمعـــون له   وخلت واعدهم م الخلف عرقوبـــا

ومنه حذف نون « لكن » ، حيث قال :

ان الشرور لكالسحابة انجمـت   لاك السـرور كانـه بـرق خلب

ومنه تخفيف « لا سيما » في مثل قوله :

فجـدع حل في اذني غـــلام   ابن لديه من قرط وشنف

ولا سيمـــا اذا اعطيت ايدا   لمـد يديك او انفا بانـف

ومن شواهده العدول من « طوال » الى « طيال » في جمع « طويل » ، وذلك في قوله :

ولا قصرت لي أم ليلى يشربهـــا   حنادس اوقات علـي طيـــال

ومن ذلك ادغام المتقاربين في « متفاعل » بدلا مـــن « مفتعل » كما في قوله :

فيـا صاحي نهى الصـاحي جهـل عنك مدارك

ومثل ذلك كثير في شعره لا سيما في ديوان لزوم ما لا يلزم علىان الذي قد يشفعبههو كثرة القيود العروضية التي أخذ بها نفسه في هذا الديوان .

٢ ــ تكلف البديع . لم ينفرد ابو العلاء في العناية بالصناعة اللفظية في عصره ، بل كانت الصناعة آنئذ نزعـــة رائجة في الادب : شعره ونثره ، وكانت موضوعا للمباراة والمنافسة بين الشعراء والمنشئين ، ومناظرات الخوارزمي وبديع الزمان خير شاهد على ذلك . ولم يكن ابوالعلاء غريبا عن عصره بهذا المعنى ، بل الغريب في امره انه اعتمـــد التقليد في شبابه ، وفارقه في ابان نضجه ، الا في مـــا يتصل بالصناعة اللفظية ، فانه لم يعن بها في شعره الاول عنايته في لزومياته . فانطلق من قيودها حيث عنا لعمود الشعر القديم ، وتقيد بها حيث انطلق من اغراض الشعر القديم . ولما كان تكلفه هذا متخلفا عن رغبته في اظهـــار

(١) من كتاب في تحليل ديوان « لزوم ما لا يلزم » يعده حاليا للطبـــع كاتب هذا المقال .

المقدرة اللغوية ، فقد اجتهد ان يجمع في ديوانه الكثير من انواعها والوانها . واخذ نفسه في تحقيق ذلك اخذا شديدا ، حتى انه تكلف عدة ضروب منها في بيت واحد . وشيوع هذه الظاهرة في الديوان تغني عن ايراد الشواهد.

٣ — لزوم ما لا يلزم . ولقد غالى ابو العلاء في التكلف حتى لزم من القيود وضروب الحسنات اللفظية اكثر مما يلزمه ، وكان من ثم ان دعا ديوانه هذا : « لزوم ما لا لزم » . والذي لزمه ابو العلاء في كل الديوان ثلاثة قيود ، اولها النظم على جميع حروف المعجم . وثانيها النظم على الحركات الثلاث والسكون في كل من تلك الحروف (باستثناء الالف) ، وثالثها لزوم حرف اخر مع حرف الروي في جميع ما ورد فيه ، اي : بناء القصيدة على رويين . وقد لزم المعري هذه القيود في جميع قصائد الديوان وعددها يناهز الالف والست مئة ، دون ان يقع له في ذلك اي اخلال . بل ان الدارس المدقق يجد ان ابا العلاء قد التزم احيانا اكثر مما ادعى التزامه ، فتقيد باكثر من حرف واحد مع الروي ، وذلك في ما يزيد عن العشرين من قصائده ، نستشهد على ذلك بقوله :

اذا ما عراكم حادث فتحدثوا   فان حديث القوم ينسي المصائبا
وحيدوا عن الاشياء خيفة غيها   فلم تجعل اللذات الا نصائبا
وما زالت الايام وهو غوافل   تسدد سهما للمنية صائبا

ولا مراء في ان امثال هذه القطع قليلة ، والغالب انها قصيرة ، لكنها قد جاءت مع كثرة القيود التي التزمت فيها واضحة المعنى سليمة التركيب حتى القوافي فانك لا تشعر بانها اقحمت في غير اماكنها ، وهو دليل على براعة الشاعر في صياغة الالفاظ ، ومرونته في استخدامها .

التحرر الموضوعي

لقد تفنن المعري في صياغة تعابيره ، لكن تفننه هذا لا يعد فتحا ، وفارق النهج القديم في تنسيق القصيدة ، انما لا يعتبر ذلك منه ثورة في الادب . فقد غالى فريق من النقدة في اهمية « عمود الشعر » ومدى انقياد الشعراء له في ما نظموا . والحق ان الكثير من قصائد انصار القديم بالذات قد فارقت هذا السياق ، ودواوينهم تشهد على ذلك شهادة ناطقة . لكن ثورته الفذة انما هي على اغراض الشعر وموضوعاته القديمة . فقد فارق المدح والهجاء والفخر والرثاء وما جرى مجراها من الاغراض المملولة ، واقبل على الحياة يستوحي واقعها المؤلم ، ويستلهم عتيدها المشؤوم ، في كل ما اتصل بالاخلاق والاجتماع والدين والفلسفة .

ولسنا نقصد في قولنا هذا ان نثبت للمعري وحده فضل اكتشاف الحياة الفكرية من حيث انها موضوع صالح للشعر ، فقد تناول الشعراء ، حتى في اقدم عصور الادب العربي ، مظاهر متفرقة من حياة الجماعة ، سواء من الناحية الخلقية (كما في ميمية زهير) ، او من الناحية الاجتماعية (كما في دالية طرفة) ، الا ان الفرق بين حكيمي الجاهلية وحكيم العصر العباسي شاسع جدا ، لان حكيم المعرة عمد الى الحياة الفكرية مباشرة ، واخذ في معالجة مسائلها ، والمقارنة بين مذاهب الناس فيها ، محاولا الوصول الى الراي السديد والحكم الصحيح . والفرق بين الفريقين مثله بين المتأدب الذي يعرض لما يمر به ، والباحث الذي يتعمد التنقيب عن الحقيقة .

١ — تسفيه الاغراض القديمة . ثار ابو العلاء على القيد الموضوعي في الشعر ، فاخذ على الشعراء تقيدهم بالاغراض التي المعنا اليها ، وحكم على اكثر المدح بالكذب والتذبذب ، وعلى اغلب الفخر بالادعاء والتبجح ، وعلى جملة الهجاء بالبذاءة والسفه ، وعلى سواد الغزل بالتزلف والصغار . ذلك لان الشعراء لم ينزهوا مقاصدهم عن العيوب ، ولا جملوها بمكارم الاخلاق ، بل خضبوها بالاثم ، ومرغوها بالابتذال . اما هو فقد ابى ان يلقي بشعره في الدمن القذرة . ولقد سبق له في شبابه ان جال جولة في هذه الاغراض ، لكنه عمد الى تنقية شعره من مثل هذه الشوائب ، فابى ان يتكسب بالمدح ، وترفع عن رذائل القذف ، وانف من فضائح الغزل ، لكنه لم يقو على كبت نزوات الاعتزاز والفخر فجعل موضوعها سعة علمه وفرط براعته . حتى اذا جاز التجارب القاسية في بغداد عاد الى المعرة وقد بدا له ان يعالج الشعر على صعيد جديد

٢ — التصدي لشؤون المجتمع . كان المعين الذي استقى منه ابو العلاء مادة شعره الجديد الحياة باوسع معانيها . فنظر في الاخلاق والاجتماع والسياسة والدين والفلسفة نظرة الفاحص الناقد ، ووقف من شؤونها موقف الناقم الهادم آنا ، والمرشد الباني آنا اخر . ويتعذر علينا في هذا المجال المحدود ان نوجز اراءه في هذه المناحي المتفرقة من الحياة الانسانية ، فنكتفي لذلك بالالماع الى رؤوس المواضيع التي كثيرا ما عرض لها . فقد عرض في الاخلاق للعوامل المؤثرة في تكوينها : من عناصر وغرائز وطبائع وطوالع وعشرة وتربية ، ومكانتها في المجتمع من حيث الخطورة الاجتماعية والقيمية الدينية ، ولمدى فاعليتها في الاصلاح الاجتماعي .

وقد اكثر في تضاعيف ذلك من مدح الفضائل وذم الرذائل حيث اتسع له المجال .

وعرض للمجتمع فعالج شؤون الاسرة ، وتناول مشاكل الزواج ، والطلاق ، والتربية ، والارث ، والنسل ، ورياضة المراة . وتصدى للصلات الاجتماعية ، فتحدث عن المعاشرة والصداقة والمجالسة والضيافة والمجاورة ، وايثار العزلة ، وحمل على آفات المجتمع ، فندد بالسكر والفجور واللهو والفسق ، وهاجم الحكام والولاة والجباة وجعلهم علة الحروب والفتن باطماعهم ومنافساتهم .

وعرض للاديان ، فتحدث عن الانبياء والنبوات ، وما كان من اختلاف الاديان ، وتعدد الكتب ، واختلاف الطقوس ، وتنوع العبادات ، وتضارب المذاهب في التفسير والتأويل ، ووصف رجال الدين بالرياء والاحتيال ، وباستغلال التعليم الديني في كسب الارزاق ، وباحتجان حطام الدنيا . وتساءل عن حقيقة الروح والحشر والمعاد والمعجزات والخوارق

ثم عرض لامور فلسفية غيبية فاثار مسائل الصفات الالهية ، ونظام الكون ، وناموس العلة ، ومراتب الكائنات ، وماهية المكان والزمان والحركة ، ووحدة اصل الاحياء ، وناموس تنازع البقاء ، وسلطان القضاء والقدر ، وما الى ذلك .

فمن تأمل هذه الموضوعات وما جرى مجراها ، ثبت له ان التجديد الذي عمد اليه ابو العلاء ، بلا ضجة ولا دعوى ، لم يكن بالشيء اليسير ، بل كان ثورة جارفة على اغراض الشعر وموضوعاته . فاعجب بشاعر اختار الاسلوب المقيد للتعبير عن الفكر الطليق .

الجامعة الامريكية بيروت   كمال اليازجي

أبي

أرى الايام تبسم لي ... بقربك حين تبتسمُ
وتعذب عنديَ البلوى ... ويحلو المر والسقم
يهون الخطب والاملاق ... في لقياك والعدم
وتسطع بالرؤى دنيايَ ... ضاحكة وتنتظم
دفعت بك الاذى وأمنت ... ما يُخشى ويُتَّهم
وكيف أخاف جائحة ... وعينك دونيَ الاجم
ولي خلف الضلوع لديك ... قلب راحم وفم

* * *

رنوتَ اليَّ حين عدوتُ ... نحوك والدجى قتم
وبي من عاصف الاشواق ... وجد ماج يلتطم
وعندك من رسيس الوجد ... شوق ليس ينكتم
فرحتَ تدير لي عيناً ... تفيض هوى وتنسجم
كأن بها يداً بُسطت ... لتدفع عار ما يَصم
تُمد اليَّ في قلق ... اذا ما زلَّت القدم
وتبقى الليل ساهرة ... اذا ما مسني الالم

* * *

لمحتُ بعينك الدنيا ... تشع سنى وتضطرم
وضاعت من شذا أكم ... بعينك وازدهت أكم
لمستُ طفولتي تومي ... بمختضب وتلتثم
وما شيدت من هرم ... تضاءل عنده الهرم
وكم لي فيك من نغم ... تصاغر دونه النغم
على جفنيك للاشواق ... راح محلقاً علم
لسان الشوق نمَّام ... ودمع الوجد منسجم

* * *

أبي والناس قد فتنوا ... بأوهام وما علموا
تغنوا بالنعيم وما ... أراهم دهرهم نعموا
ولو عقل الالى لم تلقهم ... أيامهم أثموا
أبي يا ضلَّ سعي الناس ... في المجد الذي وهموا
أكان المجد غير أب ... به في الخطب يعتصم
وهل يعدو النعيم حماك ... ما عصفت بيَ النقم
رأيتُ الله في عينيك ... حين رنوتَ تبتسم

دمشق ... عدنان مردم بك

الشخصية المميزة : هذا هو الهدف

بقلم رشـاد دارغوث



عبيـد الغـير



احدى (١) مسرحيات « جان بول سارتر » يسخر الكاتب الفرنسي الكبير سخرية لاذعة ، من فريق من المثقفين . فيتهمهم بانهم عبيد لآراء الغير ، يقبلونها دون نقاش ، ويرضخون لما يملي عليهم دون تفكير .

ويقول الاديب المفكر الامريكي « الفرد هويتهيد » :
« ليس على سطح الارض امة اشقى من قوم تقتصر ثقافتهم على ما يتلقنونه من معلومات » .

فيلتقي هذان المفكران الغربيان المعاصران ، مع المعجم العربي القديم ، على السخرية من « حملة » الاراء والعقائد والمعلومات ، وسائر المستوردات ... التي لا تتحول في نفوس حامليها الى طاقة انتاجية ، الى قدرة على الخلق والانشاء .

لقد اطلق المعجم العربي على هؤلاء العبيد ، عبيد « جان بول سارتر » واولئك الاشقياء ، اشقياء « الفريد هويتهيد » ، اطلق عليهم لقبا الطف وارق . فدعى واحدهم امعا او امعة . ويقول القاموسيون في تعريفه : « انه التابع لكل انسان على رأيه » .

ونحن نؤثر ، بعد ان نالت المراة حقوقها — ان تزد اليها الصيغة الثانية ، فنقول رجل امع ، وامراة امعة ، تحقيقا لمبدا المساواة !

من البداهي ان نقول بعد هذا ، أن « جان بول سارتر ، والفريد هويتهيد » والمعجميين كافة لم يقصدوا الى الحد من قدرة الانسان على التكيف ، و من ميله الطبيعي الى الاقتباس . كلا ، فالذكاء — في احدث تعريف له — هو تلك القدرة بالذات ، القدرة على التكيف والانسجام ، وبالتالي القدرة على الاخذ والعطاء في تفاعل مستمر مع الاحياء والاشياء ، وفي تطور لا ينتهي الا بانتهاء الحياة عند الفرد—وبقيام الساعة عندالانسانيةجمعاء.

التجرد في طلب العلم

جاء في الحديث المحمدي المأثور : اطلب العلم من المهد الى اللحد « ولو في الصين » . والعلم ، كما لا يخفى هو سبيل ذلك التطور ، بما يحمله الى الانسان من وعي ومعرفة ، هي لباب الثقافة .

وصيغة الامر في هذا التوجيه الحكيم لا تحل طالب العلم من شرط التجرد ، لوجه المعرفة . وهو الشرط الذي لا يثمر العلم من دونه أبدا ، ولا يؤدي حامله ، من دونه ، رسالة على الاطلاق .

وهل من باعث على طلب المعرفة ، سواء ، كانت علما تجريبيا او ادبا خلاقا ، او فلسفة مشرقة ، الا ان تكون « للانسان » زادا لعقله وقلبه وروحه — فتطبعه بطابع خاص ، في ما يقول ويعمل ، او يرى ويرتأى كما هو الطعام « للحيوان » غذاء لوظائفه العضوية ؟ بل هذا الطعام المادي نفسه ، هل تتحصل منه فائدة ، مهما جودنا اصنافه ونوعنا مولده ، اذا لم نهضمه ونتمثله ، فيتحول الى مادة اخرى مشحونة بالطاقة الفاعلة ، كما يشحن شريط الكهرباء بالنار والنور .

المعرفة سبيل الانتاج

وهلا نظرنا الى النبات ، وهو دون الحيوان مرتبة : ان قصبة السكر وشجيرة الليمون وشجرة السنديان ، جميعهم يتناولون مادة غذائية واحدة ، فيحولها هذا الى سكر ، وذلك الى حامض ، وذلك الى علقم !

بل ان البطيخ والحنظل ... وهما النبتتان المتشابهتان ، كالاختين التوامين ، تعيشان في الرمل ، وتنتزعان من ذراته الجافة غذاءهما : فيحول البطيخ ذلك الى حلاوة مستساغة ، بينما يحوله الحنظل الى مرارة لا تستساغ !

افاذا كان هذا هو شأن الحيوان والنبات ، في ما يصدر عنه ، فهل هناك احرى من الانسان ، بان ينهد الى تحقيق ذاته ورسالته ، فيحول زاد المعرفة فيه الى صبغة تميزه عن سواه من الكائنات ، وتسمو به من حضيض الابتذال الى المستوى اللائق به ، وبما انفقه من جهود وتضحيات ، في سبيل الحصول على تلك الكنوز ؟

ونحن نعلم ، من بعد ، ان المعرفة اذا كانت حقا تستحق هذا الاسم ، لا بد ان تتحول بصورة آلية الى عمل منتج ، هو ثمرة الانسان العارف ، يدفعها هو بطابعه الخاص ، وتدل هي عليه :

ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار !

وحينئذ اذا كانت المعرفة طبا مثلا ، كان صاحبها متطوعا للقضاء على الامراض . وان كانت فقها ، كان

(١) محاضرة القاها الكاتب في ١٥-٤-١٩٥٥ على نخبة من رجال الفكر والسياسة ونساء المجتمع الراقي في خلية الملك سعود الاجتماعية ببيروت

صاحبها عالما هدفه تسويد القانون والنظم . وان كانت تربية ، كان حاملها رسولا ينشد اعداد جيل صالح ، وامة حية . وان كانت المعرفة هندسة كان صاحبها مهندسا مبدعا ، او صانعا مخترعا ، او زارعا يجود الاصناف او كانت موهبة ، كان صاحبها شاعرا يبعث امة ، او موسيقارا ينشيء الانسانية ، او زعيما يقود الى المجد — لا فرق بين ذكر وانثى ، ولا بين عامل وعامل ، الا بمقدار ما يتميز به العمل نفسه ، من تجرد وتجويد واتقان .

والمجتمع الذي يقوم على مثل هذه الركائز هو مجتمع سليم ، قوي الاسس متين الاركان — لا تزعزعه الرياح — شرقية كانت او غربية ، لان افراده لا يتأثرون في الواقع — الا بما ينسجم مع مقومات كيانه ، ومقومات شخصياتهم المميزة — من تعاليم وآراء واشياء .

النجاح في اداء الرسالة

لا تقولوا هذا مجتمع مثالي ... لا ينبغي للناس ان يحققوه ، وهم بشر من لحم ودم ! كلا فمثل هـذا المجتمع السليم هو هدف العارفين الواعين ، في جميع الامم الحية وهم عاملون على تركيز قواعده ، وناجحون في ارسائها ، برغم اساليب الوصولية والمكيافيلية التي يحسبها بعضهم طرقا الى النجاح . وهم ، اذا اعتقدوا ان الغنى ليس هو السعادة ، وان الشهرة ليست هي المجد ، وان القوة ليست هي الخلود — لا يقللون من قيمة هذه الوسائل التي لا غنى عنها للنجاح . ولكنهم لا يكتفون بالحصول عليها وحدها ، ثم يقعدون . فهم يعرفون ان النجاح ، في مثل هـذه الحالة ، يظل بعيدا عنهم .

النجاح في الحقيقة ، يدركه من يؤدي رسالته — اية كانت تلك الرسالة : رسالة العامل المجود لعمله ، او رسالة الاديب الموجه لقومه ، او رسالة الزعيم المتجرد لوجه امته او رسالة الام القادرة على حمل رسالتها الخطيرة .

تلك الرسالة هي الامانة التي حملها الانسان .. منذ كان . والانسان العالم العارف اعظم من سواه مسؤولية عن ادائها ، عن حسن ادائها . اما الذين لا يؤدونها فهم الفاشلون ... هم الذين يذهبون عاجلا او آجلا ، مع الريح ... يذهبون هم وعلمهم واموالهم وقوتهم وسلطانهم ... دون ان يتركوا حتى دوي الريح في الاذان .

بلى انهم يتركون اثارا : اولها سخرية الناس بهم ، واخرها سخرية التاريخ .

عداوة قديمة

في الحكايات المأثورة ان احد العلماء العارفين وفد الى قرية ... فوجد سكانها ملتفين حول زعيم منهم ، كور عمامته ، ووسع جبته على غاية ما يرام . وقد اوجس شرا ذلك المالك سعيدا ، من العالم القادم جديدا بمهارة ذلك العالم الفنان ، ولا سيما اذا قيس بهـذا وصاحب الخرج لا يحب صاحب المخلابة ، منذ القديم . فارسل اليه يتحداه ، مع بعض زبانيته ، ويقول : « اذا كنت عالما حقا .. كما تدعي ، فارسم لنا مثل هذه الحية التي رسمها « زعيمنا » قدس الله سره ! »

ودفع الرسول الى الرجل العارف بورقة ، عليها خط متعرج ، قد يشبه كل صورة الا صورة الحية .

حينئذ ابتسم العالم المتواضع ، واخذ قلما فرسم تحت صورة « الزعيم » صورة لحية ، جاءت آية في الابداع .. كأنها الحية التي غررت بجدتنا حواء ... في الاسطورة !

ولما عاد الرسول يحمل الرسم المزدوج ، اجتمع اهل القرية حول « زعيمهم » وفي عيونهم وميض من الاعجاب بمهارة ذلك العالم الفنان ، ولاسيما اذا قيس بهـذا « الزعيم » الامي الجاهل . الا انه وميض سرعان ما خبا فالجماعة ما تعودوا ان يروا الا بعيون ذلك الطاغوت ، ولا تعودوا ان يفكروا بغير عقله .

واذا بصوت « الزعيم » يعلو مزمجرا هازئا :

— « انظروا يا ناس ، يا عالم ، هل صورة هذه الحية شبيهة بصورة الحية التي رسمتها لكم انا ؟ »

وهز الناس رؤوسهم ... يوافقون الزعيم على رأيه . ويستنكرون معه « جهل » ذلك الدخيل الدعي . ثم توترت اعصابهم ، فحملوا عصيهم ، وتوجهوا الى حيث كان العالم المسكين .. فأوسعوه ضربا وتهشيما ، واضطروه الى الرحيل من القرية ... وسجلت الجهالة بذلك نجاحا كبيرا ، وحققت الغوغائية اعظم انتصار .

الغرض مرض

اذكر هذه الحكاية كلما قرأت لفريق من رجالنا اللامعين — زآيا لو تبصروا هم فيه ، لما ارتضوه ولما ارتضوا ان يكونوا مطية لسواهم فيه . فهذا لا تعجبه لغتنا ... لانها صعبة . اي انه لا يستطيع ان يتقنها دون تعلم او دون ان يبذل في سبيل تعلمها المجهود اللازم ، كما يبذل في سبيل تعلم سواها من اللغات ، وهي لا تقل عنها صعوبات — وذلك يتواضع فتعجبه اللغة ، ولكنه لا يستسيغ حروفها ... لا لسبب فني او جمالي ، بل لانها تكتب من اليمين الى اليسار ... ولكن المسكين لا يدري ان امة الصين ، وهي ست مئة مليون نسمة ، قد قررت اخيرا الكتابة من اليمين الى اليسار ، بداعي ان ذلك اقرب الى منطق الامور .

وذلك خر لا تعجبه قواعد هذه اللغة .. المبنية على اسس المنطق من قياس واشتقاق ، والتي تتميز بالمطاوعة والمرونة ، كافضل ما تكون اللغة الحية . فيدعو الى احلال اللهجات « العامية » محل اللغة الصحيحة ... على الرغم من فوضى تلك اللهجات وقبحها ، وضيق آفاقها ، وعلى الرغم من جمال هذه اللغة ، واتساع آفاقها ومساوقتها للفكر والخيال .

رسالة بناء لا هدم

هؤلاء وامثالهم يجدون من يستمع اليهم ويصفق لهم . وهم لو استهدفوا اداء رسالتهم حقا ، رسالة المعرفة — لحولوا وجوههم شطر اصلاح التراث اللغوي ، لا تهديمه وهو تراث عظيم ، ولكنه متروك منذ مئات السنين ، لم تمتد اليه يد بتحريك او تيسير او تعديل . ومن لا ماضي له ، لا حاضر له ، ولا مستقبل . والانسياق مع آراء الغير وضد منطق الامور ، وعكس مصلحة الفرد والجماعة لا ينسجم مع طبيعة المعرفة المتجردة اصلا — ولا مع طبيعة الشخصية العارفة الواعية . كما ان البناء لا الهدم هو رسالة العلماء العارفين ، والرسل المصلحين .

قال المسيح ابن مريم (ع) : جئت متمما لا ناقضا..

وقال محمد بن عبد الله (ص) : بعثت لاتمم مكارم الاخلاق !

وفي يقيني ان المجتمع السليم لا يقوم الا على ركائز العارفين البنائين ، المتميزين بالاخلاص والتجرد ، العاملين بوحي انفسهم ، المنصهرة في بوتقة الجماعة . اما الهدامون المشككون ، الذين يكتفون بزعزعة ايمان الناس ، وخلخلة ابنيتهم ، او هلهلة اثوابهم ... فهؤلاء شر من الجهلة الاميين . لا لانهم مفتقرون الى عناصر الشخصية في ما يرونه ويصدر عنهم ، فحسب — بل لانهم تخلوا عن اقدس مقدسات الانسان العالم العارف وهي الحرية !

الامعية تسحق الشخصية

نحن نعيش ، كما تعلمون في الشرق ، وطبيعة الحياة ، ومنطق التاريخ ، في هذه البقعة من العالم ، يحملان الناس على تقديس الاديان السماوية . هذا واقع لا سبيل الى انكاره ، وان كنا لا نتناول ، ولا نحب ان نتناول أيا من شؤون الفكر والاجتماع ، بمقاييس رجال الدين .

لذلك لا نقف موقف الوعاظ ، ولا نهدف اصلا الى جعل الناس ، جميع الناس ، قديسين ابرارا ، ا واولياء صالحين . ولا يخطر ببالنا على الاطلاق ، ان ندعو الناس الى الوقوف سدا في وجه الحضارة الحديثة التي تأخذنا سيولها من كل جانب . ولكننا نريد ، ونؤمن بقدرتنا على تحقيق ما نريد — نريد ان يضع كل منا ، كل عارف وعارفة — حدا لما يتلمسه في نفسه من ميوعة ، وانسياق عفوي مع الغير ، وآراء الغير ، هذه الميوعة بل هذه «الامعية» تسحق شخصية الفرد المميزة سحقا ، وتمسح شخصية الامة مسحا !

تعرفت الى شاب عراقي وفد الى لبنان للدراسة ، فاصيب ، بعد فترة ، ببداية مرض نفسي خطير ... وكان ان رجا الي صديق عراقي مشترك ، ان اعالج ما صاب الفتى ... ولنسمه داء « الوحشة » — بتعريفه الى اشخاص يأنس بهم ، فيذهب ما به . ففعلت مسرورا ، يحدوني عاملان : الاول عامل انساني ، والثاني عامل وطني فقد كان ذلك الشاب واهله وجيران اهله ... في العراق ، يرمون لبنان واهل لبنان... بكل نقيصة وفرية ، فاكتسبت لوطني صديقا ، بل اصدقاء صاروا يتعشقون ارضه ويحبون اهله .

ثم ذهب الفتى الى امريكا حيث يتخصص ... في الهندسة البترولية . وهناك عاوده الداء ... فكتب الي يصب جام غضبه — هذه المرة على امريكا والامريكيين ... ويقول بالحرف الواحد : « ان المجتمع هنا ، يقوم على الفساد تدعمه المادة » .

بين الرغوة والصريح

ووجدت ان مهنتي الانسانية لم تنته وان انتهت مهمتي الوطنية . فكتبت الى صاحبي انصحه ، بعد ان ترك جامعة ايلندا ، والتحق بجامعة واشنطون — حيث يكثر المغتربون العرب ... (فيتاح له ان يتصل من وقت الى اخر باشخاص ... تشعره لغتهم وتقاليدهم المشتركة ... انه لم يبرح لحد ما ، في موطنه ، وبين اهله ، فيذهب ما به من داء الوحشة الاليم) .

كتبت اليه ، اقول بالحرف الواحد : « قد يكون الفساد المادي الذي ذكرته ، يا عزيزي ، هو الرغوة التي تطفو ... اما ما ينفع ، فيمكث دائما في الارض ، في اسفل . وليس بالامكان ان نتصور مجتمعا حيا تقوم فيه دولة عظيمة ، وينشأ افراد افذاذ ... اذا كان ذلك المجتمع قائما على الفساد وحده ... ولو دعمته جميع قوى المادة ! لا بد ان يكون هنالك قواعد اخرى ، ومعطيات وملكات لدى الفرد ولدى الجماعة ، هي التي تقيم التوازن بين الفساد والصلاح بين الشر والخير — او على الاصح ، هي التي ترجح الصلاح والخير ، كي يستمر لذاك المجتمع وجود ، ويدوم ازدهار» .

النظرة الاولى حمقاء

وقد اعترف صاحبي ، فيما بعد ، بان نظرته الاولى كانت سطحية حمقاء ... ثم اكد لي انه كلما تعمق في دراسة الناس هناك ومميزاتهم ، ودراسة المجتمع ، وما يقوم عليه من تنظيم وتقدير للكفايات العلمية والفنية ، وللمواهب الانسانية ، كلما كبر ذاك الفرد في عينيه ، وعظم ذلك المجتمع في نفسه .

الا ان اشياء كثيرة استرعت اهتمام صاحبي، منها الخيِّر ومنها ما هو اقل خيرا ، ومنها ما هو اقرب الى الشر ، وجميعها تطبع الفرد والمجتمع الامريكيين بطابع خاص . فقد آلمه ، مثلا ذلك الكره الجنسي الذي يلاحق به البيض مواطنيهم السود ... (حتى اذا قررت بعض الولايات اباحة الاختلاط — في المدارس — بين ابناء هؤلاء وهؤلاء ، ثار البيض — نساء ورجالا ، ثورة حملتهم على الفتك باطفال السود ، في وسط الشوارع العامة ، كأنهم كلاب مسعورة ...) .

(فالبيض لا يتصورون امكان الجمع بين اولادهم ، واولاد « عبيدهم » القدماء تحت سقف واحد — ولو كان سقف المدرسة !) .

الفوضائية تهدم المجتمع

ولم يفقه صاحبي « معنى » لاضاءة الشموع في المنزل — مع وجود الكهرباء وانوارها الساطعة ، ولكنه اعجب حتى الاكبار ... بذلك التنظيم البديع والنظام الرائع ، اللذين يسودان كل انسان وكل شيء ، كل بيت وكل مصنع . فليس هناك طلاب او عمال او رجال شارع ... يشتغلون في السياسة مثلا ، وان كانوا يشتركون ويشاركون بواسطة الاحزاب في وضع مخططها العام ، وفي اقراره .

وقد روى لي انه حاول مرة ان يتحدث الى « حلاقه » حول سياسة الولايات المتحدة ... في الشرق العربي ! فبعد ان استمع اليه الحلاق باهتمام ، قال له : « من رأيي ان تبحثوا لكم ، انتم العرب ، عن شي « ايزنهاور » ... فتوفروا نفسكم كثيرا عن الكلام . »

(وعلى سبيل الاستطراد ، روى لي صديق من هنا ، ان احد السياح الانكليز ، وصل منذ ايام الى دكان ، يبيع صاحبها قليلا من السجاير ، وكثيرا من التوجيهات السياسية . فسأل السائح البياع عن معنى الحكمة ... المنشورة في ذلك اليوم على لوحة الدكان ... فانبرى البياع الفيلسوف لالقاء محاضرة ... في سياسة بريطانيا

[التتمة في الصفحة ٨٦]

رشاد دارغوث

صـــلاة

حجـــر

✳

لادونيـــس

•

دمشـق

✳

مخبّأة في ممرٍّ صغيرٍ من
الكون ، يلطأ تحت الحياةِ
وفي الصمت ينمو فمي وصلاتي

✶

أقرمط بين مسافات عمري
لاني خيال لاني حقيقة
فأنّى يلاقي وجودي طريقه

✶

تعثّر بي ، الامسَ ، طفل يغني
فشحّ نشيدُهُ ،
ألا من يغرّز فيَّ صداهُ
ألا من يُعيدُهُ ؟

✶

بي الحسّ ينمو كبذرة غيمٍ
كزئبق شمعٍ ،
بي الحسّ كالنار ، حتى ليأكلُ
عمق جفوني وينقب سمعي .

✶

من الطين كوّنتُ ، والناس طينٌ
لذلك غنّيتُ لحظة عمري
ومُغمغم في شفتيَّ اليقينُ

✶

لاغباش عينيَّ كوةٌ فجر
تضيءُ متى اسودّ فيَّ الوجودُ ،
كأنيَ خيّرت آن يضيعُ
يقينيَ مني وآن يعودُ .

✶

يسميني الفكر شيئاً وبيني
وبين ثناياه وحدةُ أصلٍ
كأنْ يكتب الوهمُ كلَّ غناه
ويوحي له كل شيءٍ ويملي .

✶

يمرُّ بي العابرون كباراً
كباراً كشلال عشبٍ كغيمه
وأمسٍ فُرشت غطاءً لقبرٍ
طريّ ، وكنتُ ركيزة خيمه .

✶

بقاءٌ أنا والسماءُ بقاءٌ
فأي البقاءين أحلى وأغنى ؟
سألت ... فهل لسؤالي معنى ؟

✶

أنا العمر عنديَ حلم وصمتُ
أنا العمر عندي ،
ترابٌ يضمُّ بقاياي بعدي .

نفسية الكاتب

بقلم وديع فلسطين

○

نجتهد في هذه العجالة ان نطلق ضوءا على نفسية الكاتب ، ولا سيما الكاتب المحدث ، مستقرئين ذلك مما تطالعنا به دوريات الادب في هذه الايام .

فالظاهرة التي لا ريب فيها ان الكاتب في يومنا هذا يختلف اختلافا جوهريا عن الكاتب في الجيل الفائت ، ودع عنك ما تقدمه من اجيال . فالكاتب الحديث عجلان لا يصبر ولا يتأنى . لا يكاد يلم به خاطر حتى يسطره على الورق ويدفع به الى المطبعة فتدفعه المطبعة بدورها الى القارىء . والقارىء بدوره عجلان يتخطف ما تدفعه الطابعة فيقرأه قراءة عجلى ثم يطرحه في بحر من النسيان، ما لم يصب المقال هوى من نفسه او يهز القصيد وترا من اوتار حياته فيبقى له اثر لا يبرح مخيلته . فنحن اليوم في عصر السرعة وعصر الانتاج الدافق الكاسح وعصر الجماهير . فليكتب صاحب القلم متعجلا ، وليكتب أي شيء وكل شيء ، ولا حرج عليه من ذلك ما دامت الجماهير تقرأ ما يكتب ، وما دام القارىء مترفقا متسامحا لا ينتقد ما يقرأ بل يغفر للكاتب زلته ان زل ، واضعا اللوم على المطبعة فهي دائما المسؤول الاول والاخير عن كل خطأ في المعنى او المبنى او النحو .

اما كاتب الامس ، فكان مستأنيا متأملا ، يكتب بكثير من الامعان وغير قليل من البصر بالامور ، ديدنه ديدن الباحث الدارس الذي لا يتحرج من الرجوع الى المظان ان اعوزه ان يتثبت من امر ، فان خامرته ريبة ، استعان باسلوب الشك لا بأسلوب القطع والبت ، وازنا كلماته وعباراته حتى لا يستعمل الا الصحيح منها ، عازفا عن الالفاظ المعيبة والتي تلوكها السنة الغوغاء . كما كان القارىء في الزمن الماضي اقسى على الكاتب من قارىء اليوم . فكان ميزانه في النقد صارما ، ولم يكن يطرح على الالة الطابعة الصماء ملامته كلما عرض له خطأ ، بل كان يؤاخذ الكاتب عنه سواء عبر الكاتب عن قصده شعرا او نثرا .

والكاتب الحديث على وجه عام يتسم بتوتر الاعصاب وسرعة الانفعال ، فلا يتسع وقته لانعام الفكر او لتغليب الراي . فلا يكاد يجول بذهنه خاطر حتى يسبقه القلم الى تسطره كيفما اتفق ، فلا مجال للتعمق او التنميق ، بل لا مجال للتأكد من صدق ما يستشهد به من وقائع او بيانات ، فالمطبعة في انتظار انتاجه والقارىء مسماح كريم .

ولهذا يصح القول ان الكاتب الحديث اصدق تعبيرا واكثر اخلاصا من الكاتب القديم ، لانه مندفع متحمس لا يقف في سبيله شيء ، فسواء كان رأيه مما تواضعت عليه الجماعة او مما جافته ، فانه لا ينثني عن الاعراب عنه جهارا نهارا . اما الكاتب في جيل مضى ، فقد كان طابعه الحذر والتردد ، يخشى بدعة الخروج على الاجماع ويؤثر مسايرة الناس في ما اصطلحوا عليه . فان خالفهم او خاصمهم ، طوى شعره او نثره خشية نقمة الجماعة عليه .

بيد انه يلوح مما تنقله الينا دوريات الادب ان الاهتمام بالتعبير عن خلجات النفس تعبيرا صادقا والعناية بابداء الرغبات الجياشة في الصدور دونما رياء لا يتأتيان الا اذا ضحى الكاتب باللغة فاهدر قواعدها وتنكب سبل اصولها وانحرف عن جادتها وهجر البليغ منحدرا الى العامي يأخذ عنه ومنه ما يسعفه في الاداء ، حتى وان نفر منه الذوق السليم . ومصداق ذلك ما يصدر اليوم من ادب القصة بفروعها ، فاغلبه قليل الاحتفال بالاداة — وهي اللغة — لانه منصرف الى الاحتفال بالصورة يرسمها امام القارىء ناطقة معبرة . وجل هذا الادب يعمد الى العامية المتداعية المتهالكة دون البليغة الرصينة ، لان العامية ، تسعف بينما البليغة تقعد من ليس كفوءا لها وتحتاج الى عناء ليس لدى صاحب القلم متسع له او قدرة على احتماله ومكابدته .

ومصداق ذلك ايضا ما تجري به اقلام الكتاب في الصحف السيارة ، حتى صار الهزال طابع الكتابة من حيث الشكل ، وخل عنك الموضوع . واللغة في كل ذلك هي الضحية المشتركة ، تذبح كل يوم على مذابح تتعدد اسماؤها.

واذا حاولنا تعليل هذه الظاهرة وجدنا ان اول سبب لها هو القصور : قصور الكاتب عن الالمام باللغة التي يريد بها ان يرسل اراءه وافكاره الى جمهرة القارئين . وهو قصور مع اصرار وعناد لان حامل القلم يعرض عن الدراسة عامدا ولا رغبة له في التمكن من اللغة . حتى لقد جاهر بعض « ائمة » هذه المدرسة بانه لن يعني نفسه بعد الان بمراعاة اصول اللغة ، ولن يعطي كتبه للمصححين يقومون ما اعوج من عبارتها ويصححون ما انحرف منها عن قواعد اللغة ، لان اللغة ثانوية بالنسبة له ولا تستحق كل هذا الاهتمام . فسيان عند الكاتب ان يرضى القارىء او ان يسخط ، ما دامت كتبه تباع بالالاف وما دام القراء راضين بهذه الكتب على علاتها .

ثم ان الكاتب الحديث يغلب عليه طابع الادعاء العريض ادعاء المعرفة بكل شيء . ولعل هذا هو سبب اتسام كثير مما نقرأ بطابع التعالي والتشامخ . فكل كاتب حجة ثبت لا يرقى شك الى ما يصدر عنه . ومفروض في القارىء ان يصدق كل ما يقرأ بلا سؤال او استفهام . حتى لقد ذهب الباحثون الى حد الاستغناء عن ايراد المراجع استغناء تاما . وهذا كبيرهم عباس محمود العقاد لا يذكر مرجعا واحدا في ما يصنفه من كتب ، وهذا نشاذ في سنن العلماء والباحثين الذين لا يوردون قولا دون ان يرجعوه الى قائله مبينين مكان وروده بالتحديد . والكبرياء قد تكون محمدة عند الكاتب ، ولكن اجمل منها ان يكون تواضع العلماء شيمة الكاتب ، فيحني راسه للحق دون مكابرة .

ومما يلاحظ في الادب الحديث ان الكاتب عموما يزدري القارىء في قرارة نفسه ، فيفترض فيه الجهل لا العلم . ولو كان الكاتب يحترم عقول قرائه لتروي بعض الشيء حتى لا يؤخذ بجريرة خطئه . وقد اغنانا الاستاذ نظير زيتون عن ايراد امثلة على ذلك ، فسرد لنا في مقاله المنشور بالاديب (عدد سبتمبر ١٩٥٦) طائفة من النماذج الصارخة على استهانة من يحملون القلم برسالتهم اولا ثم بعقول قرائهم بعد ذلك . ولا نظن ان من الامانة لرسالة الادب ان ينحو الادباء هذا النحو ، فالامانة تحتم عليهم ان يخلصوا لاقلامهم وان يخلصوا لمن يخاطبونهم بالكلام المنشور المطبوع .

الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.
في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ — المنزل ٢٥١٣٩
Tél. Direc : 23819 — Dle. : 25139

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير أديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ــ لبنان

والصلة التي تقوم بين الكاتب والقارىء تستند قبل كل شيء الى الثقة ، ثقة القراء بامانة الكاتب وصدقه وثقة الكاتب في فهم القراء وحسن استعدادهم . ويخطىء كثيرا من يستكبر على قرائه فيزري بما يبدونه من ملاحظات واراء على ما يكتب ، ولا سيما اذا كانت تلك الاراء جديرة بالعناية داعية الى احترام من صدرت عنه .

ويتسم ادب الشباب بالحدة والعنف حين ينتقل من مرحلة البحث الهادىء الى مرحلة النقاش والمساجلة . وقد تابعنا طرفا من هذه المساجلات في الدوريات الادبية المختلفة ، فهالنا ان نرى المعركة تنتقل من حلبة الموضوع الى حلبة الاشخاص ، فيتبادل المتساجلون القول المقذع ، ويضيع الجد في وسط اللغو الذي لا طائل من ورائه . وعيب هذه المساجلات انها تتناول مسائل تمت الى الذوق الخاص بامتن الاسبا ب، ومعروف انه ليست هناك قاعدة عامة تنتظم جميع الاذواق والمشارب على اختلاف اشكالها وضروبها . وعلى الرغم من هذه الحقيقة ، فان الخائضين في الجدل يفرطون في التمسك باحكامهم معرضين عن سواها ، وكل يدعي ان حكمه هو الفيصل الذي لا معقب عليه . وادب الجدل هو ضرب من ضروب التعصب الذي قد لا يكون له مسوغ من علم او حقيقة ، شأن من يقول ان البيضة وجدت قبل الدجاجة فيتصدى لمعارضته من يزعم بغير ذلك . فهل يفيد مثل هذا الجدل مهما تكن النتيجة التي يسفر عنها ؟

وقد اتسع معنى كلمة « كاتب » حتى صار يشمل كل من يحمل بيمينه قلما وكل من يمهر بامضائه قولا منشورا. وكذلك اتسع معنى كلمة « اديب » حتى بات يشمل كل من ينتمي الى رابطة من روابط الادب او ناد من انديته . ولو كانت روابط الادب وانديته تتوخى شيئا من الاناة في اختيار اعضائها ، لكانت عضويتها كافية لاطلاق صفة « الاديب » على زيد من الناس ولكن هذه الاندية ، رغبة منها في اكتساب اكبر عدد من الاعضاء وفي تقاضي اوفر قدر من مال الاشتراكات، تفتح ابوابها على مصاريعها ولا توصدها في وجه احد . ومن ثم صار الاديب يعرف بانه كل من ينتمي الى ناد ادبي ، وكل من يحمل بطاقة تحقيق للشخصية صادرة عن هذا النادي ! اما وقد نال هذه « الشهادة » ، فليكتب « الدرر » الغوالي وليبعث بها الى دوريات الادب لتنشرها في الصدارة لا في المؤخرة .

وليت رؤساء تحرير المجلات الادبية يحدثوننا عما يلقونه من هؤلاء الكتاب الذين لا يحسنون لغة ولا اسلوبا ولا تفكيرا . بل ليت مصححي المجلات الادبية يروون لنا ما يصادفونه من طرف ونوادر وهم يراجعون كتابات هؤلاء .

فالكاتب اليوم قليل القراءة ، ولكنه كثير الانتاج ، والعبرة هنا ــ من وجهة نظره ــ هي بالكم لا بالكيف . وكان من نتيجة ذلك ان فشت السطحية بين الكتاب لظنهم انهم يستطيعون ان يعيشوا دون حاجة الى قراءة كتاب جدي . وهذه الظاهرة انما ترتد بدورها الى طابع الغرور الذي يسيطر على كل من رأى اسمه مطبوعا . ولا عجب ، فللكلام المطبوع سحره تضفيه عليه المطبعة حتى وان كان خلوا من كل اصالة .

القاهرة — **وديع فلسطين**

الزمر الدموية والدراسات النفسية والاجتماعية

بقلم الدكتور عبد الكريم اليافي

لعلماء النفس والاجتماع محاولات متعددة الوجوه في تطبيق مباحث علم الاحياء (البيولوجيا) على الدراسات النفسية والاجتماعية ؛ ولعل من اطرف ذلك علاقة الطباع بالزمر الدموية الرئيسية والعامل Rh

الطباع والزمر الدموية

علاقة الطباع بالزمر الدموية تنوه بهاالباحثة الفرنسية ليون بوردل Léone Bourdel الاستاذة بالمدرسة العليا للبيولوجيا البشرية بباريس . نلخص اراءها فيما يلي :

تعرف ليون بوردل المزاج وتصنفه اربعة اصناف تعتمد في تسميتها على بعض المصطلحات الموسيقية من الوجهة النفسية ثم تذكر كيف وجدت علاقة اصناف المزاج بالزمر الدموية .

المزاج عندها هو الاستعداد العميق الاساسي الذي يعين شكل انسجام الانسان مع الحياة ؛ وله اربعة نماذج : المتوافقي Harmonique واللحني Mélodique والايقاعي Rhythmique والتوافقي اللحني الايقاعي H.M.R

فالتوافقي شديد الاحساس يجد في نفسه صدى لكل شيء . وهو بحاجة الى ان يحيا بانسجام واتفاق مع ما يحيط به ويحف به ، اذ كان لا تتفتح مواهبه ولا يتكامل الا في بيئة مناسبة له . فان ازعجه شيء وكدر عليه صفوه او وجد من بيئته قلة تفهم انطوى على نفسه وخمد او تباعد او قاوم ذلك في بعض الاحايين بعنف شديد . وهو اغنى الامزجة واكثرها طرافة وابتكارا . ولكنه اسرعها تأثرا وانثلاما . ويتمثل هذا المزاج في الفنان .

واللحني هو على خلافه ينسجم دائما مع محيطه وبيئته ، فهو يحيا حياته ويشعر بها كانها لحن او انشودة تنبسط وتتعرج لتتلاءم مع الاشياء والظروف والحوادث وحياة بقية الناس . فله ميل طبيعي الى الاندماج العضوي في البيئة التي يعيش فيها ، ويتبدل بتبدلها ، يخف الى اتباع الزى الدارج ، قليل الابتكار ، انتهازي ، ويتمثل في التاجر والدبلوماسي .

والايقاعي لا يعمل الا حسب نسقه الخاص وايقاعه الشخصي في مختلف الظروف والبيئات . فهو لا يستطيع ان يحقق ذاته الا في حدود ذلك النسق ووفق ذلك الايقاع . وهو لا ينجز من الاعمال الا ما فهمه ودعاه اما عفوا واما بالاستنتاج والمحاكمة ، ولا يحاول الانسجام مع البيئة الخارجية ، بل يمضي قدما في طريقه ، ويتمثل في الجندي .

والتوافقي اللحني الايقاعي له خصائص النماذج السابقة ، ولذلك يكون قلقا في الغالب ، معذبا ، ممزقا بالريب والوسواس . وهو بحاجة الى ان يفرق بين خصائص النماذج الثلاثة السابقة التي تعتلج في طبيعته وان يتفهمها ، ويستفيد من تلك الخصائص تباعا واحدة بعد أخرى ، ويتحامى تدافعها معا في وقت واحد .

هذه النماذج الاساسية انكشفت للاستاذة بوردل بالاختبارات والروائز المعروفة في علم النفس والتحليل النفساني منذ سنة ١٩٣٨ حين طبقتها على طائفة من الاشخاص في فترات زمانية تختلف بين ثلاثة اشهر وثلاث سنوات . وهي لا توجد خالصة في الشخص وانما تكون مختلطة ، فيغلب على الشخص واحد منها ، وتبين لها ايضا انها ثابتة مع الزمان ولكنها مع ثبوتها تتبع سنة التطور التي تقتضي ان ينقص مقدار التوافقي مع تقدم العمر ويزداد مقدار الايقاعي . اما مقدار اللحني فيختلف بحسب العوامل او الظروف . ولا يكاد يتغير النموذج الا في الاحوال النادرة .

ثم في سنة ١٩٤٣ فحصيت هذه السيدة الزمر الدموية للاشخاص الذين كانت قد درستهم من الناحية النفسية ، فتبين لها ان هنالك علاقة بين الزمر الدموية الاربع الرئيسية المعروفة في البيولوجيا وبين نماذج الامزجة المذكورة انفا . وتفاد هذه العلاقة بالقوانين الاتية :

١ ــ الشخص المنتسب الى الزمرة الدموية آ (A) ذو مزاج توافقي ،

٢ ــ الشخص المنتسب الى الزمرة الدموية الصفر (0) يغلب عليه المزاج اللحني ،

٣ ــ الشخص المنتسب الى الزمرة الدموية ب (B) ذو مزاج ايقاعي

٤ ــ الشخص المنتسب الى الزمرة الدموية آ ب(AB) يملك المزاج المثلث التوافقي اللحني الايقاعي .

وتشتد طرافة هذه العلاقة عند العلم ان الزمرة الدموية الصفر تقابل المزاج اللحني الكثير الانسجام والملاءمة . ومن المعروف ان الدم الذي ينتسب الى هذه الزمرة يدعى بالمعطي العام في مباحث نقل الدماء ، وهو لا يتنافى مع دم من الدماء . وكذلك المزاج التوافقي اللحني الايقاعي يقابل الدم آ ب الذي هو آخذ عام . وهو ذو حساسية متعددة الوجوه لا يعطي دمه الا من كان من زمرته .

هذه النماذج المزاجية الاساسية فطرية كالزمر الدموية المقابلة ، ثم تنضاف اليها نماذج ثانوية تنشأ عن التربية والتثقيف والكسب ؛ وربما كان لهذه النماذج الثانوية ارتباط بالزمر الدموية الثانوية المعروفة في الدم ولكن لما يتهيأ كشف هذا الارتباط .

وتشبه ليون بوردل المزاج بالمحرك والقابليات والاستعدادات الفيزيولوجية والعقلية بالالات . ولا شك ان المحرك اهم من الالات . وتضرب مثلا على ذلك الخطيب اليوناني ديموستن . انه كان ضئيل الاستعداد للخطابة ، ومع ذلك فقد بلغ فيها شأوا بعيدا نظرا لاندفاعه ومزاجه . اما اذا كان المحرك ضعيفا او غير كامل فان الاخفاق يقع بسببه .

وتتجاوز الباحثة ما لخصناه الى تبين ميول الرجال في اختيار زوجاتهم والنساء في اختيار ازواجهن فتعتمد على الاحصاءات الفرنسية المتهيئة لديها .

تلتمس نساء الزمرة (آ) التماسا عفويا رجال الزمرة (آ) نفسها كانهن يقدرن انهن لا يفهمهن الا هؤلاء الرجال . ويلتمس رجال الزمرة (آ) نساء الزمرة (الصفر) كأنهم يرجون عند هؤلاء النساء عونا في مجال الانسجام مع المحيط الاجتماعي . ويلتمس رجال الزمرة (الصفر) نساء الزمرة (ب) وكذلك تلتمس نساء الزمرة (الصفر) رجال الزمرة (ب) ، ثم رجال الزمرة (آ) . ورجال الزمرة (ب) ونساؤها يلتمسون قريناتهم وقرناءهن من الزمرة (الصفر). وعناصر الزمرة (آ ب) قليلة في فرنسا اذ تبلغ ٤ ٪ ولذلك لم يتوافر الاحصاء حولهم في مجال الزواج .

ثم ان العزبة تغلب عند نساء الزمرة (آ) ، فهؤلاء اقل النساء تزوجا كانهن لانطوائهن وقلة تفتحهن وخوفهن من قلة الانسجام تضعف سرعة زواجهن . ثم يأتي رجال الزمرة (ب) كأنهم يرغبون في الاحتفاظ بكامل حريتهم . ثم يأتي رجال الزمرة (آ ب) .

ويغلب الزواج بين نساء الزمرة (آ ب) غلبة نسبية لقلة عدد هذه الزمرة ، ثم بين رجال الزمرة الصفر ، ثم بين رجال الزمرة (آ) وكذلك بين نساء الزمرة (ب).

وقل ان يتزوج المطلقون والمطلقات مرة ثانية اذا كانوا من الزمرة (آ ب) او الزمرة (آ) ، ولكن النساء اللواتي من الزمرة (الصفر) سريعات الزواج بعد طلاقهن .

ولا يخفى ان هذه النتائج طريفة تفتح امام الباحثين سبلا جديدة . وهي ان صحت لا تنطبق في الغالب الا على المجتمعات التى حصلت فيها تلك الدراسات ، لان العزوبة والزواج من القضايا ذات الصفة الاجتماعية الشديدة ، فهما مرتبطان ارتباطا وثيقا بنمط الحياة الاجتماعية التي تستطيع ان تؤثر فيها من وجوه متعددة .

ثم تتجاوز بوردل مباحثها هذه الى تبين خصائص الشعوب ونفسياتهم بالاعتماد على غلبة نسب الزمر الدموية بعضها على بعض ، وتنتهي الى نتائج لا تخلو من طرافة .

على ان اهم من ذلك في علم الاجتماع واقوى اساسا وامكن دعائم قضية الزمرة الدموية Rh وما يتسبب عنها من عقم في الاسر او بعض امراض تصيب الاطفال .

الزمرة Rh

كشف هذا العامل سنة ١٩٤٠ العالمان الامريكيان وينر Wiener وبترز Peters في دم القرد المسمى Macacus Rhesus وفي دم الانسان ايضا . وهو منتشر بين الناس بنسبة ٨٠ـ٨٥ ٪ فوجدوه في الدم او عدم وجوده يقسم الدماء الى زمرتين ، زيادة على ما هو معلوم من انقسام الدماء الى زمرها المعروفة .

ومكانة هذا العامل ان يفسر بعض الحوادث الطارئة عند نقل الدم المتكرر ، لان الدم المحقون اذا كانت كرياته تحوى مولدة التراص Rh استدعى حصول عامل مضاد هو ما يسمى بالجسم الضدي او الداحرة Anticorps في الدم المنقول اليه ان كان هذا الدم خاليا من تلك المولدة . فالنقل يتم بسلام في المرة الاولى ، ولكن تكرره يجعل الجسم الضدي او Rh السالب المتكون في دم الاخذ يستدعي تراص كريات الدم المحقون . وكذلك يستطيع هذا العامل ان يفسر بعض طوارىء الحمل المتكرر عند الامهات الحوامل ، وبعض امراض المواليد كاليرقان حالالدم الاسري Ictère hémolytique familial وذلك اذا كان دم الجنين يحوي العامل Rh وراثة عن ابيه ، على حين لا يحوي دم الام هذا العامل ، فان الحمل الاول والولادة الاولى عندئذ يقعان سليمين . ولكن يتكون في دم الام الجسم الضدى او الداحرة او العامل Rh السالب . فيؤثرفي دم الجنين الثاني والثالث والاجنة الردافي، وبتعث مرضهم وفقر الدم عندهم . ولقد تقدمت دراسة العامل Rh في السنوات الاخيرة وميزت انواع مختلفة منه .

ويعالج مرض المواليد الاطفال هذا بتغيير دمائهم واستبدال دم جديد معين بها ، وهكذا يمكن انقاذ الوف الاطفال كل سنة بتقدم البيولوجيا وفروعها .

هذا العامل ينذر اذن بخطر الزواج عند اختلاف الدماء من هذه الوجهة . ولذلك ينصح للخطيبين الراغبين في الزواج والانسال ان يعمدا الى فحص دمائهما هل هي متفقة في هذا العامل فيقبلا على الزواج أم هي متفاوتة فيفكرا فيما هما عازمان عليه . على ان الذي يضعف خطر هذا العامل قلة شيوعه بين الناس (١٥ـ٢٠ ٪) فيكون احتمال التفاوت بين دماء الزوجين ضئيلا بوجه عام .

حقا ان العلم في العصر الحاضر اصبح شديد الشبه بالنهر الزاخر العظيم يزداد اتساعه وحفوله مع الزمان كلما ازدادت روافده وكثرت الغدران التي تتصل به وتنتهي اليه .

الجامعة السورية بدمشق عبد الكريم اليافي

حنين وذكريات

ارسلت هذه القصيدة ـ منذ سنوات ـ الى رفيق الصبا الشاعر كناري وهو مقيم بالاسكندرية قبل هجرته الى جدة وذلك رداً على خطاب له أثار ذكريات عزيزات .. فاليه في وطنه الجديد .. هذه الابيات ...

أيها الشاعر المقيم على الشط حناناً .. فلست بالمتناسي
أنا في بلدة المعز غريب يقطع العمر باكي الاحساس
ضائعاً في الدروب يطوي مآسيه ويمضي مغنياً للناس
واللحون التي بجنبيه جفت والبقايا تجود بالانفاس
والزمان الغشوم هدَّم مغناه وألقى عليه ظل المآسي
فاذا مر حاقد يتشفى لم يجد غير وحشة الارماس
وعهود تجعَّدت في الزوايا كبقايا فؤاده الحساس

★ ★ ★

أيها الشاعر المقيم على الشط حناناً ... فلست بالمتناسي
قد أهجت الحنين للرمل والموج .. وصفو الضحى .. وسحر الاماسي
في طريق موشح بأصيل يترامى على « أبي العباس (١) »
طالما سرت يا رفيقي فيه ومعي قلبك الكبير المواسي
نقطع الصمت بالقصيد ونبني من خيال الصبا الجبال الرواسي
ونهد الوجودُ حينا اذا شئنا ونبني الدنى بلا مقياس
ويعيش الطموح ريان بالمجد وينمو بروحنا كالغراس
وافترقنا .. فحال صفو ليالينا وأضحت كئيبة أعراسي
أنت في شطنا الحبيب وقلبي مستكين الى يد النخاس !

(١) مسجد الامام ابي العباس بالاسكندرية .

كمال نشأت
من رابطة النهر الخالد

القاهرة

قصة قصيرة

بالرفاه والبنين

بقلم احمد عويدات

« ليس سعيا وراء الخلود ما يجعلنا خالدين ، ولن نصبح قيما مطلقة لننتقل من قرن الى آخر بمجرد ان نعكس في مؤلفاتنا بعض المبادىء العارية وكثيرا ما تكون فارغة وعديمة النفع ، بل لاننا نكون قد عاركنا عصرنا بملء عواطفنا وبملء عواطفنا احببنا هذا العصر وارتضينا ان نفنى فيه بكليتنا . »

جان بول سارتر

*

لا تسلني كيف علق بها واستجاب لهذا النداء العاطفي في نفسه ، حتى اذا حاول ان يستجلي هذاالنداء كان طيفها ـ طيف نعمت ـ اول ما طاف في تفكيره فدغدغ قلبه وهيمن على كيانه واستحوذ عليه الساعات والليالي وكان له الانيس الدائم والرفيق الباسم في روحاته وغدواته في خلواته ومشاغله في راحته وتحصيله

وانه لم يعلق بها وحسب ، بل يخيل الي ان كل ما في هذه الدنيا من امتداد وانطلاق قد انحسر وتضاءل (وما قيمته !) ليتجمع حولها وليجدل لها ضفائر الآمال الخضر يتذوق النعيم في لقائها وتشد عزيمته بفكرها وتعطيه رواء وانهارا دفاقا بحيويتها .

ولكن ما ان يأنس الى نفسه قليلا وتفارقه هذه الاشواق وتلك الشموع ويحاول بفكره (هذه المرة) ان يستشف ما يدور وراء هذه العاطفة او يخلو الى منطقة لما تطلها هذه الاخيرة بعد ، بل تتربص بها ، شعر صاحبنا فريد بهزة في كيانه مصدرها التفكير لا الاحساس والعقل لا الرغبة . واكثر ما تعتريه هذه الهزة وهو راجع وحده قبيل منتصف الليل والشارع هادىء حالم الا من وقع خطوات بعيدة الصدى أقرب ما تكون الى الايقاع .. وفريد بهذه الخطوات الوئيدة التي ترتبط مع تفكيره الى حد كبير ، يعترضه دون الوصول الى نعمت حجر ثقيل ...

اما هي ـ وثق اني لا اخترع لكوني رجلا يتكلم عن فتاة ولن احاول أن استنبط ذلك من الدراسات النفسية الحديثة اذا قلت لك بانها رأت فيه الفارس الذي لبى ما فيها من رغبات وجموح ـ فقد اعجبتها فيه قامته وان لم تفصح عن ذلك ، وسحرتها تقاطيع وجهه التي تنم عن عزم وثقة ، وما هذان الخطان في طول جبهته ، تماشيهما احيانا خطوط اخرى الا لتضيف الى الاعجاب والسحر هذين نوعا لا استطيع وصفه الا بنضج الرجولة ، هذه الرجولة التي تنشدها المرأة باقوى عبارة وتساوم عليها احيانا بكل ما يزخر فيها من جمال وعفة وشباب . وهذا الشعر الكث المنتفش ، في قساوته وفي تلمس قساوته ما يدخل الزهو الى نفسها ويغذي كبرياءها . وهذا الصوت ، ما اكثر ما تراءى لنعمت حقيقة واقعة وهي في غرفتها بعد نصف الليل تسامر النجوم في طيف فريد .

ـ نعمت ! لو كان لي ان اصوغ لك الكلام الذي اعتاد عليه المحبون والعاشقون لفضلت ان لا ابوح بشيء . ولكني .. آه لو تعلمين اني افضل ان إعبدك على ان اقول احبك ! وان افنى فيك واذوب بكل جارحة تنبض وكل بارقة تبدو وكل اشارة يكون مصدرها هذا الجمال (أعلمي اني اريد ان ارفع رصيد لفظة الجمال حين اتحدث عن جمالك) ، وان هذا الجمال ، جمالك يا نعمت ، يمتد الى المستقبل مستقبلنا ، حيث نخلق معا سعادة هذا المجتمع ... وان هذه السعادة اعددنا لها كفاحنا ومهرناها بالصراع وقومناها بالصبر والعزم .. نعمت ! أحلف لك ...

ولكن نعمت تقطع الصدى متمتمة :

ـ فريد ! ارجوك ! لا تحلف .. ان قلبي يرتجف رعبا اذا حلفت .

قالت هذا وهي تتلفت واجفة ، وكأن انظارها تحاذر باب الغرفة الكبير . ولكنها عادت فانصتت الى الصوت الذي يأتيها من اعالي شجرة الاكاسيا ولما لم تسمع شيئا تابعت :

ـ أصدقني يا فريد .. أما زلت مصمما امام ...

وغام صوتها اذ تراءى لها ما يشبه الحديث الخفي او كأنها نفرت ان تقول في سؤالها : هذه العراقيل ، فارهفت السمع جيدا لتتبين كلمة من وراء هذه النسمات الطرية المنعشة التي يمتاز بها خريف بيروت فوصلت الى مسمعها غمغمة لم تلبث ان فهمتها : ما زلت .. نعم .. ما زلت ... وغابت الغمغمة او لعلها ذابت في هذه الدفقة المتموجة من الاوراق التي تساقطت على الشارع او كأن الطبيعة يحلو لها احيانا إن تتلهى بعواطف البشر ومصالحهم وهمومهم . ولم تعد نعمت ليهمها من الطبيعة جمالها او هدوءها ـ وهي التي طالما احبتها ـ بقدر ما داخلها من النفور واللامبالاة .

ليت هذه الاشجار رفقت بنعمت فلم تحرمها من تتمة الحوار ... ولكن بئست هذه الطبيعة ! فها هي تعود الى سريرها وقد استخفها ما يشبه الجذل والطرب .. أما يحق لها ان تطرب وقد استجمعت من الطبيعة ذاتها صدى كلمات فريد .. هذه الكلمات التي سمعتها منه وهما يفترقان آخر الليل ؟.. وانطرحت على السرير . ولكن واآسفاه ما ان تلمست الوسادة لتطلب نوما مريحا

بين هذه الاطياف الحالمة حتى شعرت كأن راسها ، هي الاخرى . رضه حجر ثقيل ...

حجر ثقيل في طريق فريد ،
وحجر ثقيل يرض راس نعمت .
وحجر ثقيل يجثم على صدري انا المؤلف !

فللكتاب مشاكلهم ايضا ... وان القارىء حين يراهم يؤلفون قد لا يفطن الى انهم يعيشون ... وان انفاسهم تتقطع وهم يكتبون ..

واني لن اكون اكثر خيرا لغيري ، واكثر تفانيا لاشخاص اذا ربطني بهم الصداقة والمحبة والمعرفة افنيت فيهم نفسي واعطيتهم مدخور قوتي . كما اني لن اكون عاقا فانكر عطفي على نعمت ورثائي لفريد ، لكني وقد اصبحت « صديقا » للطرفين، مدعو الى ازالة هذه الاحجار ... ولكن (اه لو حذفت هذه اللفظة من الوجود !) كان مما ليس منه بد ، فاحدث بسذاجتي ، وبدلا من ان اتبين اوضاع المجتمع الذي نعيش فيه فأمس ما يمس واتلافى « ما لا يمس » اذا بصديقي فريد يأخذني بما يشبه العنف ولا يرفق بهده الصدمه فيضع امامي كوما من الاحجار الثقيله ويصرخ في وجهي بما يشبه التقريع :

ـ وانت ماذا تقول في هذه القضية؟

فلم اجب بل سحبت مجة طويلة من التبغ وانا احاذر ان ارى في عينيه هذا الضياء الصاخب. واردف بلهجة معتدلة :

ـ ستقول انها مشكلة عويصة.. اعرف هذا .. ولكني لست اعرف الى اي مدى تؤمن بضمان حلها .

لكم ارثي لفريد . انه كما يقولون متعلق باهداب الامل ، ولا يريد ان يتصور بله يوقن بضياع كل شيء ولست ادري كيف انطلقت من بين شفتي هذه العبارة الجافة :

ـ ليس لي اطلاع وافر على هذا لذلك من الصعب ان ابدي رايا حول موضوع لم اتناوله بالدرس اولا ..

لكم ندمت وتملكني الغيظ ان أتلفظ بمثل هذه الحماقات لانها في الواقع آلمتني قبل ان تؤلم فريد .. وعبثا حاولت ان اغير منها او اضيف عليها بان مجرد الحديث في موضوع كهذا يعد خروجا على العرف ،وان من يمسه من قرب او بعد مصيره ... وما ادراك ما مصيره ... ولم استرسل طويلا اذ ان فريد اجاب عليها بضحكه اطلقها . درجت مفعله، ثم امتدت قهقهة حزينه وذابت بعد عشرات الثواني في نهنهات وهو يهز راسه ويضرب كفا بكف : ادباء ! هولاء ادباء !!

وعاد الى كرسيه بعد ان عاد اليه بعض هدوئه . ولعله شعر بهذا الرد العميق الذي تجاوب في نفسي من وقع سيء لتهكمه وبانه اشتط في تحميل الصداقة فوق طاقتها ، فمال علي وراح يقول ملطفا تهكمه ويداه تشاركانه في الحديث:

ـ كنت اظن ان مثل هذه الاجوبة وقف على السياسيين فقط .. اذ لم يعد مستغربا من الشخص اذا كان مرشحا للنيابه مثلا ان يشحن برنامجه بنقاط يبدؤها : اولا وثانيا وثالثا .. ولو حاولت ان تدرس هذه النقاط تبين لك في جوهرها ان ثانيا لا يختلف عن رابعا ورابعا لا يختلف عن عاشرا ... حتى اذا جاءه اليوم السعيد كان النائب نفسه صاحب البرنامج الضخم اول من انكر على نفسه مثل هذه الترهات ! وتراه حينئذ يردد عند كل مسألة عبارته المعهودة : ننظر في الامر ! او ندرس القضية !

وسكت لحظة بعد ان حزت في نفسي عبارته الاخيرة وهو يصوبها نحوي كالسهم الحاد : « ندرس القضية » او « لذلك من الصعب ان ابدي رايا حول موضوع لم أتناوله بالدرس اولا » هما سيان ، ومع ذلك فقد تكون الثانية اخف ثقلا واقوى تعبيرا من الاولى ، كما انه قد يكون فيها ايضا ما لا يحمل على التشجيع لايجاد حل .. ومن هنا فعبارة الرجل السياسي اقل تشاؤما من عبارتي ..

وساد هدوء قصير قطعه فريد باعداد لفافة تبغ ثم مال يمينا ويسارا يفتش في جيب بنطلونه :

ـ معك عود كبريت ؟

فاسرعت واشعلت له العود بحركة لست ادري أكانت تكفيرا عن ذنبي ام ضعفا وخضوعا لفكرته ام تلبية لهذا الرصيد من الصداقة . وعب مجة طويلة في جوفه ، ولعله في تلك اللحظات كان يستجمع بعض الافكار اما انا فقد اصابتني دهشة غريبة الوقع تجلدت لها وحرصت على ان لا يبدر مني راي طائش بعد هذا وان اتحفظ لدى اي اقتراح .. بل قلت في نفسي . الحجر الثقيل نفسه الذي حدثتني عنه نعمت منذ ايام !

اذا اعطيت مفتاح غرفة مهجورة ، عريقه في القدم ، وكان لزميلك او لصديق لك مصلحه مباشره في الدخول . امن الحكمة ان تكون انت اول الداخلين من الباب المرصود ؟

لذلك لن اكون اكثر خيرا لفريد واكثر تفانيا لنعمت في ان اكون كبش الفداء ، بل همست في نفسي: لو عالجت الموضوع من احد اطرافه لتمكنت على الاقل من الانحراف بالحديث عن « المقدسات » وطرق الباب المرصود فاقول له مثلا : انت يا فريد تحب نعمت ، ونعمت تحبك هذه واحدة . وجميل ان يكون هذا الحب ثمرة استمرار في الوفاء والتقدير والاحترام ، واجمل منه ايضا ان تنشأ عنه رغبة مشتركه في الزواج ولكن هذه الرغبة لا تلبث ان ترتطم هنا بحاجز هائل . فانت يا فريد لست من مذهب نعمت كما ان نعمت ، بطبيعة الحال ، ليست من مذهبك . انت وان تكن ذا ثقافه وعلم واخلاق ، فعائلتك ، واسمح لي ان اقول هذا التعبير ، تشمخ بالتقاليد وترى فيك الخلف الطيب للسلف الصالح . ونعمت ، وان تكن ربيت في جو غربي حديث فاستبعد ان يكون ابوها النائب غبيا في ان يفقد مؤيديه وانصاره في مهنته النيابية . وانك يا فريد لم تعط مثلك اعلاه عن ـ الرجل السياسي ـ بالذات الا لانه يتصل بك اتصالا مباشرا عميقا وهذا ـ اذا فهمت ـ اول راي تصدره عن والدها واسجله عليك .

كان فريد ينظر الي بين حين وآخر وكانه يقرأ في وجهي ما يجول بنفسي من تأثير هذه الصورة التي جمع فيها الرجل السياسي والاديب : الاول في شخص ابيها والثاني في شخصي . وما من شك بان نفسه قد اترعت بهذا النصر الذي احرزه فداخله من الظفر ما خفف من لوعة مصابه وواقع حاله ومن الزهو والفرح الصبياني ما يدخره لحديث شهي يرويه على نعمت في الموعد المقبل . ولا شيء أصدق وادل على الاحبة ،

اذا كانوا كنعمت وفريد ، من تبادل الاخلاص ورواية الاحداث اليومية وكل ما من شأنه ان يتصل بهما او يقف عثرة في سبيلهما حتى ولو كانت هذه العثرة من اقرب الناس اليهما . ففريد لم يخف على نعمت تبرمه باهله ، ونعمت لم تكن اقل سخطا على ابيها . وعائلة فريد كما هو الواقع ليست اقل تمسكا بالتقاليد والعادات والعرف من فؤاد بك . لذلك ما ان اجتمع الشابان مرة في الشهور الماضية الاخيرة الا وكان حديث الاهل العقبة الكأداء في سبيل سعادتهما. وانهما ليعلمان حق العلم ، بل ان الزمن اكد لهما انه بعد ان تعارفا وكانا في مدرسة واحدة وبعد ان تفتحت عاطفتهما اثر نجاحهما في شهادة « البريفه » في دورة واحدة ايضا ، انه قد آن لهما ان يواجها المستقبل بخطى ثابتة ، وان يتبينا مصلحتهما على ضوء ما ينبع في نفسيهما لا على ما اعتاد الناس ان يأخذوا به .

ولكن مهما يكن من ثقل هذا الحجر الكبير الذي يعترض فريد دون الوصول الى نعمت فلا بد من الاشارة الى ان لنعمت عليه سحرا عجيبا فما هو ان تذكر انه سيلقاها مساء اليوم ، على الرغم من التوعد والوعيد الذي يلقاه الاثنان ، حتى داخلته نشوة جديدة وتحفز لانتصار جديد فاطفأ اللفافة ولما يصل النار الى وسطها باصابع دقيقة بدت عصبيتها خفيفة.

— قد تعجب اذا قلت لك باني لم اتخصص في الهندسة المائية في اوروبا الا نزولا عند رغبة اهلي . واعتقد انه لو كان لي حرية التصرف وفق رغبتي لتابعت التصوير الزيتي اذ ان لي ميلا غريبا لهذا الفن . ولعل نعمت هي التي غذت في هذه الرغبة — واني ما زلت احتفظ بلوحة صورت فيها نعمت بعد شهادة البكالوريا — اقول هذا لتعلم اني لست كهؤلاء الكثيرين اللذين اذا تخصصوا في ناحية ما اهملوا النواحي الاخرى . ولم اطلع فقط على اتجاه التصوير الحديث بل انني سايرت المسرح والسينما والموسيقى حتى السياسة. وما كنت ادع فرصة تفوتني لاحيا واعب واشبع نهمي في مختلف ميادين الثقافة والمدارس الفكرية حتى اني فهمت بيتهوفن ليس من رجال الموسيقى وحفلات الكونسير وحسب بل من رجال السياسة فقرات لرئيس مجلس النواب الفرنسي ادوار هريو مؤلفه القيم عن بيتهوفن.

وتوقف لحظة سرعان ما تابع مستطردا :

— والان ما هو الدور الذي ينبغي ان تقوموا به انتم معشر الادباء ، لو اني لا احب الادعاء ولست من اهله ولكن هذا لا يمنعني من القول اني لا اجد كتابا واحدا يعالج مشكلة من مشاكلنا ... مما يضطرني الى قراءة الكتب الاجنبية وهذه على الرغم من ميولها صدقني انها اقرب بكثير الى اظهار حقيقتنا بعيوبها ومحاسنها من الادباء الذين يعيشون بين ظهرانينا. ما هو الادب عندنا ؟ ما معنى ان الادب ينبض عن الحياة ؟ لكم ارثى لهذا الذي يقول اني اصور الحياة بنبضاتها ، او يقول لك : اني اعب من الحياة فهي ينبوع الادب الفياض ! كأن احدا من البشر يعيش في غير هذه الحياة ! او كأن احدا من الناس لا يحس ويأكل ويتألم ويسهر ويطرب ويرقص ويغني ! اليست الحياة في كل مكان ؟

بديهي ان صوته لم يكن هادئا بل كانت الالفاظ تتطاير شظايا من بين شفتيه وكيانه كله يشترك بهذه الانفعالات . وكأن مقعدي ضاق بي فحملت نفسي واقفا لاتهالك على مقعد آخر بالقرب من فريد . وما ان اصبحت على يساره حتى مال الي طامعا بصمتي واصغائي واردف :

— اننا نتكلم في الفضاء ، فلنحدد اذا شئت : هل ان الاديب مصور متجول على ساحة البرج ؟ ام انه بائع زهور يضفر الاكاليل ام انه بوق ينفخ فيه ام انه درويش من الدراويش ؟

واسترسل فريد في موقفه فاخذ على الادباء قصورهم عن تصوير الحياة ومشاكلها وعلى الشرق هذا الجمود وهذا التسليم ، وبان الحياة غاضت : فسد هواؤها واسن ماؤها .. وخلص الى القول بان رسالة الاديب الحق في ان يغوص في اعماق هذا الينبوع العكر ليستأصل اوساخه وقذارته ، وان السياسي قد يخلق دولة ليتربع في الحكم ولكن على الاديب وحده خلق الوطن الموحد . وحتى لا يكون حديثه موجها فقط الى مشكلته الخاصة عرج على : اني اعب من الحياة فهي ينبوع الادب الفياض : هذه العبارة التقليدية التي يرسلها نفر من الادباء فناقشها ووسم اصحابها بالجمود والاذعان ولم يرفق بقائليها فرد عليهم وهو في اوج اندفاعه :

— اني لا اريد ان اكون مدينا للحياة فاعب منها دون ان اعطيها !

وخلت ان قبضة يده هي التي تتكلم وهو يلفظ : دون ان اعطيها ! فجاءت قوية فخمة عنيفة ، ولم يستطع فريد مع كل هذا ان يخفي وراء هذه العبارة ما يتصل بمشاكله الخاصة ولو انك استطعت ان تنفذ الى اعماقه في تلك اللحظة لسمعته يقول :

« ان في نعمت حياتي او موتي . لم اعرف من الدنيا غيرها ، بل تفتح شبابي على الدنيا بفضل بسمتها . فاي معنى لوجودي اذا حرمت من دنياي واية نعمة تعدل نعمت ؟ بيد ان مذهبينا يفصلان بيننا ...

وكأنه لحظ على شفتي تتحركان ، او خيل اليه ما يحوم بنفسي فتابع :

« ماذا ؟ تقول ان هناك احتمال ؟ ان اعتنق مذهبها او احملها على اعتناق مذهبي ؟ من قال لك انها لا تتزوجني الا بدافع الشفقة ؟ من قال اني لا اتزوجها الا بدافع الرثاء ؟ لا لا ، هذه مساومة وليست تضحية ولا اريد ان اعرف لهذا الحب غير التقدير .. نعم يبدو لك اني يافع طري العود ، ولكن اعلم اني استطيع ان اخلق بيتا ، اكون مسئولا عنه ، اعيله واحنو عليه ، واعلم اني اعرف كيف اواجه حياة الواقع . وانني الآن باق في وظيفتي بناء على رغبة الحكومة التي انتدبتني لتمثيلها في مؤتمر المصالح المائية في اوروبا ، ومن ثم سوف ازاول الاعمال الحرة اثر انتهاء المؤتمر .

وشعرت كأن الالفاظ تخرج حائرة من بين شفتيه :

« اهي خطيئة ابدية هذه التي جعلتني اولد من ابوين ليسا من مذهب اهل نعمت ؟

ويبدو ان فريد قد اصيب بخيبة عميقة لهذا الصمت الذي تحصنت به فحار في تعليله على الرغم مما ضمن حديثه من غمز وتعريض بالادباء . ولم يمكث طويلا بعد ان رأى من صديقه وجها لم يألفه . وما ان رأى العقرب

الصغير يتجاوز السادسة مساء حتى هب من مكانه فتحركت معه وما ان وصلت واياه الى باب الغرفة الذي يطل على الدرج حتى ربت على كتفه :

ـ فهمت كل ما يجول بنفسك ، واني سررت لزيارتك لي كصديق ، واستمعت الى آرائك وان لم اناقشك بها وقد سمعت من نعمت ما يشبهها منذ اسبوع .. وها ان موقفي منك لا يختلف عن موقفي منها فاليكما الآن اقول : لا تطمعا مني بنصيحة فما انتما باليافعين !

ودون ان يجيب بكلمة نزل الدرج وما ان وصل الى وسطه ودار على يمينه في الطابق الاول من البناية حتى توقف لحظة قبالتي فحدجني بنظرة صامتة رددت عليها بابتسامة مستبشرة وبعبارة جاءت متكلفة على قدر اهل العزم ! وشعرت بثقل هذه « التعزية » تصدر عني بعد ان كان مني ما كان فحاولت ان اضيف شيئا آخر ولكن بعد ان رج الباب الكبير كان الصدى يردد معي بحزن ولوعة :

ـ تحيتي الى نعمت .

* * *

ـ فريد !

ـ نعمت !

وطبع على يدها قبلة ملتهبة امتد شوقها الى وجنتيه وان بدا ما يشبهه على وجنتيها ، وصبغ الاحمرار وجهيهما فلاذا بالصمت : افصح بيان لن يجد العاشقون تعبيرا أجمل منه . وفاض بشر فريد فتناول بيديه يديها واجلسها قريبا منه في الزاوية نفسها من المقهى التي اعتاد الاثنان ارتيادها منذ الصيف الماضي . وانك قد تعجب كيف يبرح الشوق بفريد ونعمت ولما يمض على لقائهما الاخير غير يومين فقط فتقول انه الهيام ، وقد يكون ذلك حقا ، كما انه ليس ببعيد ان تتربص بهذا الشوق طبقة غائمة من الهموم كالدودة الصغيرة في قلب تفاحة جميلة لا يرى الناظر منها شيئا . ومن حسن الحظ ان الناظر هذا هو خادم المقهى الذي يقوم بخدمتهما كل مساء ويحترم هيكل العشاق . اما فريد فقد احس كأن شيئا وخزه :

ـ نعمت ! ما بك ؟

ـ لا شيء يا فريد ..

ـ هل تشعرين بالبرد ؟ اغلق النافذة ؟

ـ لا . لا .. اني اسمع صدى الامواج !

ـ ان يديك ترجفان يا نعمت !

ـ اني .. آه .. لا تذهب الى النافذة ، ارجوك .. اقترب مني يا فريد . اريد ان اشعر اني لست وحدي وانا اسمع صدى الامواج .. اني .. خائفة ! !

لفظت العبارة الاخيرة وكأنها خلاصة ما يضطرب في نفسها من اخذ ورد واقدام وخيبة . وراع فريد هذا الصوت الذي يحمل في طياته ، فوق الاسى والحزن ، الخوف على الاقدام باعمق معانيه .

ـ مم تخافين ؟

قالها فريد وقد حضن يديها الى صدره وراح ينظر اليها كمن يحصي عليها انفاسها ويسجل على وجهها ادق النبرات . انه وان يعرف موضوع الحديث الا انه لم يعرف بعد ما يدور في ذهنها وما يخبئه له يوم البارحة وهذا النهار ـ الوقت ما بين اللقائين ـ لذلك ران اليها بسمعه بعد أن صاغ السؤال بصورة لمس فيها مبعث ترددها :

ـ ما الذي يخيفك ، تكلمي !

وضمت انظاره عنقها فوقعت عند اعلى صدرها لتتدرج متمهلة فوق هذه الخفقات التي يرى الان ، ولاول مرة نبضاتها .

ـ آه .. فريد .. ارني عينيك !

قل لي : لم تحبني ؟

ـ هه ! سؤال طريف

اتبع جوابه برنة اهتزت لها حاجباه وارتسمت لها خطوط جبهته .

ـ اجبت هكذا ؟

ـ آه .. نعمت .. ارني عينيك ، لا ، هكذا ، وحرك صدغيها باصابعه ، اجيبيني : لم احببتني ؟

فأجابت بصوت كالضياء .

ـ احببتك لانك غلبتني .. غلبت في التقاليد العتيقة التي يأخذ بها والدي والتي لولاها لما صلحت له النيابة .. وغلبت في التربية التي حملتنيها عادات خالتي وعماتي ولما كنت اقرب الي من هذه التقاليد وتلك العادات ، واصلح فتحت لك قلبي ..

اترى استطاع فريد من هذا الجواب ان يتمثل ما جرى البارحة وهذا اليوم بين نعمت ووالدها . كل ما يعرفه فريد قبل هذا الموعد ان فؤاد بك والد نعمت تملكه الجزع والخوف والهم الى حد كبير . فهو لا يفرط قيد شعرة فيما يسميه « شرف العائلة » حينا و « حرمة التقاليد » حينا اخر ، ثم انه من ناحية اخرى يحب فتاته الوحيدة . وانه وان اختط ما اختط من مبادىء ومثل واتجاه فان سعادة ابنته ورفاهيتها قد تركتا تأثيرا كبيرا في وجوده . بل ان السعادة والرفاهية هاتين قد اخضعتا كثيرا مما يأخذ الناس به على صعيد المجتمع . فالوطنية وحب المبادىء والخدمة العامة والتغني بالرسالات و.. الخ . سخرت كلها الى حد كبير لضمان سعادة نعمت ورفاهيتها . ولا تنتظر مني ان اغدق على فؤاد بك المديح او اشوه شخصيته بتجريده من اية فضيلة او ان انال منه لهذا الموقف الذي وقفه من ابنته . فهو بعد ذلك حر ان يتصرف كيف يشاء ثم انه لن يكون للمجتمع قبل ان يبدأ بتدعيم نفسه وفرض هيبته . وهاتان الاخيرتان لم يقم بهما عن طريق نبيل غير الانبياء . فلا تطلب اذن من فؤاد بك الافق العريض الرحب اذا كان يدب دبيبا في محيطه ويتهالك وراء اطماعه شأن الانسان الابتدائي .

وما دام ذلك كذلك فحذار ان تطلب رأيه في الشبيبة ورأيه في الاجيال الطالعة ورأيه في المصير الذي سوف ينتهي اليه ابناء عشيرته (كدت افضل ان اضع بدل عشيرته : وطنه !)

ولكن هل الذنب ذنبي اذا كان له فتاة ؟ وهل الذنب ذنبي ان تحب ؟ وهل ذنبي ان لا يأخذ الفتى بالطقوس نفسها التي تحملها هذه الفتاة في دفتر هويتها ؟

لئن كان للحب روافد تغذيه كالمال والحسب والنسب او القوام الجميل او الجاه العريض فاعيذك ان تكون اعطيته تعريفا او حذار ان تظن ان للحب تخوما يمكن ان يعصف بها . فها هي نعمت تزداد حبا وهياما بفريد والاثنان يعلمان ان حياتهما تبدأ من الصفر كما يقول المثل الفرنسي .. وها هو فريد يتيه فخرا واعتزازا بنعمت اذ ترضاه بما يزخر فيه من رجولة وذكاء ودأب وطموح ، هذه

الصفات التي رجحت على التقاليد والعادات التي حملتها نعمت ...

وحاول فريد ان يتكلم فانبسطت اساريره .

ـ ... وانا لم اقل لك بعد لم احببتك بدأ جملة متئدة وكأن تعتعتها النشوى . ولم يسترسل حتى اجابته مقاطعة :

ـ اعرف ماذا ستقول .. لا حاجة لترديده .. انبهك ان لا شيء يؤلمني كالاعادة على نغم واحد .. وقد احسنت بانك لم تجب حين طرحت سؤالي .. فلا داعي للقول ...

ولاول مرة يختلط الصوتان في آن واحد اذ ان فريد لم تقنعه حجتها بل كان يتابع بدوره معترضا : ـ لا .. لن اقول : احببتك على الرغم من تهديد ابي بحرماني من الميراث او ان والدي اشترط للزواج ان.........

. . . .

ما من شك بان فريد ونعمت اساءا ادب الحديث . فلا هي استمعت اليه ولا هو افصح ولا السامع وانا فهمنا من امرهما ما ينبغي ان نسمعه . ستقول انها نقطة حساسة على المؤلف ان يضع عليها النقاط فاجيب بأن ليس على المؤلف أن يضع الملعقة في فم المعاني .. وحسبه من هذه النقطة الحساسة هذه الخطوط القصيرة .

لنعد الى نعمت وفريد وانهما الان يتربعان في قلبي انهما يضحكان ويسترسلان طروبين في مناجاتهما . عجبا كيف ان الحب ، على عكس ما يشيع عنه ، اذا ما اوتي سلاحا صادقا كفيل باجتراح العجائب وانه اذا امتحنته الحياة اليومية ليبدو اقوى مراسا واشد باسا مما تعارف عليه بعضهم . ففريد مع ما قدمنا عنه من شغف وهيام بنعمت يقف في طليعة الاخصائيين في عالم الهندسة المائية وها ان الحكومة تجد نفسها ـ على الرغم من التأثير المعادي الذي يقوم به فؤاد بك ـ مضطرة الى انتدابه لتمثيلها هذا الصيف في امستردام . وان اخلاصه في اعمل للدائرة التي يشغلها والتي ساعدت الى حد كبير في تيسير الرفاهية وخففت من حدة البطالة بين العمال عما يرضي ضميره وينال سكوت رؤسائه ان لم يكن عطفهم وتشجيعهم (لان فؤاد بك بالمرصاد لكل ترقية يستحقها فريد) .

واما نعمت فان طيف فريد لا يفارقها لحظة : ففي المدرسة تحرص على انماء الالفة والمحبة لخلق جيل موحد في وطن تساهم في توحيده بفضل هذا الحب . وفي البيت تنزوي في غرفتها المطلة على الشارع تتأمل شجر الاكاسيا وقليلا ما تختلط بالزائرين : اصحاب المصالح وانصار والدها في المنطقة التي فاز فيها بالمقعد النيابي .

وطالت بهما المناجاة ، فراحا



يستعيدان ايام الدراسة الثانوية وايام الصيف من كل عام حيث كانا يتمتعان من وقت لاخر باوقات لذيذة منعشة على شاطىء البحر ، وتلك الفترة التي قضاها فريد في باريس لاتمام تخصيصه .. وما اعطت لكل منهما من رسائل غنية في شتى النواحي وفي معالجة كثير من القضايا التي تحول دون توحيد الجهود وبناء جيل مواطن .

والتفتت نعمت الى فريد وقد عاودها شعور الخوف وتنهدت اذ تذكرت هذه الصرخة التي اخذها بها والدها مساء البارحة وهم على المائدة: حطم فؤاد بك كوب الماء وقذف بصحنه الى الزاوية فاصطدم بكرسي قديم وترك المائدة حانقا بينما انزوت نعمت في غرفتها لا تأتي حراكا .

اما قلت لك ساعة دخلا المقهى كانت تتربص بهما طبقة غائمة من الهموم ؟

بدأت نعمت وكأنها تخاطب نفسها:

ـ نحن الان في اوائل نوار .. انت ذاهب الى المؤتمر في...

ـ ٥ حزيران على الاكثر ويفتتح المؤتمر في العاشر منه ..

ـ اذن .. ستبقى ثلاثة اسابيع في امستردام ...

ـ امستردام بلد النرجس والاقحوان ـ التوليب ـ

وتطلعت اليه كالمجفلة وقد شابها حزن ولسان حالها يقول : وماذا بعد كل هذا ؟ ماذا تنتظر ؟ اكلمك عن المدة فتذكر لي التوليب ! وادرك فريد هذا الشعور فبادر بقوله وهو يحضن يدها كمن يعتذر :

ـ نعمت ! انها تجربة قاسية نمر بها . اني اقدر موقفك واشعر بما يراودك من حيرة ويأس وما تلقينه في البيت من صعوبات . ولقد تحملت مثلك هذه الصعوبات وانا مع اهلي حتى فضلت اخيرا ان اسكن بعيدا عنهم . بيد ان ما قمت به انا لا يبرر ان تقومي بمثله فضلا عن اني لا ارضاه لك .. ان هذا « السراب » الذي يتحدثون عنه هو حقيقة يا نعمت !

قال الجملة الاخيرة بنبرات عصبية حادة ثم اعتدل قليلا :

ـ ... لا اكتمك اني بعد رجوعي من المؤتمر سأترك الوظيفة .. واني سأغتنم فرصة مروري بباريس لاتعاقد شخصيا مع بعض المؤسسات واتصل راسا مع زملائي الاخصائيين في الري وانعاش التربة .

وسكت قليلا وكأنه يغالب في نفسه امرا ما فاحب ان يستريح من هذا العبء الذي يثقل على كيانه :

... اعاهدك باني سابقى امينا لهذه الفكرة التي نسجنا خيوطها بامالنا العذراء .. واني في سبيلها لن .. اتوانى ، اذا كان لا بد من النزول عند طلب ابيك وقبول ما « يشترط » للزواج منك ! ..

اسند راسه الى يده . وساد سكون .. اندم على ما تسرع به الان ؟ ام انه ادرك سر هذا الموقف الذي وقفته منه اثناء الزيارة التي هاجم بها الادباء في شخصي ونعى عليهم القصور الفادح ؟ ام انه يستعيد الان ما خاطب به نفسه امامي وهو يقول : « من قال انها لا تتزوجني الا بدافع الشفقة اذا اعتنقت مذهبها ؟ لا ، لا هذه مساومة وليست تضحية ولا اريد ان اعرف لهذا الحب غير التقدير ؟

لندع فريد في شروده .. نعمت ايضا ؟ ما بها ... تبكي ؟

انها تشرق بالدمع محاذرة ان لا يراها فريد وخادم المقهى ! !

* * *

من الانصاف ان لا نظلم فؤاد بك بانه يضيق الخناق على وحيدته وهو وان كان يتجه في سياسته الى الدفاع عن حقوق « الطائفة » صغيرة كانت ام كبيرة والى التمجيد بالسلف الصالح والسير على ما تركه من مآثر وبركات ... فهو لم يخلص لهذه السياسة في حياته الخاصة بل نحا منحى آخر ولم يظهر اثر تلك الا في المناورات البرلمانية لتقاسم الوظائف والمنح وعطايا الشركات وهذا خبزه اليومي ...

وقد يكون لفؤاد بك من وراء هذا شخصيتان : فهو في الوقت الذي يبارك التأخر والبلاهة والامراض (او حياة التقشف والبركة كما يسميها بتعبيره اللبق) نراه لا يحجم عن الاخذ باسباب الحضارة والرفاهية في مسكنه الانيق الحديث او في الثقافة الغربية التي ارتضاها مختارا لفتاته . ولن نذهب بعيدا في تحليل هذه الشخصية فليست من التعقيد بحيث نرجع الى قواميس علم النفس وما فؤاد بك هذا الا كذلك التاجر الكبير الذي اذا ما تسلم مقاليد وزارة (ولنقل وزارة الاقتصاد وما دام المشبه به تاجرا) كان اول ما فعله ان منع اجازات التصدير والاستيراد لا عن زبائنه... او كوارث الجاه : المشيخة او البكوية الخ... فلقن بعض التعابير الجميلة التي تأتيه من اليمين والشمال عن الكفاءات او الصالح العام او ... الخ...

وهو حين كان يدعو الى حياة البركة والقناعة اتاح لنعمت ما حذر عليه رفاقا ورفيقات لها . هذا ولن ننسى ان نسجل على فؤاد بك ظاهرة نتريث في تحديدها : كيف نفسر موافقته على دخول نعمت في مدرسة تبيح اختلاط الاناث والذكور ، والقسط الاكبر من برامجها يتناول الدروس الغربية ، مع ما عرفنا عنه من تمسك بمآثر السلف وبتقاليده ؟ وان عرفنا تفسيرا لهذا لم نعرف الحكمة من اغضاب شقيقاته اللاتي كن يظهرن نفورهن ويحملنه الكثير من التقريع واللوم وكن يعزون حب نعمت لفريد (رجل من غير مذهبها !) الى ان الكتب علمتها ذلك ! كان من الطبيعي اذن ان لا تطيق نعمت عقلية عماتها وقد جردنها كل فضيلة لانها لا تأخذ بما يأخذن . وما دام لكل مزاجه الخاص وعقليته التي تتنافر مع الاخرين فقد اصبح وكأنه الجحيم .

ولكن فؤاد بك (وهذه مأثرة اخرى) لن ييأس من صهر هذه العقد في بوتقة زعامته بفضل ما فطر عليه من سعة صدر واناة . انه رحب التفكير جدا ما دامت زعامته لا يطالها سوء ، وان حكمته قمينة ان توحد هذه الاتجاهات المتنافرة وهو الذي يرعى مصالح الناس ورايه الحكم الفصل بين المتخاصمين . فمن اولى منه بتسوية اموره الخاصة ؟

كل هذا حسن وجميل ، وان فؤاد بك لو تعلم لا يتمالك عن ابتسامة ساخرة حزينة كلما اصغى السمع الى شقيقاته العجائز فيطيب خاطرهن بكلام كأنه الصدق ، ولئن افادته الحياة السياسية بشيء فقد اكسبته التواضع والحلم..هكذا قال لاخواته

وهن يشكون اليه امر نعمت. وليس يخاف انه يحمل قسطا من التبعة وهو بينه وبين نفسه يعترف بانه تهاون فوق اللزوم حين كان الشابان في بدء تعارفهما ، واذا بالامر يفلت من يده الان بعد ان علم من امرهما ما علم . ولم يعد من القدرة بحيث يلجأ الى العنف بل رأى (في اللحظة الاخيرة) ان يشترط لزواج نعمت من فريد شروطا يرعى فيها « حرمة التقاليد » كما يزعم .

ولاول مرة يرتج صدر فؤاد بك حين يخلو الى نفسه وهو الذي لم يعهد مثل هذا الارتجاج حتى ابان المعمعات الانتخابية . يا لها من ساعة حالكة في حياته ، ويا له من موقف عرف الان خطورته . وليس لنا ان نذكر الان فؤاد بك موقفه لاشهر خلت اذ كانت البلاغة تتدفق منه وهو يهاجم الطائفية فيصفها بانها الداء الذي ينخر جسم الامة !

وشتان الان بين موقف وموقف !

بين ولي زعامة وتقاليد وبين ولي عائلة وبيت اصبح من حيث لم يكن يأمل وجها لوجه امام امتحان عسير !

ولعل اغرب من هذا وذاك ان فؤاد بك تمالك نفسه . فهو مع ذلك ليس بابن عشرين .. وان بات وجوده يتراقص فوق هذه الكلمات : زعامة ، انهيار ، فضيحة ، مأثرة خلود ! ولدى هذه الاخيرة ابرق وجهه بالعزم فارتسمت عضلات فكه السفلى وقرر ان يأتي شيئا ...

بعد دقائق كان يطرق غرفة نعمت والانفعال باد على وجهه وما ان اصبح قريبا من مكتبها والتقت نظراتهما بضع ثوان حتى اعتدلت حدته قليلا وكاد يذوب الانفعال وان لم تختف صرامة وجهه . وتعمد ما يشبه البشاشة . اترى تذكر حادثة المائدة منذ شهر فانكر على نفسه التهور وجاء الان يكفر عنها ؟ قطعا لا .. ولعل تصرفه اذ ذاك لم يكن الا دليلا على فرط اعزازه لفتاته . وان الانسان تمر به لحظات ينسى نفسه فيأتي بما لم يكن يعهد منه .

وهم ان يتكلم فتردد قليلا ثم كمن لا هم له :

ـ ... اوف ! اقبلت بيروت على الحر .. آه من حر بيروت الذي لا يطاق .. بعد اسبوع نكون في الجبل .. اتعبتنا الحياة السياسية بما تفرضه علينا من زيارات وحفلات واجتماعات .. متواصلة .

وتهالك على كرسي بالقرب من نعمت ، ثم التفت اليها ليشركها في الحديث .

ـ كذلك انت قد تعبت هذا العام ، متى تقفل المدارس ؟

ـ هذا الاسبوع وتنتهي يا بابا .. واني الان اعد جدول الطلاب لتوزيع الشهادات في الحفلة النهائية .

ـ انت شغوفة بالتعليم ...

ـ آه ... كثيرا ..

قالتها بفرح وغبطة ثم اردفت

ـ لا شيء احب الى النفس من تربية هذا الجيل الصغير ورعايته

ـ هنيئا لك يا نعمت ..

وانفلت لحظة الى نفسه وكانه يقارن بين عملها وعمله .. بين ما تقوم به من اعداد النشء وبين ما يقوم به من الدبيب في الوحول . الا ان شفتيه تابعتا :

ـ سنرتاح هذا الصيف . آه ! اريد ان ارتاح ، ان انام .. ان انام ، عشر ساعات ، عشرين ساعة لا يدخل علي احد .. لا جرس تلفون ، لا ازعاج ، لا ضجة .. لا رسميات .. استلقى ساعتين بعد الغداء .. انام توا بعد العشاء .. افيق متى اشاء .. وستكونين معنا طبعا ..

ـ طبعا يا بابا .. ليس احب الي من تمضية الصيف في بيتنا في الجبل ، اركض بين الحقول واقطف العنب بنفسي قبل شروق الشمس .. آه ما اعذب ماء النبعة عند الظهيرة وبعد القيلولة .. كنا نتسابق اليها عدوا سلوى الخادمة وانا فنعب منها ..

كان فؤاد بك يستمع الى ابنته وقد داخل نفسه من الحبور ما جعله مرهف الشعور رقيق العواطف وفي هذه الفترة من الصفاء اردفت نعمت :

ـ سامضي فترة كبرى من الصيف في الجبل ولكن لا تنس يا بابا انك منذ الشتاء الماضي وافقت على ان ازور مصر هذا الصيف لمدة اسبوعين تقريبا .. وعلى هذا يا بابا قررنا رفيقاتي المدرسات وانا على ان نقوم بالرحلة معا في فترة قريبة .

انبسط وجه فؤاد بك .

ـ لم اخلف بوعدي يا نعمت ... على كل لن اكون انانيا .. والان اذا كانت رفيقاتك بحاجة الى مساعدة او توصية لتسهيل معاملة السفر فاني على استعداد وفوق هذا لي اصدقاء كثيرون في مصر توثقت بينهم وبيني المعرفة الى صداقة متينة اذ كنا نقوم معا بدرس مسائل سياسية مشتركة ونواصل اجتماعات عديدة . على كل سأكتب الى بعضهم حتى يسهروا على استقبالكن واني متأكد انهم لن يتقاعسوا .

وهنا ارتج صدره مرة اخرى اذ تذكر ما اتى اليه ، ثم ما لبث ان ادرك بفكره ان المسألة لا تعدو ان تكون طفرة ثم تخبو ، او ان هاجسا ما هو الذي صور له فيما صور ان الزمن وحده كفيل بصرف نعمت عن فريد . ان فريد هذا في امستردام الان .. فماذا تفيد هذه الوساوس التي حملته اياها هذه العجائز ؟ ومد يده الى طاولة نعمت فتناول دفترا أخذ يتشاغل بتقليب اوراقه وهو يحدق النظر في وجهها من طرف خفي . وتبدد شكه فجأة فداخله ارتياح وان بعض الظن اثم ...

وعاود الكرة بعد ان عاودته الظنون ولما لم تسعفه كياسته بسؤال خفي عن فريد دار في الغرفة قليلا ولعله آثر ان يلقي السؤال عفوا خلال الحديث

ـ هل .. اعجبتك القصيدة التي نظمها ابراهيم مسعود في ؟ اذ يقول في مطلعها ... آه ! ضعفت ذاكرتي ! لقد قراتها ولا شك .. واني احتفظ بها للتاريخ في الالبوم الذي اجمع فيه كل ما يقال عني في الجرائد سواء من المؤيدين ام من المعارضين . اما ابراهيم هذا فهو شاب موهوب فعلا .. وهو يلح الان لاقامة حفلة في بيته يدعو اليها وجهاء المنطقة على ان اكون ضيف الشرف .. ولم اعطه جوابا بعد لان .. آه ! اريد ان استريح الان ...

وكأنه شعر بشيء وخز تواضعه فسخر من نفسه حين رحبت نعمت بالفكرة وشجعته على حضور الحفلة .. ولم يمكث طويلا حتى عاد من حيث اتى ...

وتنفست نعمت الصعداء . فلقد قرات في وجه ابيها كل شيء وان رثت لحاله . وهي في الواقع لم تكن حين دخوله تشتغل باعداد الشهادات كما زعمت وان كانت هذه الشهادات تملا الطاولة . بل كانت تفكر في فريد .. وكان يشغلها من فريد امر

واحد لو ادركه فؤاد بك لانتفخت أوداجه بالظفر ولرقص شارباه طربا بانتظار مأثرة الخلود .. ولعل نعمت لم تكن تحجم عن الاشارة الى رغبة فريد لوالدها لو انه حال دون زيارتها لمصر.

ولو ان بعض الظن اثم كما يقولون فما هو بالاثم من يعلم فؤاد بك عن امرهما ما يعلم ثم يرى ان الحوادث جرت – عفوا ! – فجعلت فريد في امستردام ونعمت في مصر وفؤاد بك في لبنان .. في آن واحد . والواقع فلا فريد تصور هذا وهو الان مكلف ، غير مختار ، في مؤتمر علمي ، ولا نعمت حين قررت هذه الزيارة كانت تعلم ان فريد سيكون هذا الصيف في امستردام . وهذا فؤاد بك على ما هو عليه من تردد وحيرة يرى ان بعض الظن اثم ... على كل فان في مشاكل الناس وهمومهم احيانا من المصادفات والمفاجئات والفرص ما يحار الفكر في تعليلها .

فلتستفد نعمت اذن من هذه المصادفة السعيدة ولا تقتلها بالتفكير العقيم . وان الذي يشغلها الان من فريد كما قلنا ولا ترتاح له هو هذه « التضحية » التي صمم عليها . جميل ان يضحي من اجلها وجميل ان يكون صادقا في تضحيته ولكن ما تنكره عليه وتأباه على نفسها ان يكون في هذه «التضحية» مساس في كرامته ورجولته فضلا عن كرامة عقيدتها !

وتبرز العقدة من جديد .. انها هي ايضا تأبى ان يغير فريد مذهبه وترى في ذلك مساومة رخيصة ، وتعرف فوق هذا ان تصميم فريد لن يرضي غير فؤاد بك !

فهل كما ان الوطنية في مفاهيم بعضهم لا تتمثل الا في فلان دون غيره والقومية في فلان اخر دون غيره ايضا فالطائفة كذلك لا تقوم الا على اكتاف فؤاد بك ؟

لنسر مع المنطق وان يكن من فتاة كنعمت !

فلان لبناني يتزوج من اجنبية ، ليس قطعا ان مذهبه كمذهبها ولا ثقافته كثقافتها ولا تقاليده كتقاليدها ولا لغته كلغتها . لم لا تيسره لنعمت وفريد ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

رددت نعمت : لماذا الف مرة وزافقتها اكثر من يوم في وحدتها وفي الشارع ، في بيروت وعلى ظهر الباخرة وبين رفيقاتها .. وكلما كانت الباخرة تشق الماء وتبتعد عن اليابسة كان شعور المجهول يخفق زاخرا في صدر نعمت .

ورأت نفسها في مصر فانزاح عبء كبير عن صدرها وان ما كان يصطفق في صدرها من شعور بالمجهول قد تبدل الى شعور باليقظة وتحفز للاقدام فكانت طاقة هذا التحفز تزداد كلما رنت الى المستقبل .

تسعة ايام مضت في مصر زارت فيها نعمت ورفيقاتها كثيرا من معالم القاهرة وتعرفن فيها الى الاثار الفنية المدهشة . وحرصت نعمت على ان تضرب دون رفيقاتها حاجزا من التكتم الشديد في كتابة بعض الرسائل وفي تسلم بريدها بصورة خاصة ، وان كانت تنتقي معهن البطاقات المصورة عن الاهرام وابي الهول وضفاف النيل .

صبيحة اليوم العاشر لزمت نعمة غرفتها في الفندق بعد ان أعتذرت لصديقاتها مؤكدة بانها تشعر بتعب في جسمها وانه يستحسن ان تلزم الراحة هذا اليوم دون ان تشاركهن البرنامج المقرر وما هي ان خلت لنفسها حرة حتى هبت من سريرها واذا هي عند الظهيرة تدخل احد مراكز البريد والعرق يتصبب من جبينها – كانت متعبة حقا ! – فتتناول ورقة خاصة للبرقيات وتكتب بالفرنسية بخطها بعد ان وضعت امامها مظروفا عليه طابع بريد فرنسي وعنوان نقلته الى برقيتها : « فريد المهلباوي . اصل باريس الساعة الحادية عشرة مساء . بشوق . نعمت »

كنت استمع بشوق ولذة الى صديقي الاديب وهو يقص علي هذه القصة . سحرني حديثه فنسيت العالم وجذبني موضوعه فطلقت همومي اليومية . وانتفضنا – نحن الاثنان – وقد تقدم بنا الليل وتلبدت الغرفة بالدخان فصدرت عنا حركة واحدة واذا السكاير نضبت منه ومني وتجمعت اعقابها في الصحن الكبير .

وفي اللحظة التي كان يفرغ في كأسه بقية شراب « البندكتين» من الزجاجة وقد توقف عن الكلام قلت :

– الاثنان اذن في باريس

– اجتمعا فيها منذ اسبوع

– اذا فهمت فانهما يرغبان في زواج مدني،؟

ومط محدثي شفتبه فلم أتبين النفي او الايجاب ولم يدفعني فضول الى الالحاح بل لعلني سررت ان لاالح ولا أعرف ، فانه يحلو لي احيانا ان أطلق لخيالي العنان فاصور الواقع كما اشتهي ووفق ما ارغب . ولم تعد تهمني نهاية قصة فريد ونعمت بقدر ما تعنيني تفاصيلها . فأنا حر اذا تصورت ان الاثنين تزوجا في باريس زواجا مدنيا او لم يتزوجا مطلقا ، وانا حر كذلك ان اجعلهما يعيشان حياة مشتركة حرة دون زواج او لا يعيشان هذه الحياة المشتركة الحرة، يحبذانها او يأنفان الركون اليها . ففي الحالتين يحققان رغبتين : اما الاولى فهي رغبة شابين في ربيع العمر وقف دون سعادتهما حجر ثقيل مشترك ..

ولقد دار الموضوع في ذهني قصة فرحت في دفتري الصغير استعيد خطوطها واسجل بعض حالاتها واستعرضها في ذهني فاحذف واضيف واخترع واحاول ان المس حادثتها ، فآثرت تلك الليلة الابقاء على الحادثة كما رواها صديقي على ان اضيف عليها كخاتمة : زواج فريد من نعمت في حفل صغير وعزم الاثنين على العيش خارج لبنان . في هذه الاثناء ، اي بعد الزواج ، اضيف ما يلي (ذهني يستعرض هنا) استغل شعور فؤاد بك او الشيخ المهلباوي فاجعل احدهما يقوم بحماقة كأن يبعث ببرقية يطلب الى ابنته او ابنه الرجوع فيجيبه الاثنان ببرقية يضمنانها التعبير العربي المشهور سبق السيف العذل !

اشعر الان بتعب في راسي بعد ان ودعني صديقي مسرعا للحاق بالمترو الاخير من محطة (بورت فرساى) . الساعة الان الواحدة بعد نصف الليل

لم تعجبني هذه النهاية . انها كلاسيكية ، سابحث عن نهاية اخرى ابتداء من الغد ! (1)

احمد عويدات

---

(1) بعد ثلاثة ايام من هذه الزيارة اخبرني صديقي بان نعمت وفريد عادا الى لبنان وكان في رفقتهما في محطة « الانفاليد » للطيران وفهمت منه بانهما اخذا على نفسيهما عهدا بالزواج في لبنان . آه ! ليتني خرجت من برجي العاجي فكنت في وداعهما !! ما زالت نهاية هذه القصة ترهقني . ا.ع.

لهف

أشرقتِ بوحاً لاشجاكِ المحالْ — ولا احتواكِ اللغز صوب النوال
حل الهوى ، والتيه فيكِ ، هنا ، — يصبو ، فلا في الشوق منك حلال
وأومأت ، بيض مطيبة — في مرتمى عينيكِ تغوي السؤال

يا حيرتي اشقاكِ وجد صد — وفيكِ اشقاني حسيس الجمال
أي الغوى حمّلتِ مرنوحة — فانهلّتِ الانغام منك دلال

ملنا وغص التوق ، دون المدى — وهدهد الميل شقي ، خيال
أطروبة ، ما هدها غزل ، — ايماؤنا ، والموهمات الزلال

لا الحب شق الآه تغريدة — ولا رمانا الوهم عبر الوصال

جورج رجي

زوار

افتح لنا بستانك المعطارْ — افتح لنا .. يا أطيب الاخيارْ
جئنا على الموعد .. مصبا حنا — اشواقنا ، وبدعة الخشار
اقدامنا تعبى ، وأجفاننا — ظامئة ودربنا اعصار
وهذه السلات .. في صمتها .. — والهة .. تحلم بالازهار
انت الذي هدهدت أحلامنا — بكل وعد يانع الاثمار
فكم أساطير نغنّي بها — على حنين النّاي والقيثار !
افتح لنا .. نلهو على جدول — مزوّقٍ .. يحتضن الاسمار
اذا غفونا .. لن ترى ايّار — يقطف من بستانك الاقمار ..

★ ★ ★

فتحت بستاني ، وقلت : ادخلوا — يا مرحباً .. يا ألطف السمّار
يزيّن الليل بكم .. والشذى — واللحن ، والضفّة ، والاشجار !

حلب — **علي الزيبق**

العلوم البيولوجية في النصف الثاني من القرن الحالي

بقلم يوسف اسعد داغر

*

في عداد الذين طلبت اليهم اذاعة صوت اميركا التكلم عن العلم في مختلف آفاقه ، في النصف الثاني من القرن العشرين ، الدكتور جوزيف مولر ، الذي يعد اليوم في طليعة علماء الاجناس والمواليد في اميركا . وقد نال عام ١٩٤٦ ، جائزة نوبل في الطب والفسيولوجيا بعدما ابلى من جهاد طويل مرير في خدمته البحث العلمي ، كان من بعض النتائج التي توصل اليها ، تغيير الانواع عن طريق استخدام الاشعة السينية .

فالى القارىء الكريم ، حديث الدكتور مولر عن مستقبل العلوم البيولوجية تليه ترجمة موجزة وصورة لجهاده المتصل في حقل البحث العلمي والكشوف التي حققها والمؤلفات التي وضعها .

* * *

تميزت السنوات الخمس الاولى من النصف الثاني من القرن العشرين ، بهذه الحصيلة المدهشة من المعلومات الجديدة يحققها العلم في ما اكتشفه من اسرار طبيعة المادة الحية ، وفي وسائل البحث العلمية الجديدة التي طلع بها . وبهذا كله ما ينهض بما تؤمن به النفوس بانه لن يحول النصف الثاني من القرن العشرين ولن تغرب شمس عصرنا هذا ، الا ويكون العلم سجل من الانتصارات الجديدة ما لم يكن ليتوقعها العلماء او لتخطر لهم على بال قبل اليوم .

سجل العلم في هذه الاونة الاخيرة عدة اكتشافات نفذ منها الى اسرار الكائنات الحية ، كان من ابرزها على ما يرجح المتمكنون ، القضايا التي تتعلق بامور الوراثة ، ولا سيما بالخصائص الوراثية .

وقد دلت هذه الاكتشافات على ان هذه الخصائص او العوامل ، هي في الواقع جزئيات تبدو على شكل سلسلة متصلة ، تتألف الواحدة منها من الوف الحلقات التي يعرفها العلماء بـ *Nucleotides* ويرد مجموعها الى اربعة انواع متميزة مختلفة ، يترتب على تناسقها معا في شكل معين من الصفات ، كيفية تأثر هذا النوع كيماويا ، وبالتالي الوظيفة البيولوجية التي يقوم بها . وكل سلسلة من هذه السلاسل تستطيع ان تجمع بما فيها من طاقة ومقدرة ، الحلقات المشتتة في السائل الذي يحيط بها وادماجها في ذاتها ، وفقا لطبيعتها المميزة ، وعلى هذا النحو تتوالد وتتحد . وقد استطاع العلم اليوم ان يحدد المبادىء والعوامل الكيماوية التي يتم التوالد وفقا لها .

وهذه الكشوف العلمية الجديدة تحقق ما لم يكن متوقعا من قبل ، اذ تتيح النظر في صميم الصفات الوراثية في الكائنات الحية ، فنفهم على ضوئها كيف ان النظائر تنشأ وتتشابه ، وكيف انها تنمو وتكبر . كذلك زادت معلوماتنا حول بعض مظاهر الشذوذ في الطبيعة وكيف تتم مخالفة القاعدة فيصير الشبيه مخالفا مغايرا . وهذه التحولات المفاجئة في الخصائص هو بعينه التحول الفجائي او الطفرة بالذات . وهذه التحولات الفجائية هي الادوار الرئيسية التي قطعها التطور . فالاكتشافات المذكورة توضح بان التحولات الفجائية تتألف اصلا من تغييرات تطرأ على الصفات الوراثية باحلال غيرها محلها او بانتساقها نسقا جديدا . ويرى اكثر العلماء اطلاعا في الموضوع انه سيصبح عما قريب من الممكن تتبع هذه الحلقات حلقة حلقة بحيث يستقيم امامنا التناسق الحاصل فيما بينها كما هو بتفاصيله وحذافيره . فاذا ما تم لنا ذلك استطعنا ان نعيد تركيب اجزاء السلسلة بحذافيرها من جديد ، واكثر من ذلك ، تأليف سلاسل اخرى من انواع جديدة وفقا لرغائبنا . وقد يمكن ادخال هذه السلاسل التأليفية في بعض الخلايا البسيطة التركيب .

وهذه الاعمال ، على عظمتها ، لن تمكنا مع ذلك ، من احداث التحولات المفاجئة التي نرغب فيها ، وبالتالي ايلاء الكائنات الحية الصفات الوراثية التي نرغبها لها . وقبل ان نتوصل الى هذا ، علينا ان ندرك تماما كيف تتصرف هذه الصفات في تكوينها الكائنات الحية الاخرى . ويهمنا ان نعرف على الاخص كيف ان هذه الصفات تنتج مادة البروتين بعد ان ثبت ان البروتين هو المادة التي يتكون منها القسم الاكبر من هيكل الاحياء ويتيح لها ان تقوم بنشاطاتها الظاهرة . هنالك دلائل مع ذلك ، تشير الى اكتشافات جديدة نفذت الى هذا الحقل . وهذه الاكتشافات يجب ان تزودنا بمعلومات حول الطريقة التي يحدث فيها البروتين الخصائص الوراثية ، وبمعلومات اخرى حول ماهية تركيب هذه المواد البروتينية والطريقة التي فيها تؤثر على مجرى التفاعلات الكيماوية المختلفة التي تتم في جسم الاحياء . ان تقديم العلماء النويين ذرات يمكن التمييز بينها عن طريق التفاوت في نشاطها الاشعاعي ، هو عامل اساسي فائق الاهمية للسير الى الامام بهذه الابحاث العويصة .

وهذه الاكتشافات الثمينة التي تميط اللثام عن اسرار الحياة الغامضة ستمدنا بالمزيد من وسائل البحث لدرس مبدأ الحياة واصلها ونشوئها . ومن بين هذه الذرائع ما ستمدنا به الجيولوجيا الحديثة ، بعد ان تستثمر على الوجه الامثل معطيات فيزياء الفلك والكيمياء والفيزياء . وبالاضافة الى هذا كله ستجري ابحاث تجريبية مباشرة حول نشأة المواد العضوية الضرورية

للحياة ، والطريقة التي تعمل معها هذه المواد لصنع الكائنات الحية في ابسط مظاهرها . وقد يكون من غير المستحيل ايضا ان تعود علينا زيارة الفضاء الفسيح بواسطة الطيران ، قبل غروب شمس القرن العشرين ، بنماذج وعينيات من الكائنات الحية في المريخ مثلا او في غيره من السيارات الاخرى . ولا شك ان دراسة هذه النماذج الجديدة مما سيفضي الى كشف مفارقات كيماوية بينها وبين خلايا الكائنات الحية على الارض كما انها ستفضي ولا شك بذلك ، من جهة ثانية الى الكشف عن ملابسات ومشابهات مدهشة . كل هذا من شأنه ان ينمي معارفنا ومعلوماتنا ويرحب من آفاق معرفتنا حول أصل الحياة وحول الخصائص الاساسية التي تتميز بها الكائنات الحية .

وفي العلوم البيولوجية حقل اخر من المتوقع ان يحقق العلماء فيه تقدمات محسوسة في السنوات القادمة تتناول الكشف عن طبيعة التحولات التي تلحق التطور في مختلف ادواره واشكاله : من البيضة الى النطفة الى العلقة ، الى الجنين ، فالطفولة ، فالشباب ، فالكهولة الى تكرار عملية التجديد . ولتأمين مثل هذه الكشوف نحتاج الى وسائل وذرائع تكنولوجية تختلف اختلافا بينا عن الذرائع والاساليب التي كثيرا ما عولنا عليها في الماضي ، في دراسة هذه القضايا . وقد يمكن التوصل جزئيا الى مثل هذه الطرق التكنولوجية وذلك باعتمادنا الوسائل التي يعتمدها الطب في المناعة والتحصين ، ونقل النوى وغير ذلك من العناصر التي تتكون منها الخلية ، او عن طريق زرع الخلايا الفردية في الاجسام الحية العليا . ان معلومات من هذا النوع تفيدنا ولا شك في التعرف الى مسلك الكائنات الحية في تطورها الطبيعي ، وسير هذا التطور في الحالات الشاذة كما هي الحال مثلا في حوادث السرطان . وبفضل هذه المعلومات تزداد مقدرة على مراقبة هذه الحوادث الطبيعية والتحكم بها .

من بين الوظائف التي تقوم بها الاحياء العليا ، لعل وظيفة الجملة العصبية المركزية ولا سيما القلب منها ، ادعاها على الاطلاق للاهتمام والدرس . هنالك دلائل تشير بوضوح الى انه سينطلق في النصف القرن هذا نور كاشف سينير المشكلة القديمة العهد ، الا وهي معرفة العلاقة بين الوعي وعمل الدماغ عن طريق الذرائع الجديدة التي سيركن اليها العلم في دراسته هذه القضية . ومن بين هذه الذرائع ذريعة تتطلب دراسة دقيقة من الوجهة الكهربائية والبيوكيمياء ، للخلايا العصبية بمفردها او في فئات الخلايا العصبية الاخرى المترابطة بعضها ببعض . وهنالك طريقة اخرى تتطلب مراقبة مدى تأثر بعض خلايا معينة عندما تثار او تبعث على الاثارة ، او فريق من الخلايا التي تقع ضمن الجملة العصبية المركزية . ليس من المستبعد قط أن يقوم بعض العلماء الذين ينصرفون لهذه التجارب ، بتجربة الامر واختباره في انفسهم ، وبذلك يحصلون في آن واحد على وجوه داخلية وخارجية لهذه المظاهر التي هي قيد الدرس لديهم .

ومهما بلغ من تقدمنا في فهم وادراك تطور الجسم وطبيعة وظائفه ومدى تحكمنا بها ، فلا يزال هنالك حدود وسدود لسيطرتنا تفرضها الوسائل التي نتذرع بها . وهذه الحدود توجبها امكانيات الصفات الوراثية الكامنة في الحي . غير ان تحول هذه الصفات الوراثية المفاجيء يضع حدا لمثل هذا التغير ، وهو تغير يتم عكسا وليس راسا الى الامام . ومع ان هذه الكائنات الحية الاقل اهلية واستعدادا التي تولد عن طريق هذه التغييرات المعكوسة غير المرغوب فيها ، مهددة بالانقراض في حالتها الطبيعية ، فليس من داع قط ان يتم هذا الانقراض في يومنا هذا . ولذا تحتم علينا ان ننمي معلوماتنا اليسيرة بصدد التحول في الانسان . وهذا انما يعني انه من المتوجب علينا ان نكشف أكثر فاكثر عن اسرار تواتر التحولات المفاجئة وما هي العوامل التي تسبب او تأخر حدوثها ، وعدد هذه التحولات وشتى اشكالها وتأثيراتها المختلفة ، وكيف يتم للكائنات الحية التي اخذت تتغير وتتحول ان تنمو او ان تنحل بسرعة على ممر الاجيال . كل هذه المعلومات تبدو ضرورية في هذا العهد الذري ، لان الاشعاع عنصر فعال في احداث التحولات المفاجئة . ان الحصول على معلومات دقيقة من هذا النوع يقتضي له ابحاثا طويلة الامد في علم المواليد ولا سيما في الجرثوميات والميكروبات وذباب الاثمار والقمل . وبالاضافة الى هذا كله ، يجب القيام بارصاد وكشوف دقيقة واسعة حول مظاهر الوراثة في الانسان ، كما يجب القيام باختبارات حول احداث التحول المفاجيء في الخلايات البشرية ، بعد زرعها خارج الجسم الانساني ، كما يجري الامر مثلا في الجرثوميات ، والامر الذي لا شك فيه قط هو ان العلم سيتقدم كثيرا في كل ما يتعلق بامور التناسل والتوالد ، وهو تقدم يجعل من الممكن تسخير هذه المعلومات لتحسين علم المواليد لخير البشرية جمعاء .

* * *

اما الدكتور هرمان جوزيف مولر ، صاحب هذا البحث ، فهو من اشهر علماء المواليد في الولايات المتحدة الاميركية . واليه يعود الفضل الاول في اكتشاف التحول الاصطناعي باستعماله الاشعة السينية . وقد نال لهذا الاكتشاف العلمي الجليل جائزة نوبل في الطب والفيسيولوجيا لعام ١٩٤٦ .

ابتدات حياته العلمية ، سنة ١٩١١ ، بمنحة دراسية يخصصها للبحث العلمي في الفيسيولوجيا ، في مدرسة الطب التابعة لجامعة كورنيل ، اجرى خلالها تجارب وتحقيقات علمية حول استيلاد ذباب الفاكهة والثمار بتعريضها للاشعة السينية . فتمكن بذلك من الحصول على تغييرات وتحولات مفاجئة في صفات الذباب الوراثية . وقد استطاع خلال المؤتمر الدولي العام لعلم المواليد الذي انعقد في برلين ، عام ١٩٢٧ ان يزف الى زملائه ورصفائه في المؤتمر خير ابحاثه المثيرة في علم البيولوجيا الا وهو حصوله على التحول الاصطناعي في الصفات الوراثية بواسطة الاشعة السينية .

اما ابحاثه في عملية نقل الدم فتعد من اعمال الريادة الباهرة في العلم كذلك هو اول من قام بقياسات سيكولوجية للتوائم المتشابهة التي ربيت في منازل مختلفة .

ومنذ عام ١٩٤٥ والدكتور مولر يعمل استاذا لعلم الحيوان في جامعة انديانا حيث قام بابحاث خاصة بالسرطان ، وذلك بفضل المسعدات المالية التي قدمتها له الجمعية الاميركية لدراسة السرطان . كذلك علم مدة في معهد رايس في مدينة هوستن من اعمال تكساس ، كما علم في جامعة كولمبيا في نيويورك ، وفي جامعة تكساس في اوستن ،

قصة لسومرست موم

الوعد

ترجمة حسن السعران

*

ليست زوجتي بالمرأة التي ترعى مواعيدها وتحرص عليها ، ولهذا لم استغرب انني لم اجدها عندما وصلت الى مطعم كلاريدج متأخرا عشر دقائق ، وكنا قد تواعدنا على التلاقي فيه لتناول الغداء . وطلبت كأسا من الكوكتيل . وكان الموسم على اشده ، حتى انه لم يكن في القاعة الا قليل من الموائد الخالية. وكان فريق من الناس يحتسون القهوة بعد غداء باكر خفيف ، وفريق اخرمثلي يعبون لاهين كئوس المارتيني. وكانت السيدات يزهون في ثياب الصيف الهفهافة يلوح عليهن المرح والفتنة . اما الرجال فكانت تبدو عليهم مسحة من الكياسة واللطف . ولكن لم اجد بين الجالسين من يسترعي اهتمامي بصفة خاصة ليشغلني في ربع الساعة الذي ينتظر ان تحضر زوجتي خلاله ، على الرغم من انهم كانوا غاية في الرشاقة التي تسر العين ، وفي التانق الذي يزيد المرء انشراحا . وكانت غالبيتهم من شخصيات يعتد بها فاخذت ارقبهم بروح سمحة لا فضول فيها .

ولما بلغت الساعة الثانية بعدالظهر احسست بالجوع . وبهذه المناسبة اذكر ان زوجتي كانت لا تميل عادة إلى ارتداء الثياب الفيروزية اللون ، ولا تضع ساعة في معصمها . كانت تقول ان اللون الفيروزي سرعان ما يخضر وان الساعة غالبا ما تتوقف . وهي تعزو ذلك الى سوء الطالع . وليس لي أي اعتراض على لون الفيروز وتغيره . ولكن اعتقد احيانا ان الساعة لا تتوقف اذا هي كلفت نفسها مشقة ملئها . هذه هي الافكار التي كانت تراودني عندما اقبل احد سعاة المطعم يحدثني بصوت خفيض بلهجة يجيدها امثاله للتدليل على نحس الرسالة التي يحملها بصورة ابلغ مما تعنيه الفاظها. أبانني ان سيدةاتصلت بالمطعم تلفونيا تقول انه قد منعها عائق عن الحضور لمشاركتي الغداء .

وترددت . ليس مما يسرى على النفس ان أتناول الغداء وحدي في مطعم كبير يغص بالناس ، ولكن الوقت تأخر بحيث لا استطيع الذهاب الى النادي . وصحعزمي على البقاءفذلك اهون وافضل . ومن ثم مضيت الى جناح الطعام . والحق انني لست ممن يركبهم عادة شيء من الغرور (كالغالبية من علية القوم) لان رؤساء الجرسونات في المطاعم الكبرى يعرفونهم باسمائهم ، ولكني وددتفي هذه المناسبة بالذات ان احظى بترحيب غير فاتر ، ولكن رئيس الجرسونات (الميتر د اوتيل) صدني بوجه عابس فأبلغني ان الموائد كلها مشغولة . وتطلعت يائسا الى الحجرة الفسيحة الفخمة ، فوقع بصري فجأة على سيدة أعرفها . اللادي اليزابث فرمون وهي صديقة قديمة. واشرق وجهها بابتسامة ــ ولاحظت انها وحدها ــ فاتجهت نحوها .وسألتها: اتعطفين على جوعان مثلي ، فتأذني له بالجلوس الى مائدتك ؟

ــ آه تفضل ، ولكنني اكاد افرغ من طعامي .

وكانت تجلس الى مائدة صغيرة بجانب احد الاعمدة الضخمة.وعندما شاركتها اياها ، وجدت اننا نكاد نكون

وفي معهد المواليد الحيوانية في جامعة ايدنبره ، وفي جامعة افهرست في ولاية ماستشوستس وقد كان كبير علماء المواليد اثناء عمله في معهد المواليد في موسكو من سنة ١٩٣٣ ــ ١٩٣٧ .

رأى الدكتور مولر النور في مدينة نيويورك عام ١٨٩٠ ، وقد كان جده لابيه جاءها من المانيا ، فأنشأ في نيويورك معملا للصب كان اول معمل من نوعه في اميركا. وقد عمل ابوه في المعمل المذكور مدة من الزمن . تخرج من جامعة كولمبيا عام ١٩١٠ ، ونال عام ١٩١٦ الدكتوراه في الفلسفة بعلم الحيوان مع دراسات في الفيسيولوجيا والبيوكيمياء .

. منحته الجمعية الاميركية لتقدم العلوم ، عام ١٩٢٧ جائزتها اثر دراسة عميقة حول : « تأثر الاشعة السينيةفي الصفات الوراثية والصبغيات Chromosomes» انتخب عضوا في أكاديمية العلوم الوطنية عام ١٩٣١ في اميركا واعطتهفي السنة التالية مؤسسة غوجنهايم التذكارية منحة تمكنه من القيام بابحاث الدماغ في برلين .

راس الجمعية الاميركية للعلماء الطبيعيين ، عام ١٩٤٣ كما راس عام ١٩٤٧ الجمعية الاميركية لعلم المواليد، وفي عام ١٩٤٨ رأس المؤتمر الدولي الثاني لعلم المواليد .

وللدكتور مولر ابحاث علمية عديدة في البيولوجيا وعلم المواليد نشرها في بضع مجلات علمية . وهو مؤلف مشارك ، ساهم في وضع المؤلفات التالية : طريقة الوراثة عند مندل ١٩١٥ وعلم المواليد والطب والانسان عام ١٩٤٧ ووضع عام ١٩٣٥ كتابه المشهور : « من ظلمة الليل » ضمنه نظرات عالم بيولوجي في المستقبل الطالع .

يوسف اسد داغر

في شبه عزلة عن الناس .

وقلت ان الحظ حالفني ، بعد ان كادت قواي تخور من الجوع .

كانت اليزابث فرمون تمتاز بابتسامة لا تضيءوجهها فجأة ، وانما تشع بالفتنة شيئا فشيئا . ابتسامة تنردد على شفتيها لحظة ثم تسري في بطء حتى تبلغ عينيها الواسعتين اللامعتين فترقد وادعة فيهما . وما كان لاحد ان يجزم بانهامنبوذة بالمعنى الشائع . ولم اكن انا نفسي اعرفها في ايام شبابها . ولكن كثيرين قالوا لي انها كانت آنئذ جميلة جذابةتذوب القلوب من فرط حلاوتها ، وأراني أصدق ما يقولون . فهي لا تزال الان وقد بلغت الحلقة الخامسة من العمر، فريدة في جمالها حتى ان جمالها الطاغي ليجعل رواء الشباب وفتنته الغضة بالشيء التافه الى جانبها — ولست شخصيا ممن يحبون الوجوه المصبوغة التي تبدو صورة واحدة متشابهة . وأعتقد ان النساء على جانب من الغباوة اذ يفسدن شخصيتهن وروحهن المعبرة وراء البودرة والاحمر وروج الشفاه .

ولكن اليزابث فرمون كانت تصبغ وجهها لا محاكاة منها للطبيعة ولكن لتفوقها حسنا وروعة . والمرء امامها لا يبحث عن وسائل التجميل ، ولكن تروعه النتيجة التي يراها فلا يسعه الا الاعجاب . كانت جراتها التي تستحق المباهاة في استخدام مواد التجميل تزيد شخصية هذا الوجه الجميل فتنة وسحرا . واظن ان شعرها مصبوغ ، فهو فاحم ناعم لماع . وحدث عن رشاقة قدها الفارع ، واعتدال عودها المياس ولا حرج فهي تبدوكأنما لم تعرف الانحناء في حياتها قط . وكان يلف هذا القوام الساحر ثوب من الساتان الاسود ، تروع المرء خطوطه وبساطته، وعقد اللؤلؤ الطويل الذي يتدلى عليه من جيدها . وكانت تتزين بجوهرة أخرى يتيمة هي زمردة كبيرةتحرس خاتم زواجها ، يفصح نورها الداكن عن بياض بشرة صاحبتها . وكانت اصابعها الملونة الاظافر اكثر ما يكذب كبر سنها . وهي وان تكن خالية من نعومة اصابع الفتيات الصغيرات البضة الا ان الناظر اليها يعروه شيء من خوف . ولقد كانت هذه الاصابع منذ وقت غير بعيد وكأنها مخالب كاسرة .

كانت اليزابث فرمون سيدةجديرة بالاعتبار . من أصل عريق ، فهي ابنة دوق « سانت ايرث » السابع، وقد تزوجت في ربيعها الثامن عشر من رجل واسع الثراء ولكنها انغمست من فورها في حياة عابثة صاخبة .

وكانت متكبرة لدرجة انها لا تأخذ حذرها، ومغامرة لدرجة انها لاتتوخى العواقب . ولم يمض على زواجها غير سنتين حتى طلقها زوجها في ظروف فضيحة مشينة . وتزوجت بعدئذ أحد الثلاثة الذين وردت أسماؤهم بقضية فضيحتها . ولكنها لم تلبث ايضا ان هجرته بعد عام ونصف ثم تبع ذلك سلسلة من العشاق . وساءت سمعتها من جراء كثرة الافراط والتهتك . واوقعها جمالها الاخاذ وخلاعتها المشينة فريسة للقيل والقال . وصار لاسمها رائحة خبيثة تزكم انوف العائلات الكريمة . كانت مغامرة ومسرفة وعابثة . وعلى الرغم من انها لم تكن وفية للعشاق الا انها كانت وفية للاصدقاء . ولهذا ظل لها على الدوام نفر يؤمن بانها امراة لطيفة ، بغض النظر عما تفعله. كانت تمتاز بصراحتها وخفتها وجرأتها. وبأنها لم تكن منافقة قط ، الى جانب كونها كريمة مخلصة . ولقد تعرفت اليها شخصيا في تلك الفترة من حياتها، فأكثر السيدات عندما يبلغ بهن الكبر ينصرفن الى الاعجاب بالفنون ، وخاصة بعد ان لم يعد الانصراف الى الدين بدعة هذه الايام .

وهكذا بعد ان تقلب لهن طبقتهن الاجتماعية ظهر المجن وتقسو بيدها الباردة عليهن يتجهن الى معشر الكتاب والرسامين والموسيقيين . ومن هنا اتيح لي ان اجد فيها الرفيق المقبول اذ كانت واحدة من المباركات اللاتي لا يبخلن في التصريح برأيهن في جرأة لا تخشى لومة لائم (وبذلك لا يضيعن وقت الحديث عبثا) كما كانت تمتاز الى جانب ذلك كله ببديهة حاضرة . وكان لا يضيرها مطلقا ان تتحدث عن ماضيها الشائق . وعلى الرغم من ان حديثها لم يكن حديث المثقف الممتاز ، الا انه كان حديثا ممتعا فهي امرأة صادقة بغض النظر عن تلك المسائل الاخرى .

وسرعان ما قامت في سن الاربعين بمفاجأة عجيبة اذ تزوجت شابا لم يتعد ربيعه الواحد والعشرين . وقال أصدقاؤها ان هذه اكبر فعلة جنونية قامت بها في حياتها . حتى ان بعض اصدقائها ممن التصق بها فى السراء والضراء قطع بعد ذلك علاقته بها لمصلحة الشاب لانه في عرفهم لطيف ومن العار عليها استغلال قلة درايته وخبرته . وتنبأوا لها بالمصائب فكلهم يعرف ان اليزابث فرمون غير قادرة على التعلق بأي رجل اكثر من ستة شهور والمصيبة آتية لا ريب فيها . وان تكن الفرصة الوحيدة امام الشاب التعس ان تسلك زوجته سلوكا مشينا يضطره الى هجرها . ولكن خاب ظنهم جميعا — ولست ادري أكان الزمن وحده هو المسئول عن التغير والتحول اللذين طرأا على قلبها ، ام ان براءة الشاب وطهارة حبه قد اثرا فيها .

وايا ما كان فالواقع انها قد جعلت من نفسها زوجة مرضية محبة ، وكانا فقيرين ، وكانت هي من قبل مسرفة، ولكنهاانقلبت زوجةمقتصدة مدبرة . كما انها اخذت على حين فجأة تعتني وتهتم بسمعتها حتى تخرس لسان القيل والقال . ولاح ان سعادة زوجها كانت شغلها الشاغل ، ولم يعد هناك ادنى شك في انها تحبه وتتفانى في الاخلاص له . ولم يعد يغتال سمعتها احد ، او يتحدث عنها بما يشينها ، وهي التي كانت من قبل هدفا لكل لسان . وبدت قصتها كأنها تمت فصولا بعد ان كانت امرأة متقلبة . ووجدتني اسري عن نفسي بفكرة انها لما كبرت اخذت تأمل في سنوات طويلة من الاحترام والتقدير، وكأن ما ضيها ، ما ضيها الشائق لا ينتمي اليها هي ، ولكن الى شخص آخر عرفته ذات مرة معرفة عابرة ثم قضى ذلك الشخص نحبه منذ أجل طويل . ولا عجب فللنساءقدرة عجيبة على النسيان نحسدهن عليها.

ولكن من ذا الذي يعرف ما تخبئه لنا الاقدار ؟ آه ، لقد تغير كل شيءفي غمضة عين . فبعد زواج مثالي ظل طوال عشر سنوات جن زوجها الشاب جنونا بحب فتاة تسمى بربارة كانتون . فتاة لطيفة هي أصغر بنات اللورد روبرت كانتون الذي كان في وقت من الاوقات نائب وزير الخارجية . كانت بربارة حلوة بشكل

عام . وطبيعي انه لم يكن هناك من وجه للمقارنة بينها وبين لادي اليزابث. ولكن احدا لا يدري هل اليزابث فرمون على علم بهذا الحب ، وعلى فرض انه بلغها فكيف تواجه مشكلة كهذه غريبة على تجاربها الماضية وهي التي كانت دائما تهجر عشاقها وما من احد هجرها من قبل . وكنت من ناحيتي أعتقد انها ستقطع سريعا دابر الانسة بربارة ، فانا أعرف جراتها ولباقتها .

ذلك كله هو ما كان يدور بمخيلتي ونحن نتجاذب اطراف الحديث على المائدة . ولكن سلوكها لم يكن فيه غير المرح واللطف والصراحة المعهودة مما لا يوحي بان شيئا ما يكدرها . وتحدثت كما هي عادتها في خفة حية وبديهة حاضرة لاذعة وخاضت شتى الشئون التي جذبنا الحديث اليها . وهكذا انست بفترة ممتعة وخلصت خواطري من هذا كله الى انها لا بد بمعجزة ما لم تحس بأية ايماءة تشير للتحول الذي طرأ على زوجها بيتر . وبررت ذلك من ناحيتي ، بأن حبها له يبلغ من شدته انها لا تتصور انه أقل منها حبا لها .

وشربنا قهوتنا . وتلذذنا بتدخين بعض السجائر . وسالتني عن الوقت فاجبتها :

ـ الثالثة الا ربعا .

فقالت : يجب ان اطلب حسابي

قلت : الا تسمحين لي بتسديده عوضاً عنك ؟

فابتسمت وقالت : طبعا .

فسألتها : هل انت على عجلة من امرك ؟

فأجابت : سأقابل بيتر في الثالثة.

فسألتها : وبهذه المناسبة كيف حاله ؟

فأجابت : انه على خير حال .

وابتسمت ابتسامتها المعهودة البطيئة السارة ، ولكني احسست ان في ابتسامتها بعض السخرية . وترددت لحظة ، ووجدتها تتطلع الي عن عمد ، ثم تقول : انت تميل الى المواقف الغريبة، اليس كذلك ؟ لااظنه يدور بخلدك ابدا سر هذا اللقاء الذي أسعى اليه . لقد تحدثت تلفونيا هذا الصباح مع بيتر وطلبت اليه مقابلتي الساعة الثالثة . وسوف اطلب اليه ان يطلقني .

فصحت قائلا : لا ، لن تطلبي منه ذلك .

ثم وجدتني خجلا متحيرا لا أدري ماذا أقول بعد ذلك ، ولكني أضفت قائلا :

كنت أعتقد انكما على خير وئام .

قالت : اتعتقد ان من الافضل ان اجهل ما يعرفه الجميع ؟ لست غبية الى هذا الحد .

ولم تكن هي بالمراة التي يستطيع المرء ان يحدثها بغير الذي يعتقد . فلم اتظاهر انني لا أعرف ما تعنيه ، وتوقفت لحظة لا انبس ببنت شفة ، ثم قلت : ولماذا تطلبين انت الطلاق ؟

فأجابت قائلة : ان روبرت كانتون عجوز رجعي . وأشك كثيرا في انه يسمح لابنته بربارة بالزواج من بيتر لو انني طلقته . واما عن نفسي فلن يضيرني كما تعرف طلاق واحد اخر .

وهزت كتفيها الجميلتين .

ثم سألتها : ومن أين تعرفين انه يريد الزواج بها ؟

فردت قائلة : انه غارق في حبها الى اذنيه .

قلت : وهل حدثك بهذا ؟

قالت : كلا فهو لا يعرف الى الان انني أعرف . حبيبي المسكين تعس للغاية . لقد بذل قصارى جهده كي لا يخدش شعوري .

قلت : لعلها فتنة طارئة مؤقتة . ثم اردفت بعد ان ترددت لحظة : « وربما تزول » .

فقالت : ولماذا ؟ ان بربارة شابة جذابة . وهي لطيفة غاية اللطف . وكل منهما يلائم الاخر . ومع ذلك فأي خير يتأتى بزوالها ؟ انهما الان متحابان ، والحاضر هو أهم شيء بالنسبة للحب . اما انا فاكبر منه سنا ، اكبر بتسعة عشر عاما . وهل تظن ان رجلا يفقد حبه لعجوز في مثل سن امه ، هل تظن انه يعود الى حبها بعد ذلك من جديد؟ وانت كاتب قصاص معرفتك بالطبيعة البشرية أعمق من هذا ؟

فتساءلت : ولماذا تقومين انت بهذه التضحية ؟

قالت : منذ عشر سنوات وعدته يوم طلب مني الزواج انه اذا طلب الانفصال عني فسأمنحه حريته وذلك بسبب الفرق الذي كان بيننا آنئذ في العمر . وكان هذا عين العدالة والانصاف على ما اظن .

فسألتها : وهل تفين انت بوعد لم يطلب هو اليك الوفاء به ؟

فهزت اصابعها النحيلة الطويلة هزت خفيفة ، واحسست كأن هناك نذير سوء من وراء بريق تلك الزمردة التي تطل من اصبعها ، ثم قالت :

آه ، سأفي بالوعد ، انت تعرف هذا على الانسان ان يكون مهذبا . واصدقك القول هذا سر تناولي الغداء بمطعم كلاريدج اليوم . فهنا عند هذه المائدة طلب يدي ، وهنا تناولنا يومئذ الغداء معا ، وكنت اجلس في مكاني هذا . وليس من شيء آلم الى نفسي من انني لا ازال احبه الان بنفس القوة التي أحببته بها آنذاك . وتوقفت عن الكلام برهة ورايت انها قد زمت شفتيها ، ثم قالت : حان موعدي على ما اظن ، ان بيتر يكره هذا الذي يضطره الى الانتظار .

والقت علي بنظرة فيها مسحة من اليأس ، وحز في نفسي ان اراها لا تقوى على النهوض من مقعدها . ثم ابتسمت ونهضت في جهد كبير واقفة على قدميها .

قلت : أتحبين ان اصحبك ؟

فابتسمت وقالت : الى باب المطعم فقط .

ومشينا في ابهاء المطعم ، وقطعنا رواقه حتى اقتربنا من مدخله، فدفع الحاجب بابه الدوار ، وسالتها اذا كانت تريد عربة تاكسي .

فقالت : كلا ، سأمشي فاليوم يوم جميل . ومدت يدها تصافحني وهي تقول : كان جميلا ان القاك . غدا اسافر الى الخارج ، ولكني اعتقد انني سأعود لاقضي الخريف كله في لندن . اتصل بي تلفونيا .

وابتسمت وهزت راسها ثم دارت على عقبيها . واخذت اراقبها وهي تسير في شارع ديفيز . كان النسيم لا يزال عليلا يفوح بجو الربيع ومن وراء البيوت غلائل من السحب بيضاء تسعى الهوينى في السماء الزرقاء . اما هي فكانت تمشي معتدلة القامة مرفوعة الراس . كانت رشيقة اثناء مشيتها . ولمحتها من بعيد تحني راسها برشاقة لصديق حياها برفع قبعته ، وخيل الي انه يستحيل ان يدرك ابدا انها كسيرة الفؤاد . ولهذا اكرر اخيرا انها امراة صادقة ، صادقة الوعد .

حسن السعران

حـــيرى

✳

من ديوان « الامس الضائع » يصدر قريبا
عن دار المعارف بمصر

لحسن عبـدالله القرشـي

العربيـة السعودية ـ جـدة

✳

حيرى يمزّقك الخيال
تمشين في بيداء حلمك في ضلال
وتحدّقين ... ترى رؤى الماضي سراب ؟
أم أنت تلك الموجة العذراء يحضنها العباب؟
أم ذلك الشبح الملفع بالظلال !

*

حيرى تروّعك الخطوب
والوهم والماضي الغريب
والامس يفهق بالنحيب
وتناوح الشفق الرهيب
يرنـو فترتجف القلوب
في فزعة العاني تهدهده القيود !

*

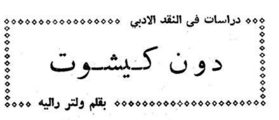
حيرى تلوّعك الرؤى
ويكاد يعشيك السنـا
فلقد سقاك اليأس من بعد المنى
أكواب حاضرك المروع
شوقا تنهنه الـدمـوع
وأسى يعربـد في الضلوع
وحنين مكتئب شرود ..!

*

حيرى يؤرقـك السهـاد
والجرح ما للجرح ينغر من ضمـاد
تتبسـمين وتهزئـين
وبعينك السكرى من الماضي شجون
هذا الفراش يهبُّ نحوك لا تذودين الفراش
وسياطا حدق وهمهمة وشوق لا يبين !

*

حيرى توشّحك الدمـاء
ويضيق بالروح الفضاء
مـا من ملاذ لا مقر
سفر سيسلم راحتيك الى سفر
والحيرة الخرساء تتبع في الاثـر
لا لن يشيب بـك الزمـان
رغم التحرّق والهوان
وبثغرك المحموم جمرتان ..



ooo دراسات في النقد الادبي

دون كيشوت

بقلم ولتر راليه oooo

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

o
o o

كان احد الفرسان الاسبان في الخمسين من عمره ، قد عاش في فقر مدقع ، بقرية تدعى (لامانخا) ولاغراقه في قراءة القصص الغرامية التي تتحدث عن الفروسية كرس نفسه لها ، بعد ان جمع منها مقدارا كبيرا ، حتى انها تمكنت من السيطرة على ذهنه في الختام ، ومن اجل ذلك غلبته روح المخاطرة فخرج من بيته على حصان اعجف عجوز ، وبيده رمحه وعلى راسه خوذته ، انه فعل ذلك لتحدي الصعاب وملاقاة المخاطر ، وتخفيف المظالم الحالة بالعالم . واقنع جارا له ، كان جاهلا فقيرا يدعى سانخو بانزا ، اقنعه بركوب حمار ومرافقته كتابع له .

نظر هذا الفارس الى العالم من خلال مرآة الحكايات الغرامية الاثيرة لديه ، فظن الخانات قصورا ساحرة ، والطواحين عمالقة ، والفتيات الريفيات اميرات منفيات . فروحه الرفيعة وشجاعته لم تخوناه قط ، غير ان اوهامه قادته الى مشاكل لا نهاية لها . وباسم العدالة والفروسية تطفل على كل من لقيه ، وهاجم كل من حسبه ظالما مسيئا لاستخدام سلطته . كان هو وخادمه يقعان احيانا كثيرة تحت طائلة الجلد ، والخداع والسخرية ، والمهانة الى ان انقذته رحمة اصدقائه القدامى ، ومساعدة بعض اصدقائه الجدد ، الذين مستهم طبيعته السخية الرضية ، فاعيد الى بيته في القرية ليموت هناك . لقد نجا الفارس من اوهامه ، وشفي من اسقامه .

هذه هي قصة دون كيشوت : وهي اطار ما يدعى بغير مبالغة اروع كتاب في العالم واحكمه ، كتاب رجل عجوز فيه حكمة قلب ناري ، تعلم الصبر والاناة . توفي شكسبير وسرفانتس في اليوم نفسه ، ولو ان سرفانتس مات في عمر شكسبير لما كنا نملك الان (دون كيشوت) لم يكتب الاخير شيئا يماثل هذا الكتاب في مادة تجربته ، وهدوئه ، وحكمته المنيرة الدائبة ، وتفتح باصرته في التطلع على قوة العالم ، ولم يكن شكسبير ليناهز سرفانتس في شجاعته ودفاعه عن حقوق القلب الشهم

ولو فرضنا ان حاكم باراتاريا استدعي للتحكيم بين هذين المؤلفين العظيمين ، لكانت احكامه واضحة سهلة ، معجبة . وربما انه سيذهب الى حد القول : بينا شكسبير قضى نحبه في الثانية والخمسين ، عاش سرفانتس سبعة عشر عاما اكثر منه . ولو كرس الانسان ايامه لدراسة شكسبير حتى يبلغ ما ادركه من عمر ، ثم تقدمت به السن اطول لتحتم عليه ان يمر بمدرسة سرفانتس الحكيم الرزين ومن اجل ذلك يقل عدد اتباع السيد الاسباني في حين يزداد تلامذة ابن الرئيس الاسترافور دي .

ومع هذا فان شعبيته العالمية الانتشار ، وكدت نفسها ، وثبتت وجودها بقوة وشدة . لقد جذب دائما العديد من القراء وسيفعل ذلك في المستقبل ايضا ، ذلك بانهم يجدون سرورا معقولا في المصائب الهازلة التي نزلت بساحة (الدون) والسخريات التي بدت على مظهره الساحر المتهكم العابث ، وفي الكثير من الحكايات الغرامية والاغاني الهيامية ، التي كان يستمعها عند مختلف الشخوص الذين يلقاهم ، وفي ثروة الحوادث المنبثقة من العالم ، فما يحط قدمه على تربة ما حتى يشعر بالحصيد البهيج ، وكذلك يفعل حين ينال نصيبه اليومي من الركل والضرب والدفع والشد . وهذا يعني ان من لم يهتم بدون كيشوت الا اقل الاهتمام ، لا بد له من الشعور بسرور الحياة ، الموجودة في هذا الكتاب ، لانه مفعم بالحياة .

نحن لا نملك سجلا وافيا عن تجارب حياة سرفانتس ، تلك التجارب المنتقاة في اعظم كتبه(1) . نحن نعرف انه كان جنديا حارب الاتراك في وقعة (ليبانتو) وان يده اليسرى عطلت عن العمل مدى عمره ، وانه اسر من قبل المراكشيين بعد عدة سنوات من هذه الحادثة ، فبقي في الاسر ومذلته خمس سنين ، ثم حاول الفرار مع آخرين ، ولما كشف النقاب عن امره ، وأعيدت محاكمته عزا الى

---

(1) ان الحقائق الثابتة المتعلقة بسيرة سرفانتس ، قد جمعها ودونها بدقة معجبة الاديب العالم فتزموريس كيلى ، في كتابه الحديث (ذكرى ميجيل دي سرفانتس سافيدرا) . وفي هذه السيرة تجسد لكل ما يمكن تعلمه من مختلف النصوص المكتشفة والمطبوعة منذ عشرين سنة على يد المرحوم كرستوبال بيريز باستور . صحيح ان نتيجة المعلومات الضافية هذه ستخيب امال الذين لم يتعودوا النظر من خلال القوانين الوضعية . لان ديون الانسان ومشاكله معروضة مسجلة بصراحة ، في حين ان الحوادث الحرجة في حياة مثل هذا الانسان لا تجد مؤرخا يسطرها غير نفسه . ومن هنا فالتحدث عن حياة سرفانتس بالاعتماد على صحراء النصوص ، يعد عملا صعبا عسيرا ، لانه يتطرق الى سيرة جندي وشاعر بواسطة الاستناد الى سجلات الضرائب ، وقوائم الديون . ومع هذا فقد انجز فتزموريس كيلي واجبه بلياقة ودقة وامانة .

نفسه كل المسئولية ، وفي الختام تكللت جهود اسرته بالنجاح فأفرج عنه بفدية .

فعاد الى اسبانيا حيث عاش عيشة اديب فقير في وظائف حكومية متقطعة ، واستمر متمسكا بحبل الحياة ، بعد هذا كله مدى ست وثلاثين سنة . فكتب اغنيات ومسرحيات، وباع اثاث اسرته بالمزاد ، وتعرف على دخيلة السجون .

وقد نشر سرفانتس القسم الاول من (دون كيشوت) في سنة ١٦٠٥ ــ اي في سنته الثامنة والخمسين ــ وبعدئذ تمتع بسمعة رفيعة ، مع استمرار فقره ثم ظهر القسم الثاني من الكتاب في سنة ١٦١٥ ، وقد عمل المؤلف جهده في هذا الجزء ليجعل القسم الاول لعبة مسرة ، بان انطق شخوصه بكلمات تدل على عرفانهم بما صدر من قبل وفي السنة التالية لنشر الكتاب توفي سرفانتس ، ودفن في دير (الراهبات الحافيات) في مدريد .

لم يضع احدهم علامة ما على ضريحه ، ولكن روحه لا تزال تطوف في العالم بما عرف به من نبل الشخصية ، وبما كان عليه من روعة البراعة في عوالم الواقع والخيال ، والحق انه لا يزال يصر على شيء ذي اهمية بالغة بالنسبة الى العالم ، وخير ما يتمثل به هذا الشيء هو الفروسية ، ورفع شأن المرأة، والنضال دون حق المغبونين، المضطهدين، واصلاح الاغلاط واجتثاث المظالم ، كأننا لا نزال نسمع اليه وهو يقول :

« أيها السادة ، واذن فليكن احدنا فارسا ، ان ما تحدثت عنه لا يتجاوز نظام الفروسية ، ومع اني خاطىء فقدتمرست بهذه الحرفة، أنا اقر بجميع ما يقر به الفرسان المشاهير ، وهذه هي العلة التي تحثني على ارتياد الصحارى، والاماكن المنعزلة ، طلبا للمخاطر ، وفي نفسي عزيمة مضاءة مقصودة لتقديم يدي وشخصي لكل خطر محدق قد يداهمني ، وكل ذلك من اجل مساعدة الضعاف واغاثة الملهوفين والمحتاجين . »

غير ان العالم ظل الى الان مبهورا ، ضعيف الايمان . يعلق المؤلف على ما سبق من كلمات بايجاز قائلا « وبهذه الكلمات التي تفوه بها ، اقتنع المسافرون جميعا كل الاقتناع بان دون كيشوت كان متجاوزا نطاق عقله . »

ومما يغلب على ظنون دارسي سرفانتس انه لم يقصد من كتاب (دون كيشوت) غير هدف واحد هو القضاء على تأثير حكايات الفروسية . ومن الصواب ان نعد هذه القصص جل ما تداوله الناس في عصره ، على ما في بعضها من نفايات قد تكون مضرة او غير مضرة . ومن الصحيح كذلك ان منهج كتابه يعرض معايب هذه الحكايات الى فضح لاذع ، وبخاصة في الامور المتعلقة بالاخلاق ، وهذا ما نجده في مناظر محاكم التفتيش التي تحارب الكتب ، حيث يتضافر القس والحلاق ورب البيت وابنة اخيه لحرق الجزء الكبير من المكتبات . ولكن كيف تمكن سرفانتس من معرفة هذه الحكايات بهكذا حذق ودراية ، حتى أجاد في وصف حوادثها ، بلغة محببة لطيفة ؟

ومن الجدير ملاحظته هو اقصاء سرفانتس للقليل من هذه القصص من حكم الموت الزؤام ، ومن ذلك (اماديس الفولي) لان هذه القصة (من أحسن الكتب في منحاها ، كما ان قسطا معادلا من الثناء لهذا المديح يعزوه الكاتب الى (بالمرين الانكليزي) وهي الشخصية التي تتحكم في قصة (ترانت الابيض) التي يحسبها القس نفسه كنزا من الحبور .. ولذا يقول (الحق ان هذا الكتاب هو من احسن كتب العالم في اسلوبه . فهنا نجد الفرسان يتناولون طعامهم ، وينامون ويموتون في سررهم، ويضعون وصاياهم قبل ان يخترمهم القضاء المحتوم ، هذا بالاضافة الى أشياء اخرى تفتقر اليها الكتب من هذا الضرب . »

ومن الشواهد الدالة على ما يكنه سرفانتس من احترام لصفوة هذه الحكايات عادته المعروفة بربط عناوينها بعناوين قصائد هومر وفرجل ومن هنا نجد مقتطفات من (يوليسس) يستخدمها دون كيشوت حين كان يعلم سانخو بانزا في مجاهل سيرامورينا ، والقصد من ذلك ان تكون هذه المقتطفات نماذج في الصبر والحكمة وخير مثال على ذلك اينياس الذي هو أعظم الابناء واخلصهم وفاء ، واحسن الربابنة خبرة واطلاعا ، واماديس (نجم القطب ، وكوكب الصبح ، وشمس الفرسان العشاق اللامعين ، الذين ينبغي لنا أقتفاء آثارهم ، والدخول في المعامع تحت لواء الحب والفروسية .)

ومن الغرابة بمكان ان كتابا مثل هذا ، الذي هو نتاج ذهن مبدع خلاق ، لم يكن له من هدف غير التدمير والاهلاك، ولم يكن جديرا بشرف يتجاوز شرف الكناسين . ومع هذا، يحق لنا القول بان هذا الكتاب متعدد الجوانب ، يلائم كل الاذواق ، وتجد فيه جميع المعتقدات ما ينبىء باحقيتها وصوابها وذلك بان روح التهكم فيه من السعة والشمول والعمق ، بحيث يصعب الا على الاقلية من القراء اكتشافها. انها تشبه منجما في غاية العمق ، فيه كنز يتيسر التوصل اليه باسهل السبل . ومن هنا فالسخرية برمتها تنقد نظريات الانسانية وافكارها الناقصة، ليس بالاستعاضة عنها بما يماثلها ، بل عن طريق عرض حقائق الحياة ومقابلتها بالنظريات .

وما لنا نذهب بعيدا وحاكم العالم نفسه هو سيد السخرية ، وقد سمح للانسان بقسط من المتعة ــ في هذا الصدد ــ عن سبيل قوة الحقيقة المطهرة . اما اعضاء النوع الانساني الضعاف الشكسين ، فانهم يحاولون تجنيد الحقائق في خدمة آرائهم التافهة . ولكن روحا عميقة الغور ، رزينة السيماء ، كروح سرفانتس تعرف ان الحقائق لن تتحمل مثل هذه العبودية ، ولن تتلقى الاوامر من هؤلاء الذين يرغبون في القضاء عليها ، ولن تقنع بالكلام حين يطلب ذلك منها. انها تتطفل على الخطط المدبرة التي وضعتها الانسانية في شيء كثير من الفجاءة والسرعة ، والدهش واللامبالاة . ولذا فغض الطرف عنها غير ممكن ، فكم من انسان احتاط من المفاجآت ولكن الحب والموت غلباه على أمره . فكل انسان يسعه رؤية التهكم في (دون كيشوت) والتمتع باشكاله الواضحة الجلية . هذا سيد عجوز يحاول وضع أفكاره القديمة البالية في نطاق العمل في عالم صاخب ، اناني ، تافه ، انه شخصية تستدر الفكاهة ، حتى من أحط العقول واقلها ذكاء

ولكن شيئا من التفكير يلجم استصغارنا لهذا الشأن أليس الصلاح كله والفضيلة جميعها تتمثلان في حالة دون

كيشوت ؟ وبعد ، ماذا يعني المؤلف ؟ أهو يقول بان العالم على صواب ، ومن يحاول اصلاحه على خطأ ؟ اذا كان هذا هو ما يعنيه ، فلم نحب (الدون) كلما سرنا خطوة معه في جولاته ، حتى اننا نغمره بحبنا واحترامنا في النهاية ؟ أمن المحتمل ان يكون النقد ذا حدين ، فما نحتفل به بضحكنا هو خيبة العالم ؟ والشيء المعجب في معالجة سرفانتس للقصة هو اخلاصه المطلق وصراحته التامة ، وابتعاده عن التصنع . فعاله يسلك سلوكا متوقعا منه كما لو ان مصالحه اليومية اربكها مجنون بعنف وشدة .

واكبت الخيبات خطوات دون كيشوت الواحدة تلو الاخرى ، ولم تكن له شعبية لتخفف من النوازل المالية التي حلت بساحته . يقول (الدون) في حديثه مع سامبسون الاعزب (كل من يكتب عني لن يسر الا القليلين) والراحة الوحيدة التي يقدر الاعزب على العثور عليها تتبدى في وجود الحمقى الذين لا يحصرهم عد ، وذلك في القسم الاول من مخاطراته التي بعثت المسرة في قلوبهم .

ولنضرب مثلا لمعالجة سرفانتس لهذه الشؤون، بقضية انقاذ الصبي اندرز من أيدي ظالمه . فحين خرج (الدون) ممتطيا صهوة جواده من الخان ، بعد تسلمه رتبة الفروسية ، سمع صرخات متألمة صادرة من اجمة قريبة . ومن اجل ذلك شكر لله تقديمه له فرصة الخدمة هذه ، فادار راس حصانه ، وبعد مدة وجد فلاحا يضرب صبيا فما كان منه الا نعت الفلاح بالجبن ، على وفق اصول الفروسية ، ثم تحداه للنزال في معركة منفردة . رعب الفلاح من هذا المنظر الغريب ، وبيّن له ان الصبي هو خادمه ، وان لامبالاته الفظيعة جعلته يضيع شاة كل يوم . وبعد مناقشة حادة تم الاتفاق على عتق الصبي واعطائه حقه من الاجور، وعندئذ غادر الفارس المكان مغتبطا مسرورا . ثم اوثق الفلاح الصبي بالحبل ، واخذ يجلده بشدة اكثر من قبل ، وبعدها حل وثاقه واخبره بان يبحث عن الخلاص من ربقة سيده . هكذا ارتحل الصبي ناحبا ، في حين ظل سيده يضحك خلفه ، وبهذا الاسلوب اصلح دون كيشوت الصنديد اغلاطه ، ولم تنقض مدة طويلة على ذلك حتى وصل الفارس وخادمه الى بعض الصحارى ، وهناك وجدا الصبي بالمصادفة ، ودونك ما يسرده دون كيشوت من قصة تخليص هذا الصبي كدليل على فوائد الفروسية بالنسبة الى العالم ، قال :

« يقول الشاب اليافع (انكم) يا صاحب السيادة محقون في كل ما تقولون ، ولكن نهاية المشكلة كانت عكس ما تصورتموه سيادتكم ؟ » ، وهنا لم يتردد دون كيشوت من القول : (ما تعني بضد ما حدث ؟ ألم يدفع لك سيدك ما اردته ، اذن ؟ فرد الصبي ، هو لم يدفع لي شيئا حسب، بل انه ما ان وجد نفسه وحيدا ، بعد مغادرة سيادتكم للمكان ، حتى شدني الى الشجرة نفسها ، وانهال علي بالضربات الى ان افرى جلدي ، كما وقع للقديس بارتولوميو، وكلما انزل بي ضربة اطلق نكتة ساخرة ، ليغمز من قناة سيادتكم، ولو اني لم اكن لاشعر بما صبعلي من الم شديد، لضحكت مما قاله ونطق به . واللوم في كل ذلك يقع على سيادتكم ، فلو سرت في طريقك ، ولم تتدخل في شؤون الناس الاخرين ، لقنع سيدي بعدد يسير من الضربات ، ولكان قد اطلقني بعد ان سدد لي ما في ذمته من ديون

ولما كنتم سيادتكم قد سلقتموه بالسنة حداد ، توهج غضبه واستشاط غيظه ، ولما كان غير متمكن من الثأر لنفسه ، افرغ سمه على راسي .

يعترف (الدون) بغلطه بحزن ولا ينكر انه كان ينبغي له تذكر حقيقة مؤداها (ان الاوغاد يخلفون ما يعدون ، ان لم يجدوا في وعودهم ما يناسبهم) ولكنه يبلغ آندرز بثقته بصلاح شأنه ، مما يجعل الرعب الذي القي في قلب الصبي ينتفض فيقول (سيدي الفارس ، حبا لكرامة الله ، ارجوك ان صادفتني مرة اخرى ، ورايتني مقطع الاوصال ، الا تنقذني بان تمد الي يد العون ، بل أتوسل اليك ان تتركني لما انا فيه من الم ، لان مثل هذا الالم مهما يكن شديدا لا يمكن ان يكون أعنف من مساعدة سيادتكم — فما انتم ايها الفرسان الا لعنات صبها الله على هذا العالم !) وما ان سمع دون كيشوت ذلك حتى اخذ باذيال الفرار ، ذلك بان هذه القصة عرضته للسخرية ، فاستحيا من سائر رفقته ، الذين حاولوا جهدهم السكوت لئلا يضحكوا منه فيوقعوه في ارتباك عسير .

وفي القصة كلها لا يبيح سرفانتس للقارىء نسيان الحقيقة التي تتجلى في عبث ما يطلبه المصلحون من اجر وجزاء في هذا العالم . فاكوام المهانة التي تكدست على روح البطولة التي يتمتع بها (الدون) تقزز القارىء كما اشار الى ذلك تشارلس لام . صحيح انه ضرب ورفس ، وقلعت اسنانه ، ولكنه وجد العزاء في ذلك كله ، لان هذه الحوادث لصيقة بحرفته ، ووجهه الملوث بالوحل لا يمنعه من الرد على الساخرين به بكل لطف وادب .

وفي ذات يوم يضطر (الدون) الى حراسة احد الاسطبلات ، وفيما هو كذلك اذ بامرأة ريفية تدعى (ماريتونيس) تتقرب منه وتشد ذراعه بوتد معلق في الاسطبل ، فيظل الدون في مكانه تلك الليلة من غير حراك ، وما كاد الليل يتنفس ويقبل الفجر ، حتى جاء اربعة مسافرين الى حيث كان، وعندها لم ير بدا من تحديهم ومنازلتهم ، وكيف لا يفعل ذلك وهو الحارس الامين لكل النائمين في الخان ؟

ثم ان الدوق والدوقة اللذين استضافاه ، سخرا منه بهمجية ظاهرة قاسية ، وجعلا يلعبان بافكاره وآرائه من غير تورع ولا رحمة . ومن ذلك انهما حصراه في غرفة ، كانا قد ملآها بالقطط الوحشية ، فما ان دخلها الدون ، حتى اخذت القطط تخمشه وتخدشه بضراوة ووحشية ، الى ان ادمي وجهه ومزقت ثيابه ، ولما كان الباب موصدا في وجهه اضطر الى تحمل الالام بصبر واناة .

اما اصدقاؤه في القرية فقد كانوا ارحم بحاله ، ومع هذا فقد حملوه في قفص ، كانه وحش كاسر ، وذلك حينما طافوا به في ازقة القرية ، وكل ذلك لكي يغتبط الناس بالتفرج عليه . وتعليقا على هذا كله يقول الدون (انا فارس العالم الجديد ، وانا اول من احيا تقاليد الفروسية المنسية، اما هذه الامور التي طرات علي فما هي الا اشكال جديدة من السحر) ومن هنا نرى ان روحه تتسامى كلما ازدادت مآسيه ، كما ان ذهنه يشتد صفاء ونقاء ، كأنه سماء لا غيوم فيها .

قد يعترض احدهم فيقول ان دون كيشوت رجل مخبول. وهنا تبدو سخرية سرفانتس في أعمق مستوياتها، اذ ان دون كيشوت لا يعدو كونه انسانا مثاليا ، رفيع التفكير ، لانه يرى الاشياء من خلال افكاره السامية ، فكل امراة جميلة في نظره ، جديرة بالاعجاب ، وكل شيء يقال له يستحق الاصغاء بكل وقار وانتباه ، كما ان اي اجتماع طارىء يعقد حتى في الخانات ، لا يلتئم الا على وفق قاعدة ثابتة من الاحترام المتبادل فهو لهذه الاسباب جميعا يوفق بين مسلكه في الحياة وافكاره التي تبناها ، وهذا ما يجعل الناس يضحكون منه ومن آلامه .

ثم ان احدنا قد يحسن الظن في سانخو بانزا فيحسبه عاقلا لبيبا ، لانه واقعي يحب اكل الطعام والنوم ، وينظر الى العالم نظرة تستمد وجودها من واقع الحياة ، ولذا لا بد من مقابلة شذوذ سيده ، بمستوى حياته الاعتيادية ولكن الامر ليس كذلك بتاتا ، فسانخو مجنون كجنون سيده ، ولكن على طريقته الخاصة . فاذا كانت الاوهام هي التي تخون السيد ، فالحاسة الطبيعية السقيمة هي التي تخيب ظنون الخادم الامين .

وهذه الحقيقة لا تتوضح في شيء كما تبدو في مشكلة الجزيرة ، التي ستسند ادارتها الى سانخو حين يعود دون كيشوت الى مملكته المزعومة . قد يظهر سانخو وكأنه انسان مساوم خبيث النوايا ، ولكنه يعترف باخلاص سيده وصدقه وتجرده من الانانية ، ويؤمن بكل ما يسمع عن الجزيرة . انه يفكر كثيرا في مشاريعه ، ويستمر في نقده لها . وفي بعض الاحيان يصر على عدم جدارته برتبة الحاكم ، وتفاهة زوجته لانها لا تليق بمنزلة زوجة الحاكم . وفي أحيان اخرى يؤكد بحماسة على ان كثيرين من الناس اقل جدارة منه ، ومع هذا ، فهم حكام محترمون ، يأكلون في صحون من الفضة . وفي ذات يوم يسمع انه ان لم ينل الجزيرة ، فهو سيجازى بقطعة ارض في احدى القارات ، ولذا يقرر ان تكون هذه القطعة على الساحل ، كي يتمكن من بيع سكانها متى ما شاء . ولذا لا يقتضي لسرفانتس ان يخبرنا بجنون سانخو ، وهذا ما يشار اليه بشيء من التوكيد في الكتاب مرات عديدة . دونك ما يقوله الحلاق حين يوجه كلامه الى الخادم : « أرى ان ترافق السيد في القنص ما دام حيا يرزق ، لانك مسحور مثله . وكيف لا وقد حبلت بوعوده في يوم من ايام الشؤم ؟ كما دخلت الجزيرة في جمجمتك في ساعة من ساعات النحس » .

ومن اجل ذلك ، حسب الناس هذين الشخصين من عداد المجانين ، ومع ذلك فمعظم حكمة الكتاب تعود اليهما ، وحين يمتنعان عن الكلام يتدهور الكتاب الى الابتذال ، وهذا امر معروف معترف به في الكتاب نفسه . ان الفارس وخادمه يثيران معا الدهش عند الناس باحاديثهما ، فيعجب السامعون من حكمتهما وعدلهما وصدقهما ، ومن جنونهما في افعالهما ان الكتاب ــ بالتاكيد ــ فردوس من المناقشة المسرة الحاثة على الحبور والانشراح ، في جميع الموضوعات المطروقة والمقدمة في أطر جديدة واقنعة حديثة مبتكرة . فالوضعية الدراماتيكية التي هي أساس الكتاب وفحواه ، لا تنسى ابدا . اما الاشياء التي قيلت ، فهي من النفاسة والجودة بحيث انها لو أخذت من اماكنها لظلت لامعة بارقة ولو في شيء يسير من الشحوب والتضاؤل .

ماذا يمكن ان يكون اروع من تناول دون كيشوت لمعضلة النسب ، وبخاصة حين يفكر في الزواج بابنة جميلة من بنات الملوك المسيحيين او الوثنيين؟ فهو يشير الى ضربين من النسب فيقول : (ان الخلاف بينهما هو هذا ــ فمنهم اصحاب حظوظ لا اصل لهم ، ومنهم من له محتد اصيل دون ان يكون له حاضر مشرف ، اما اذا نظرت الى المسألة جادا فأنا من أنا في شرف الارومة وذروة المجد ، وكيف لا وملك المستقبل سيكون صهري ، ثم هل من حكمة تفوق ما قاله سانخو حين تخلى عن ادارة الجزيرة المزعومة .

« تركت الجزيرة البارحة صباحا كما وجدتها بشوارعها وبيوتها . لم استدن شيئا من اي انسان ، ولم اختلط بمن همهم الارباح والمغانم ، ومع اني فكرت في تشريع بعض القوانين المفيدة ، الا اني لم أنفذ مثل هذه الفكرة لاني خشيت من عدم تطبيقها الامر الذي يجعل من العبث تشريعها . »

كثيرون من الذين صادفوا هذين الشخصين في جولاتهما سحروا بكلامهما . وليس يقتصر الامر على هؤلاء حسب بل ان عالم الخيال الذي عاش فيه هذان الجوالان فيه جاذبية رائعة وعدوى افكار قوية . ومن هنا فقبل ان تصل القصة الى نهايتها نجد زمرة من الناس غير متجانسة ، كالدوق والدوقة والفلاحين ، نجدهم يتركون اعمالهم ليساهموا في خداع انفسهم عن طريق تمثيلهم لشخوص دون كيشوت في احلامه . صحيح انه ليس في العالم مملكة تدعى باراتاريا ولكن الذين عرفوها جعلوا يسعون حثيثا لكي يروا كيف يرتاح سانخو الى منزلة (الحاكمية) ومن اجل ذلك قدم الدوق قرية لسانخو بعد ان وظف فيها بعض الضباط حتى يقوم كل بدوره المعهود اليه . وبهذا الاسلوب حاولت بعض اوهام المتكلمين الكفاح قصد تحقيق وجودها ، كما ان احلام دون كيشوت خلقت السعادة التي افتقدتها .

وليس في القصة ما هو اقرب الى القلب وامس به من الصلة المتوثقة ابدا والاعجاب المتبادل بين الفارس وتابعه فكل يحترم حكمة الاخر ، ولكن دون كيشوت اكثر لياقة في كلامه من صاحبه ، واشد تأففا من أمثال سانخو . ومن هنا نجد التأثير المتقابل بينهما ، فالفارس يصر على معاملة خادمه بلطف وادب ، في حين ان سانخو المسكين يعلن في النهاية ان جميع الحكومات الموجودة في العالم لن تتمكن من اغرائه وابعاده عن خدمة سيده المحبوب .

ماذا ، اذن ، نحكم على هذين المجنونين الذين تقطر الحكمة من شفاههما ؟ وماذا يظن الخالق بهما ؟ وهاك ما يقوله دون كيشوت عندما يتحدث الى صاحبه : « اصغ يا سانخو ، هناك ضربان من الجمال .احدهما يخص الروح والاخر الجسد . اما جمال الروح فيفوق الجسد في معرفة الحشمة ، والسلوك المؤدب ، والتربية الصالحة ، وسماحة العقل ، وكل هذه الفضائل يمكن ان تتجمع في انسان قبيح ... »

وبهذا الاسلوب المتهكم الرائع ، يمضي سرفانتس في سرد قصته البهيجة .

بعقوبة ــ العراق

يوسف عبد المسيح ثروة

الجذر الدفينُ لا يطلب هديةً ليملأ الاغصان ثماراً •

النحلةُ تمتص عسَلها من الزهور وترفرف قائلة : شكراً • والفراشةُ المسحورةُ تعرف جيداً أن الزهورَ مدينةٌ لها بالشكر •

من وراء قلبي الحزين ، توجد حسراتي ، وهمساتي ، ولكني لا استطيعُ فهمها !

أنت تبعثين الي برسائل الغرام في القمر • هكذا قال الليل للشمس ودموعي تجيبك في الاعشاب •

الورقةُ عندما تحب تكشف عن زهرة ، والزهرةُ تتحول الى ثمرة في عبادتها •

دعني أظن أن نجمة من هذه النجوم ، ستقودُ حياتي الى شيء خفي مظلم •

عندما طرقت حياتي بأصابعك اللطيفة أيتها المرأة : تفجر الايمانُ من اعماقي كالموسيقى !

الصوتُ الحزينُ الذي بَنى أعشاشَه في خرائب الاعوام ؛ يطربني في الليل قائلا : كم احببتك

كم عندي في السماء من نجوم مشتعلة ، ولكن واحسرتاه ، على قنديلي الصغير المنطفىء في بيتي !

قدرةُ الله اللامتناهية لا توجد في العاصفة ، بل في النسيم الهادىء •

ان قطرات الشتاء عندما تقبل الارض تقول لها بحنان : نحن بناتك الحزينات يا أماه ! وقد أتينا لزيارتك من السماء •

السكينةُ تهيم بصوتك ، كما يهيم

الطيور المفقودة

لرابندرانات طاغور

•

ترجمة محمد الصباغ

•

تطوان ـ المغرب

O

العشُ بموسيقى الطيور الناعسة •

اني لاجل ذلك الطائر الفجري الذي يحوم في عش سكينتي كل الليالي •

العالم الاليم يقبّل روحي ، ويريد من بعد ، ان ارجع له ألمه في اناشيدي •

ما هذا الذي يقبض على صدري؟ أهي روحي التي تريد ان تجنح الى اللانهاية ، أم هي روح العالم التي تريد ان تدخل الى صدري ؟

الفكر يتغذى بالفاظه ، لذلك يكبر سريعاً •

سأترك لاحبائي أشيائي الصغيرة، أما أشيائي الكبيرة فسأتركها للكل•

أنا كطريق في ليل ، ينصت في سكون ، الى خطوات الذكريات •

ان الذي يتصيد الفرصة المواتية ليعمل الخير ، يفر منه الزمن دون ان يعمل الخير •

يقول القوس للسهم وقت الوداع حريتك هي حريتي •

قالت قطرة الشتاء الى الياسمينة همساً : خذيني الى قلبك الى الابد!

زفرت الياسمينة قائلة : آه ! وسقطت على الارض •

كيف سأنحني اليك ، واعبدك ايتها الشمس ، قالت الزهرة الصغيرة • فأجابتها الشمس : في صفاء هدوئك المتواضع •

ليل ، ونهار ، أنشودة الموت الابدية التي تثور ، كبحر حول جزيرة الحياة ، ذات الوحدة والسكينة •

فتش عن جمالك يا قلبي في حركة العالم ، كقارب يأخذ هبته من الرياح والمياه •

انظر اليها وهي معفرة في الغبار، تلك الزهرة التي طمحت ان تكون فراشة •

من الزهور ، ونور الشمس تعلمتُ حقيقةً سكينة تنهداتك ! فعلمني حقيقة كلماتك في الالم والموت •

أنا طفلٌ مستيقظٌ يا اماه ! انظري الى اصابعي التي تفتش عنك في الظلام •

لقد انتهى نهارُ عملي ، دعيني اخبىء جسدي بين ذراعيك يا امي ، اتركيني احلم فيك •

ايها العالم ، احضن في سكينتك عندما اواري التراب هذه الكلمة : أحببت •

قصة قصيرة

في عيد الميلاد

بقلم نديم ناصر

كاد الليل ينتصف والطبيعة ثائرة هائجة تنذر بعاصفة لا تذر ولا تبقي ، ولا زالت سلوى تتقلب على فراشها الوثير تتدثر بالاغطية السميكة لائذة بها من البرد القارس في الخارج .

الريح تصفر وتعول كأنها مردة الجن قد خلا لها الجو فعاثت في الارض فسادا ، وهدير البحر القريب من المنزل كانه طبول ينقل صوتها من المجهول ، وحبات المطر التي لا ينقطع سيلها بضرباتها الرتيبة على زجاج النافذة توحي بالوحشة والرهبة .

لم تكن سلوى قد تجاوزت بعد السابعة من سني حياتها ، وقد نشأت في بيت رفرفت عليه السعادة الى حين واختفت بانطفاء حياة ام سلوى التي توفيت متأثرة بمرض عضال .

انقلبت حياة سلوى الى جحيم لا يطاق ولما تجف بعد دموع الحزن والاسى من عينيها لفراق امها الابدي عندما تزوج ابوها من امراة اخرى كانت تتردد كثيرا على البيت من قبل وفاة امها مدعية انها من قريبات الوالد

انها لا تذكر من امها غير طيف شاحب اخذت تتلاشى معالمه مع مر الايام ، ولكنها تشبثت بهذا الطيف وتحاول ابقاء رسمه راسخا في مخيلتها الصغيرة ، لانه طيف حبيب الى قلبها طيف كان يمنحها بسخاء العطف والحنان . وكانت تلجأ الى صورة صغيرة لامها كانت قد اخفتها في درج غرفتها بعد ان نزعت زوجة ابيها الصورة ذات الاطار الجميل المعلقة في غرفة الاستقبال ، كانت تلجأ الى هذه الصورة تستعيد معالم وجه امها محدقة في الرسم ساعات وساعات كلما اوشكت هذه المعالم على التلاشي .

وتذكر كذلك يوم ووريت امها التراب كيف وقفت منزوية في ظل شجرة سنديان كبيرة تنظر الى النعش المصنوع من الخشب الثمين النظرة الاخيرة قبل ان يوارى التراب الى الابد . وتذكر كيف كان ابوها يقف بين المشيعين متظاهرا بالحزن العميق على فراق زوجته ، ولكن ما كاد المعزون ينصرفون من البيت كل الى سبيله حتى عرفت سلوى كم كان ابوها منافقا عندما كان يتظاهر بالاسى امام قبر الراحلة ، اذ ما لبثت ان اقبلت عليه قريبته التي كثيرا ما ترددت على البيت من قبل ، ولكم كانت دهشة سلوى واسفها عظيمين عندما تلقاها بين ذراعيه وطبع على شفتيها قبلة ولهى ، مما اثار الحقد في قلب الصغيرة على هذه المراة التي احتلت مكان امها بهذه السرعة والسهولة . ثم استدارت هذه المراة لتأمر الخادم بان تأخذ سلوى الى غرفتها لتنال قسطا من الراحة بعد عناء اليوم ولم يخف على سلوى يومئذ انها انما ارادت ابعادها الى فراشها ليخلو لهما الجو . نعم لقد آوت سلوى وقتئذ الى غرفتها قسرا ، وجفا النوم جفنيها المتعبين وعينيها الحمراوين وهي تسمع قهقهاتهما العالية تتردد في جنبات البيت ، وكأن ملاك الموت لم يكن بالامس يرفرف في انحائه متحينا الفرصة لاختطاف أمها الرؤوم . ولم يخطر ببالها من قبل ان والدها كان يتعجل وصول هذا الملاك ويرحب بقدومه ، بل اعتقدت عن ايمان انه جزع حزين لما اصاب زوجته وام فلذة كبده .

كان والد سلوى ثريا بل فاحش الثراء من تجارة كبيرة له . ولم يكن يضن على ابنته اليتيمة بشيء من ماكل ومشرب وملبس وكماليات في مدرستها الداخلية حيث اودعها بعد ان قرر الزواج من قريبته . وطلب الى المشرفة على المدرسة ان تبقيها هناك طوال العام ، اثناء الدراسة واثناء العطل المدرسية لانه — كما يدعي — كثير التنقل والسفر ليقوم على شؤون تجارته واشغاله . وكانت سلوى مع حداثة سنها تعلم ان تجارة ابيها ثابتة لا تحتاج الى تنقل او سفر ، هذابالاضافة الى ان الموظفين في محاله يقومون بجميع الاعمال الخارجية بانفسهم . وكانت تعلم انه ما ابعدها عن البيت الا زهدا في رؤيتها وعزوفا عن مضايقتها من قريبته التي ستغدو زوجا له عما قريب

شعرت سلوى بمقت شديد لهذا الوالد ، وتمنت ان تبتعد عنه الى الابد لان بعده وقربه اصبحا سيان . وكثيرا ما كانت تخلو الى نفسها في غرفتها في المدرسة تذرف الدمع السخين وتستعيد طيف امها الحبيبة علها تحظى منها بابتسامة او كلمة تشجعها على احتمال كره ابيها لها نعم ... ان اباها يمقتها ولا شك، والا لم كل هذه المعاملة القاسية كانها ليست ابنته . وانها لا تدري لذلك سببا .. فقد كان قبل وفاة امها يعطف عليها ويدللها ويداعبها بين فينة واخرى مما يبعث النشوة والسعادة في جوانحها .. انها مثال الطاعة والهدوء . فقد علمتها امها ان تكون دائما فتاة طيبة نحو الاخرين وتلبي طلب المحتاج وتساعد الفقير ، لقد تشربت نفس سلوى هذه التعاليم النبيلة .. وكانت تواظب على اداء الصلاة قبل نومها من كتاب صغير

اهدته لها امها قبل وفاتها ، فكانت تجد في اللجوء الى هذا الكتاب راحة كبيرة تعينها على تحمل ما تقاسيه من حرمان .

انصرم عام وتلاه اخر وسلوى رهينة المدرسة ، لا تخرج الا مع المربيات اللواتي احببنها حبا جما لطيبة اخلاقها وطاعتها ولما تبديه من ذكاء وتفوق ، في جولات مع زميلاتها التلميذات ، ثم تعود ثانية الى دروسها وكتاب صلاتها . ولم يستطع العطف الذي تسبغه المربيات على سلوى ان ينسيها قسوة ابيها وجفوته لها فهو لم يات لزيارتها طوال مقامها في المدرسة الا مرةواحدة ينوء بحمل من الهدايا والملابس والحلوى ، ولم يمكث الا دقائق انصرف على اثرها بعد أن كرر على المشرفة بالا تسمح لسلوى باية عطلة .

وشعرت بمقت شديد لهذه الهدايا ولهذه الحلوى ، لان والدها يعتقد انه استطاع ان ينسيها بما يغدق عليها ان لها الحق في ابوته ، وان لها الحق في ان تحظى بالعيش تحت جناحيه ليفرش عليها ظلال ابوته . في هذه المرة اليتيمة التي زارها فيها والدها طالعتها جبهته وعيناه الحازمتان وشفتاه المزمومتان ، فارتجف قلبها هلعا وتمنت لو انه لم يات ، او انه لا يعود .

وفي ذات صباح هبطت سلوى من غرفتها الى الردهة الداخلية ملبية جرس الافطار فوجدت زميلاتها يحزمن حقائبهن استعدادا للرحيل ، وقيل لها ان عيد الميلاد على الابواب ، وان الفتيات في طريقهن الى منازلهن ليتمتعن بعطلة العيد بين ذويهن في انتظار بابا نويل ليحضر لهن هداياه الثمينة التي لم يتخلف عن احضارها عاما واحدا .. ويا لها من هدايا جميلة ... وكيف كان بابا نويل بلحيته الطويلة التي تتدلى حتى وسطه وثوبه الفضفاض وقلنسوته الحمراوين وقد تناثرت عليها ندوف الثلج ، كيف كان يضع الهدايا التي يهبط بها من السماء تحت الوسادة أثناء نومهن او يتركها لهن في احد الادراج القريبة ليجدنها عندما يستيقظن في الصباح

شعرت سلوى برغبة ملحة في ان تحذو حذو زميلاتها فاسرعت الى المشرفة ورجتها — والدموع تترقرق في عينيها — ان تسمح لها بالذهاب الى بيت ابيها وقضاء عطلة العيد .

ولكن المربية بلباقتها اخبرتها ان والدها مشغول ولن يسمح له وقته بقضاء العيد معها ، وليس معقولا أن يتركها في البيت تقضي فترة العيد وحيدة . ولكن سلوى الحفت في الرجاء وقد نسيت في تلك اللحظة كل ما كانت تعرفه عن قسوة ابيها ولا مبالاته بها . ومضت تقول لن يضيرني البقاء وحدي في البيت ، فان الخادم ستعنى بامري كثيرا ايام العيد ، ثم غمغمت بصوت كئيب .

ثم ، ثم أن بابا نويل سيحضر الى البيت .. ولن يحضر الى المدرسة — هكذا قالت زميلاتها — ولكنه يزور الاطفال في بيوتهن فقط . اثر هذا الموقف الحزين والدموع التي كانت تملأ عيني سلوى البريئتين ففكرت المربية ان تتصل بوالدها ، ذلك الاب الذي كانت تمقته لسوء معاملته ابنته ، ورات ان تنقل اليه رغبة هذه الطفلة الحزينة .

وقبل الوالد زيارة ابنته له لتقضي ايام عيد الميلاد في البيت لكثرة ما الحت عليه واحرجته المشرفة على تعليمها . وفي ذات مساء عادت الفتاة وحدها تحمل بيدها حقيبة ثيابها الصغيرة وقلبها يخفق . فهي لا تدري كيف سيلقاها — . اتراه يرحب بها ؟ أم انه سيقابلها كعادته بجفاء وقسوة . بسنتان طويلتان ممطوطتان تعود بعدهما فتطأ عتبة البيت الجميل الذي احبته وقضت سني طفولتها بين جنباته . طرقت الباب . وانتظرت طويلا قبل ان تعيد الكرة .. واخيرا انشق الباب عن وجه زوجة ابيها المريد التي تبادرها بالسؤال عما تريد .. ولم تدر سلوى بماذا تجيب .. ماذا تريد .. يا له من سؤال . نعم ماذا تريد ؟ لم اقبلت الى هذا البيت؟ اليس لتقضي عطلة عيد الميلاد مع والدها ، ولتنتظر بابا نويل القادم من السماء ليجلب لها الهدايا واللعب.. ثم انها كانت مصممة على عمل شيء ان حالفها الحظ وقدم بابا نويل وهي لا تزال مستيقظة ، وستحاول جهد طاقتها ان تبقى مستيقظة لتراه وتنفذ خطتها .. ولكن لم تسالها زوجة ابيها عما تريد وكانها لم ترها من قبل ، لقد وافق ابوها على ان تقضي فترة العيد في البيت فما بال هذه المراة تتجاهلها بهذا الشكل . وتنبهت سلوى من شرودها عندما كررت المراة الواقفة في الباب سؤالها عما تريد . عز على سلوى ان تسال هذا السؤال في بيتها ، والمها كثيرا هذا التجاهل المتعمد .. من تكون هذه المراة حتى تعاملها هكذا . وانفجرت مراجل غضب الصغيرة وصاحت . ماذا اريد ؟ ... اريد ابي نعم اريد ابي ان هذا البيت لنا .. افسحي الطريق حتى ادخل حالا ثم انخرطت في بكاء مرير .

قالت المراة وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة صفراء : اذا فانت سلوى ابنة زوجي ... ادخلي ولكن حذار من ان تحدثي اي صوت ، فان الضجة تضايقني . ثم قالت وهي تحاول ان تكسب لهجتها طابع المجاملة : لشد ما كبرت يا سلوى

حتى انني كدت لا اعرفــك بادىء الامر .

لزمت سلوى غرفتها في انتظار والدها ، وتسللت الشمس شاحبة تنحدر الى الافق ، واخذت جيوش الظلام تطارد فلول النور ، واربد الجو واعولت الريح وهطل المطر ، فشعرت سلوى بانقباض مرير واوت الــى فراشها . وانقضت ساعات وهــي تنتظر فجافاها النوم ولم يعد والدها ... والدها ؟ ان في عينيــه قسوة تفزعها وفي مثل هذا الوقت مــن الليل خاصة .. لا .. انها تنتظر بابا نويل ليجلب لها الهدايا مــن السماء . انها تريد ان تبعث معــه تحية الى امها ، تريد ان تشكو لهــا حالها وما تقاسيه من عذاب في جفاء والدها . ولكن ؟ ولكن يقولون ان بابا نويل لا يزور غير الاطفال النائمين، وها هي ما زالت يقظى .. وقد يهملها ويتخطى البيت الى الجيران فيحمل لاطفالهم نصيبها من اللعب والحلويات ... ولكن كـلا .

ودقت ساعة الدير القريب دقاتها الرهيبة الاثنتي عشرة ، فأغمضــت سلوى عينيها متظاهرة بالنوم وقلبها يخفق بشدة في انتظار هدايا بابــا نويل ، وفي مفاجآتها له حينمــا يكتشف انها هزئت به عندما تظاهرت بالنوم ، اتكون الاولى بين جميــع الاطفال التي استطاعت ان تشاهــد بابا نويل بلحيته الطويلة وطربوشه الاحمر وكيسه الضخم من فوق ظهره ممتلئا بالهدايا واللعب .

وبعد لحظات حسبتها سلوى زمنا طويلا شعرت بالباب يفتح وبوقــع قدمين تخطوان بهدوء وسكينة خشية ايقاظ النائمة . ايقنت سلوى ان بابا نويل نفسه قد حضر ، فارتجفــت اوصالها واحست برهبة عندما امتدت يد تحت وسادتها في حذر لتتــرك شيئا كبيرا ، انها بلا شك هدية بابا نويل ... يا له من شيخ كريم .. وسخي جدا ، يكلف نفسه هــذه المشقة في مثل هذا الجــو العاصف ليحمل هداياه الى أطفاله ... انهـا تحبه . تحبه كثيرا ، وتتمنى لـو تستطيع تقبيل يده النحيلة اعترافـا بجميله .

واحست سلوى احساسا عميقـا ان بابا نويل يرمقها بنظرات حانية ، ربما يبتسم مشفقا ايضا . ولكم كانت دهشتها عظيمة عندما فاجأها بقبلة ابوية رقيقة يطبعها على جبينها انها لا تشك ان بابا نويل يحبها ، والا لما خصها دون الاطفال بهذه النظرات الرحيمة وهذه القبلة الحانيــة .

وتذكرت سلوى انها كانت قد صممت على ان تسأله شيئا ، وايقنت انه لن يخيب لها رجاء بعدما ابداه من عطف وحب استجمعت شجاعتها واخذت تفتح عينيها شيئا فشيئــا حتى استحالت نظراتها الى حملقة لشدة الظلام ، وتبينت منه بعد جهد شبحا اسود يقف في الظــلام الدامس ، ودققت النظر علها ترى لحيته الطويلة وقلنوسته الحمراء ، ولكــن بصرها ارتد خائبا دون اختــراق حجب الظلام . وعندما لاحظ بابا نويــل ان الطفلة قد استيقظت دنا منهــا مطوقا اباها بذراعيه مما زادها جرأة على الافصاح عن مطلبها . نهضت الصغيرة وطوقت عنقه بذراعيهــا البضتين وناشدته في صوت مرتجف

.. يا سيدي بابا نويل .. انــي اشكرك كثيرا على الهدايا التي جلبتها لي وعلى المشقة التي تكبدتها مــن اجلنا في هذا الزمهرير . ولكن لــي رجاء يا سيدي ارجو الا اثقل بــه عليك .. انني فتاة مطيعة جدا ولــن اسبب لك اية مضايقة ان تكــرمت واخذتني معك الى السمــاء . فــان امي هناك منذ عامين وبــي شــوق عظيم لرؤيتها ... ثم .. اني يــا سيدي الكريم لا استطيع العيش مع ابي، انه قاس جدا يفزعني بنظراته ، انه . لا يحبني ، بل يمقتني ، ولا ادري لذلك سببا مع انني في اعماقي احبه واحترمه بالرغم من كل هذا .. كما ان زوجته الجديدة قاسية ايضا فقد عاملتني في ليلة عيد الميلاد هذه بخشونة وجفاء واجبرتني على البقــاء في غرفتي كالسجينة . وشرقــت بالدمع وهي تستطرد . ارجوك يــا سيدي بابا نويل ، ساكون فتاة طيبة جدا ومطيعة وساعمل بما تشير بــه علي .. ولن اضايقك ابدا ان اخذتني الى امي ، فاني اخشى ان عاد فــي الصباح ان يعاملنــي بخشونتــه المعهودة فيفسد علي بهجة العيــد وفرحة الاستمتاع بهداياك الجميلة ، ثم اني سأعود الى المدرسة كسيرة القلب حزينة ولا اجد ما احدث بــه زميلاتي عن مباهج العيد كما يفعلن .

انخرطت سلوى في عاصفة من البكاء عندما ضمها بابا نويل الى صــدره واخذ يقبلها في اماكن عدة من وجهها وراسها واحست بدموعــه تنساب ساخنة صامتة ، يا الهي ما ارق هــذا البابا نويل .. انه يبكي من اجلها ، ان الله يبعثه للمعذبين والتعساء مــن الاطفال يواسيهم ويخفف الامهم ، لا ريب انه سيأخذها معه الان بعد ان علم مقدار تعاستها وشقائها . وزادت من ضغط ذراعيها الصغيرتين مــن حول عنقه خشية ان يتراجع ويذهب دون ان يأخذها الى امها

في خارج الغرفة كانت العاصفة عاتية صاخبة ، ولمع البرق قويــا ، فاضاء ارجاء الغرفة الظلماء للحظات استطاعت خلالها ان تتبين بابا نويــل الذي يحتضنها وتطوقه بذراعيها . صاحت ... ابي . ابي . وانفجرت في بكاء ، بكاء من نوع اخر ، انه بكاء الفرح .. اذن فان اباها يحبها ... يا للسعادة

قال الاب .. نعم يا سلواي . انا ابوك سامحيني يا ابنتي .. رحمــاك يا الله انني لم ادرك الا اليوم ان لــي ابنة تحتاجني ، ابنة اعاملها بهــذه القسوة .. سامحيني يا سلــوى .. سنبقى من اليوم معــا ، لا تخشى شيئا فلن تعودي الــى المدرسة الداخلية بل ستبقين في البيت قرة لعين ابيك .. وغمغم لنفسه بصوت خافت حانق : يا لتلك المراة !

كانت توحي الي دائما الابتعاد عن هذا المدك ، ستبقين يا سلوى معي ولــو اضطررت الى الابتعاد عــن تـلــك المراة .

والقت سلوى براسها على صدر ابيها العريض تغترف ما شاءت من العطف والحنان من ذلــك الينبوع الغزير الذي تفجر فجأة من صخرة صماء ، وغمغمت « يا له من عيــد جميل » .

ولمع البرق ثانية ، وازاح ظلمات الغرفة عن منظر الاب والابنة متعانقين في صمت وسكون .

نديم ناصر

بير زيت ــ الاردن

عيسى اسكندر المعلوف

بقلم يوسف يعقوب مسكوني

✳

تفتال المنية بين الفينة والفينة رجالا اوقفوا حياتهم في خدمة العلم والادب والمعرفة والتحقيق فتكون تلك الحياة نادرة المثال عزيزة الحصول على اشباهها . فتخلو مكانتها ويعز على الغيارى فقدانها فتمر حقبة من الزمن خلوا من امثالها . والعلم والادب لا يرتقيان الا على يد امثال هؤلاء النوابغ يداَبون كل حياتهم في البحث والدرس والتحقيق والتنقيب على الصحيح من العلم والسالم من الخطأ يصبحون بعد عمرهم المديد حجة بل منهلا لاستدراك الصواب وقويم المحجة من البحوث العلمية والادبية واللغوية . فلا يكاد يدركهم الموت الا وتنعاهم المجامع العلمية والمعاهد الثقافية والمؤسسات الفنية وغيرها في انحاء المعمورة . يموتون في بقعة قد تكون صغيرة من بقاع الدنيا فتهتز لموتهم البقاع وتشيد بذكرهم مختلف الممالك والامصار . كل ذلك يجري تقديرا لنبوغ النابغة واعترافا بالفضل لذوي الجهود الجبارة والعاملين على رفع منار العلم في جميع الانحاء العالمية .

وما من رجل اعظم ممن يخدم العلم والادب طيلة حياته لا ينفك يعمل بين الكتب والمكتبات والمجامع والجامعات وفي اليوم الثاني من شهر تموز ١٩٥٦ رزيء العالم العربي بوفاة العلامة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف عضو المجمع اللغوي في القاهرة وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق . فكان لنعيه اعظم الصدى في جميع الاوساط العلمية والادبية في الشرق العربي والاسلامي .

وقد ولد الفقيد في اليوم الحادي عشر من شهر نيسان عام ١٨٦٩ في قرية كفرعقاب من متن لبنان من ابوين ينتميان الى اسرة حورانية غسانية . وقد درس في صغره مبادىء العلوم في مدرسة القرية على الطريقة القديمة . ثم انتقل الى مدرسة المرسلين الانكليز فاتقن العربية وبعض الانكليزية والرياضيات ثم التحق بمدرسة الشوير العالية في متن لبنان امدا قصيرا وما لبث ان انصرف بعد ذلك الى المطالعة الشخصية وحضور مجالس علماء عصره ومنهم الشيخ ابراهيم اليازجي . فلما اجتمع له من العلم بالعربية قدر واف اخذ يدرسها في بعض المدارس الخاصة ويؤلف لطلابه فيها كتبا تعينهم على التبحر فيها والتمكن منها .

فلما انشئت جريدة لبنان سنة ١٨٩١ اصبح يحرر فيها دون ان ينقطع عن التدريس . وظل يمد كثيرا من الصحف والمجلات في هذه الفترة في الوطن والمهجر بمقالاته وابحاثه ودراساته كما كان يلقي محاضرات نافعة على الجمهور بين حين واخر . وقد اصدر سنة ١٩١١ مجلة الآثار مدة ثلاث سنوات توقفت بعدها اثر نشوب الحرب العالمية . ثم عادت الى الصدور بعد انتهاء الحرب . وقد ذكر العلامة الاستاذ يوسف اليان سركيس صاحب كتاب معجم المطبوعات العربية ، انها كانت تصدر سنة ١٩٢٨ في مدينة زحلة ولا نعلم بالضبط متى توقفت هذه المجلة . وفي خزانتي مجلد واحد لسنتها الثانية ١٩١٢ وهي طافحة بمقالاته النفيسة القيمة مما لا يتسع ذكره في هذا المجال القصير .

وقد ساهم الفقيد في ديوان المعارف في عهد الحكم الفيصلي في الشام مساهمة محمودة مشكورة واشترك في تقويم لغة الكتب المؤلفة او المترجمة آنئذ فلما اصبح هذا الديوان المجمع العلمي العربي سنة ١٩١٩ سمي الفقيد عضوا عاملا فيه فشارك في وضع اسسه واقامة دعائمه وفي الكتابة في مجلته والمحاضرة في ردهته . ثم حين تحول الفقيد عن دمشق الى مدينة زحلة وعاد الى الاقامة فيها اصبح عضوا مراسلا للمجمع ثم انتخب عضوا في المجمع العلمي اللبناني عند تأسيسه في ٢٠ شباط سنة ١٩٢٨ كما عين عضوا عاملا في مجمع اللغة العربية في القاهرة منذ انشائه في ٦ تشرين الاول سنة ١٩٣٣ .

وقد كان الفقيد واسع الاطلاع طويل الباع ولا سيما في علم التاريخ بصيرا بالكتب مخطوطها ومطبوعها حريصا على اقتناء الفريد والقيم النفيس منها فكانت خزانته من اغنى خزائن الشرق بالمخطوطات وقد انتقل منها الى خزانة الجامعة الاميركية نحو خمسمائة مخطوط لما ازمع المرحوم الى السفر الى البرازيل حيث يقيم اولاده النابهون والنابغون .

وكان مترجمنا الفقيد الى ذلك صبورا على البحث مكبا على الدرس دؤوبا على التاليف لم يقعده عن ذلك الا اشتداد وطأة المرض عليه في السنوات الاخيرة ولا شك في انها امراض الشيخوخة اذ يكون قد عمر سبعا وثمانين سنة كما ذكرنا تاريخ ولادته ووفاته . وقد الف الكثير من التصانيف المفيدة ، ولكن لم يطبع منها الا القليل . قال صاحب معجم المطبوعات العربية في معجمه :

ورايت في خزانة هذا الاستاذ الكبير مجلدات ضخمة من تاليفه كلها مخطوطة ومعدة للنشر منها تواريخ الاسر السورية والمصرية وغيرها من تواريخ الديار السورية واثارها . وهو دمث الاخلاق لطيف المعشر مقيما بزحلة التي استوطنها منذ صغره . ثم يذكر المطبوع منها حتى سنة صدور المعجم وهي خمسة كتب .

كتاب « الاخلاق مجموع عادات » وهي رسالة في التربية وتنمية الاخلاق في البيت والمدرسة والعالم طبعت في المطبعة الادبية ببيروت سنة ١٩٠٢ وكتاب « الام والمدرسة » وهي رسالة طبعت بالمطبعة البطريركية ببيروت سنة ١٩١٠. فكتاب « تاريخ مدينة زحلة » ضمنه تاريخ كثير من الوقائع للبنان ولا سيما سورية المجوفة وتحليل اسماء القرى بحسب الاساطير القديمة طبع بمطبعة زحلة العثمانية سنة ١٩١٢ في ٢٩٨ صفحة . ثم كتاب « دواني القطوف في سيرة بني معلوف » وهو مطول في تاريخ حوادث منشأ الاسر الحورانية العربية وتاريخ مئات من الاسر السورية والمصرية ثم تاريخ اسرته المعلوفية طبع بالمطبعة العثمانية بعبدا بين سنة ١٩٠٧ و١٩٠٨ في ٧٤٩ صفحة وكتاب « الكتابة » وهو بحث تاريخي ادبي في الخطوط

طبع جزء منه بالمطبعة العثمانية بعبدا سنة ١٨٩٥ .

وقد ذكرت مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق في عددها الاخير الذي استقينا منه خلاصة هذه الترجمة كتبا اخرى طبعت بعدئذ وهي كتاب « تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني » طبع في جونيه سنة ١٩٣٤ في اكثر من أربعمائة صفحة وكتاب « تاريخ الاسر العربية المشتهرة بالطب واشهر المخطوطات الطبية العربية » وكتاب « تاريخ الطب عند العرب » ثم كتاب « تاريخ قصر آل العظم بدمشق » الى اخر ذلك مما لم تتيسر معرفته .

اما مصنفاته المخطوطة التي لم تطبع « كتاب مطول في تراجم ادباء القرنين التاسع عشر والعشرين » وهو اشبه بذيل لكتاب سلك الدرر للمرادي . وكتاب في «تاريخ الحرب العالمية الاولى » ثم كتاب « شحذ القريحة في المقطعات البليغة الفصيحة » في الشعر والشاعر والفنون الشعرية وكتاب « نفائس المخطوطات الكبيرة » في وصف نوادر الكتب المخطوطة ومزاياها ثم كتاب « خزائن الكتب العربية » .

وقد قالت فيه المجلة المذكورة انه كان كريم الخلق هادىء الطبع واسع الصدر عميق الفكر جم التواضع عالي الهمة جوادا بعلمه طويل الاناة . اما مقالاته في امهات المجلات كالمشرق اليسوعية والهلال والمقتطف والاديب وغيرها فحدث عنها ولا حرج تدل كلها على علم غزير واطلاع عميق وبحث دقيق مما يدل على تتبع متواصل واقتباس من مئات الكتب المخطوطة والمطبوعة مما في خزائنه والخزانات الاخرى الخاصة والعامة مسافرا كان او مقيما كما ان مواضيعها نادرة المثال غير مطروقة تفيد القارىء وتغني الباحث المتطلع الى ما ليس له علم به ولولا ضيق المجال لذكرت بعض عناوين هذه المقالات مما عثرت عليه في مضامين مجلته « الاثار » آنفة الذكر والمجلات الاخرى العديدة في مختلف الاقطار العربية . ففقدانه فقدان ركن من اركان اللغة والادب والتاريخ وخسارة لا تعوض بل قلما يجود الزمن بمثله .

بغداد — **يوسف يعقوب مسكوني**



زلفاء

اليها في السادسة ...

*

.. فتخطري في الكون ، وأنتصبي على جبل الاماني
« زل فاء » ، زوبعة البراءة ، طرزت .. بفم الزمان
« زل فاء » ، صوغي الانس شالا حول كتفك في حنان
ان انفلات السحر من عينيك شلال أناني
طربت وجاءت أمة الالحان من قاص ودان
لتعد خطوك ، يا لخطوك .. نغمة ، بزت كماني

* * *

« زلفاء » يا مرح الطفولة ، نوري الشفق الدخاني
با أنت ، يا « زل فاء » قومي واستريحي في مكاني
فأنا أعيش على كياني

بغداد — **حارث الوفي**

سكران

○

دعيه تخور وتفنى قـواه ويفرغ من جوفه ما احتـواه
وتهوي علـى دربه ركبتـاه وتطبـق جفنيهما مقلتـاه

دعيـه يغط بنوم عميـق فهيهات من سكره ان يفيـق
فيا طالما عرفتـه الطريـق كشلو تريب مهان عتيـق

دعيه انظري قد اتاه الخفير يتمتم . قد عدت لي يا حقير ؟
اما اخترت لي غير ليل مطير لتسكر ؟ نم سلوة الزمهرير

وعاد الخفير لنضو الشقاء ليحملـه قربـة للسمـاء
فيسقط من قدميـه الحذاء ومن جيبه بعض طين ومـاء

عطر

○

الذكريات الماثلات تهزني ومن التذكير غصة واوار
ايام غردت الحيـاة ورقت النجوى وزفت سحرها الاوتار
وجنان لبنان تفايض روعـة يسبي النفوس بها الهوى الغرار
وحديثك العذب الشهي كأنه مما تعب وتحتسي السمـار
لا شيء غير خواطر بسامـة زمن صفى فصفت به الاوطار

★ ★ ★

الذكريات الماثلات تقضني وهواجس الذكرى لهـا اغوار
هذا صداك الحلو ملء مسامعي وسناك مما تلمح الابصـار
وعلى طريقي من خطاك منابت للخصب يعبق عطرها المـوار
ولانت انت معي وطيجوانحي أنى اتجهت وان نأت بك دار
وكذاك ارواح الاحبة تلتقي بعد الفراق وتنطوي الاستار

جامعـة برشلونـة باقر سماكـة

قـصة لروبرت ستيفنسون •

مــاركــايم

ترجمـة سمير تنير •

قـال التاجر : نعم !.. ان تحفتنا متنوعـة . انـت تعلـم ، الزبائن اما جهلاء لا يعرفون شيئـا عن التحف القديمة فاضطر الـى المفاخرة والتملق ، واما مخادعـون ينتظرون مني غفلة . »

وهنا امسك التاجر بالشمعة فوقع نورها قويا على وجه الزائر .

كان ماركايم ، قد دخل المحل وكانما آلمته الظلمة المعتمة فرمشت عيناه بشدة ، وحول ناظره ، ورفـع يده يتقي بها ذلك النور الضئيل .

.. واطلق التاجر ضحكتـه المكتومة .. فاهتز لها كرشه الضخم وظهرت اسنانه الذهبية ، ومال راسه فأرسلت صلعته اللماعة شيئا أشبه بالوميض .

ــ لقد اتيت الي في يوم عيد الميلاد عندما تعلم انني أكون وحيدا ، مغلقا الستائر ، رافضا العمل ... حسنا عليك ان تدفع الثمن .. عليك ان تدفع ثمن ضياع وقتي . انني المح فيك مخايل الذكاء فأرجوك لن احتمل المساومة اليوم ، كما اني اكره السمار المتعجرف الذي لا ينظر الي بعين فيها تقدير .

وضحك التاجر مرة أخرى قبل ان يكمل :

تستطيع الان ، كالعادة ان تعطيني الايضاحات الضرورية عن كيفيـة حصولك على التحفة . ألم يزل فـي مخزن عمك بقية من تحف ؟

وقف التاجر القصير السمين ذو الاكتاف المكتنزة المستـديرة يتكلم ، وهو يرفع عينيه الى ما فوق نظارته ذات الاسلاك الذهبية ، وماركايـم واقف ساكن لا يفوه بكلمة ، ولاتصدر عنه حركة بل يصفع التاجر بنظـرة قاسية التمعت فيها كل معاني الرقة ممزوجة بالخوف .

ــ انت مخطىء يا سيدي، ما جئتك اليوم بائعا ، بل لاشتري هدية العيد .

وتابع ماركايم حديثه غير هيـاب ولا وجل :

ــ انني ادين لك بالاعتذار جـزاء تطفلي وازعاجي لك بهذا الامـــر البسيط .. انني اريد هدية لسيدة جميلة . ثم اقترب من التاجر وهمس « كلام بسرك » زوجة غنية ليسـت بالشيء الذي يستطاع اغفاله .

واتبع الحديث فترة صمت بـــدا التاجر أثناءها انه غير مصدق .

وقطعت الصمت دقات الساعـات الاثرية، واصوات السيارات التي كانت تفر كالجرذان في الشارع القريب .

ــ حسنا .. وليكـن ما تقول .. انك زبون قديم . على اي حـــال ما دامت لديك فرصة للفوز بزوجـة غنية فلن أكون عقبة في اتمام مثـل هذا الزواج . هذه هدية ثمينة .. لحبيبتك .. مرآة يد أثرية .

وفيما التاجر يندفع في حديثـه بصوته الحاد الجاف ، توقف فجأة ، ومد يده لتناول المرآة ، من الواجهة وبينما هو ينحني فينثني جسمـه الضخم وتبرز عضلات رقبته الضخمة احس ماركايم برعشة وبحركة مفاجئة من يديه وقدميه ، وبمجموعة مـن الانفعالات تقفز الى راسه في عجـاج وصخب .

اندفع ذلك السيل من العواطـف المتضاربة الى راس ماركايم واحس به كانه يشتغل في خياله ويتحـول الى نار اندلعت السنتها الحمراء ثـم ما لبثت ان غدت رمادا تطايرت ذراته في الهواء ولم تترك تلك الخواطر من اثر سوى يد مرتجفة امتدت لتأخـذ المـرآة .

ــ مرآة ؟ قالها ماركايم بصـوت مخنوق كانه خارج من اعماق بئر عميقة . مرآة .. هدية للعيد . لا .. لا يمكـن . ــ ولم لا ؟

وارتسم على وجه ماركايم تعبير بلا معنى وهو يتطلع الى التاجر .

ــ تسالني لماذا ؟ خـذ انظر .. تطلع .. هل تسرك رؤية وجهك ؟ لا ولا حتى انا .. ولا اي انسان .

قفز التاجر القصير السمين ذو الاكتاف المكتنزة المستديرة عندما واجهه ماركايم بالمرآة . ثم اطلـق ضحكته المكتومة وقال ماركايم: انني اسالك.. لقد طلبت منك هدية للعيد واعطيتني هذه اللعنة .. هذه المرآة تلعنني في بقية عمري .. الا تعرف ان اللعنـة تلازم من يقتنيها . هذه المرآة .. لعنة الاثم والخطايا اكنت تقصد ذلك؟ اكنت تعلم بالسر ؟ اكنت تبغـي ان تقضي علي لعنة تلك المرآة ؟ تكلم .. تكلم ..

نظر التاجر باصرار الى ماركايـم الذي بدا وجهه شاذا ، ولم يبد عليه انه يمزح ..

قال التاجر ما الـذي تبغيـه ؟

ــ لا لسـت ابغـي صـدقـة . اهكذا كل ما في الأمر .. اهكـذا تبيعون اللعنات ! اهذا هو الانسان.. اتلك هي يده ممدودة للاخذ مقبوضة عن العطاء .. يا الهي اهذا هـو الانسان ؟ !

ــ انا اقول لك .. ذلك صحيح . ولكني ارى ان نوبة العواطف التـي انتابتك الان غير طبيعية ..

ــ آه هل عرفت الحب؟ حدثني عنه.

قهقه التاجـر قبل ان يجيـب ماركايم .

ــ أنا ؟ عرفت .. الحب ؟ لـم يكن لدي وقت للسخافات والان اتاخذ المرآة ؟

ــ لم العجلة ؟ انني واجد لذة في الكلام . الحياة قصيرة .. انني لـن اهرب ابدا من اية لذة حتى ولا مـن لذة لطيفة وديعة كهذه . خير لنا ان نتعلق بأي شيء . كرجل على قمة

الجبل ، وعلى حافة الهاوية . جبل عظيم ثلاثة الاف متر ، كفيل ــ اذا ما زلت القدم ــ ان يجردنا من كل صفات الانسانية . دعنا بالله نتكلم . لماذا لا نخلع ذلك القناع الذي نغطي به انسانيتنا ؟ لماذا لا نثق في انفسنا ؟ من يعلم قد نصبح اصدقاء ..

ــ عندي كلمة واحدة .. اما ان تشتري المرآة ، او تذهب من محلي غير مطرود .

ــ حقا .. حقا .. ارني شيئا

ووقف التاجر مرة اخرى ليرجع المرآة الى مكانها في الواجهة وانحنى فبرقت صلعته اللماعة مرسلة شيئا اشبه بالوميض واقترب ماركايم قليلا واضعا احدى يديه في جيب معطفه ، آخذا نفسا عميقا ملأ رئتيه بينما اندفع الى مخيلته ذلك السيل من الانفعالات المختلطة ، واحس بها كأنها تشتعل وتتحول الى نار اندلعت السنتها الحمراء كأنها الافاعي ... لتغزو نفسه كلها .. ولتملأها حقدا .. وخوفا .. وسحرا ... وثورة جسدية عارمة !

وارتجفت شفتاه باعياء .. فظهرت اسنانه !

ــ هذه تحفة اخرى .

قال التاجر وهو ينهض .. وانقض ماركايم من الخلف على فريسته .. ثم لمعت السكين ذات الحدين وهوت ! ناضل التاجر نضالا شديدا كدجاجة مذبوحة .. ضاربا صدغه في رف الفترينة ثم سقط بعد لحظة .. كومة شوهاء .. من لحم ودم !

امسك ماركايم انفاسه المتلاحقة . ولم يكن يعكر الصمت المطبق والهدوء الشامل سوى دقات الساعات الاثرية التي كانت اشبه « بكورس » اختلطت اصواته .

وارهف اذنيه .. فسمع اصوات اقدام سيدة على الرصيف ثم ما لبثت الاصوات ان خفتت شيئا فشيئا

امتلأت الغرفة بضوضاء مثيرة ، تركت لغطا كهدير الموج ، واخذت قطع الظلام تبدو لعينيه ، وهي تتمدد وتتقلص .. كحركة التنفس ، ووجوه التماثيل والالهة الصينية تغير من اشكالها كصور متراقصة في الماء . وكان الباب الداخلي مواربا ، ولاحت له مجموعة الظلال والاشباح المتعانقة ، وسكين طويل من نور الشمس يخترق الظلام كاصبع ممدود ! وهبط بنظره .. وسقطت عيناه على الضحية ممدودة ، متكومة ، متمرغة بالدم .. وصغيرة الى درجة لا تصدق .

نظر ماركايم الى الجثة المتكومة ، ككيس من نشارة الخشب وارتاع لمرآها . فالجثة الصامتة بدأت تنطق بابلغ الاصوات .

ــ هناك يجب ان توضع .. حتى يعثر عليها ..

« يعثر عليها » ! وبعد ذلك ستطلق هذه الكومة من اللحم والدم صيحة تدوي اصداؤها في انكلترا والعالم كله ..

ولكن امات التاجر حقا ؟ . لا .. لا يهمني هذا في شيء فالعدو عدو ولو كان ميتا ..

كانت اول كلمة انطلقت من ذهنه « الوقت » .

« الوقت » بعد ان انتهت العملية بنجاح ، الوقت هو المشكلة الرئيسية الان . ان الوقت الذي انتهى الان بالنسبة للقتيل اضحى ضئيلا كلحظة بالنسبة للقاتل !

كانت الفكرة لا تزال في راسه عندما طرقت اذنيه مجموعة من الاصوات .. واحد منها عميق كجرس الكنيسة والاخر رقيق حاد .. وهي تعلن الساعة الثالثة بعد الظهر .

وافزعته هذه الاصوات المفاجئة التي انطلقت في الغرفة الصامتة وبدأ يسير مترنحا حاملا الشمعة محاصرا بالظلال الدائرة .

ورأى ماركايم صورته في مرايا المحل الكثيرة المتقابلة ، تتردد وتزداد كجيش من الجواسيس وكان صوت خطواته الخائفة يصفع الصمت الهادىء . وبينما كانت يداه تجمع التحف اخذ عقله يتهمه بالحاح .

اكانت الخطة محكمة ؟ لا .. كان عليه ان ينتقي ساعة يكون فيها الشارع اقل هدوءا . كان عليه ان يدبر شهودا ليثبت انه كان في مكان آخر وقت وقوع الجريمة . كان عليه الا يستعمل سكينا . كا نعليه ان يكون اكثر حذرا .. فيضرب التاجر ويكتفه لا ان يقتله ! كان عليه ان يفطن لهذه الامور جميعا .

وبدأ شعوره المتحول وعقله يلحان عليه بتغيير ما كان السبيل الى تغييره مستحيلا بان يكون مهندسا للماضي الذي لا يعوض ! كانت روحه تغور في الاعماق السحيقة . ونفسه تملأها ظلمة قاسية . وتلاحقت انفاسه .. انه يختنق بالظلمة التي اطبقت عليه كأخطبوط عات ، وراحت تستنزف انفاسه .. وفتح عينيه بينما اخذ جبينه يتفصد عرقا باردا وراحت الاشباح تقفز الى رأسه كالجرذان وتملأه بالهياج .

ان يد البوليس ستسقط بقسوة على كتفه ، وستنهار اعصابه كسمكة علقت في الشبكة .. ثم يعدو .. ويعدو .. فلا يستطيع الخلاص ، كذبابة تضرب زجاج النافذة واشباح قفص الاتهام .. والمشنقة والثوب الاسود تطارده وتنتصب امامه في كل خطوة !

ترى ابلغت مسامع المارة اصوات الصراع ؟ لا بد ان اصواتا ضئيلة قد بلغت مسامعهم واثارت فيهم الفضول . كانت تلك الفكرة تجول في راسه كجيش محاصر .

ان سكان الدور المجاورة يجلسون الان بلا حراك وآذانهم مرهفة .. اهكذا يقضون العيد في وحدة يسترجعون الذكريات ؟

وقفزت الى راسه ذكريات العيد : امه تنظر اليه بحنان وهي تشعل الشموع . ان قلوبهم جميعا ترفع الى الله صلاة خاشعة ! ثم يجذبون الحبل الذي يشد رقبته الى المشنقة .

وخيل اليه مرة انه لا يستطيع التحرك بخفة لئلا تفضحه الاصوات ، فاسرع الى الساعات الاثرية يوقفها جميعا . ان صليل القدح البوهيمي الطويل ، يناديه كجرس المدرسة خلال الصمت المطبق .

وخيل اليه ــ مرة اخرى ــ ان الصمت الهادىء قد اصبح مصدرا للقلق اذ انه يثير فضول المارة . ولكن ماذا يهمه فليبدأ العمل الان بخطوات اكثر شجاعة ، وليثر في الغرفة ضوضاء هادئة وليعبث وليعبث بمحتويات الغرفة ، وليمثل دور صاحب المحل في استخفاف متقن ، تجنبا للفضول وبعداعن الاثارة

كان تشتت فكره وتخبطه بين الافكار المتضاربة ما جعل خلايا مخه تسقط قلعة بعد قلعة ، فقد كان قسم من هذه الخلايا يعمل متيقظا نشيطا ، بينما انهارت الاقسام الاخرى واسلمته الى نوع من « الهستريا » . وبدأ « يخلط » ويحدس ، ويخمن فقد اطل احد الجيران من النافذة والتفت

احد المارة نحو المحل .

« ايمكن للشك ان يتسرب الى نفسيهما ؟ انهما لن يعلما الحقيقة من خلال النوافذ المغلقة المغطاة بالستائر ، لا يمكن الا للصوت ان ينفذ ... »

ولكن في هذا الحانوت هل كان حقا وحيداً . لقد شاهد الخادمة وهي تغادر المحل .. نعم انه الوحيد .. لا ريب انه الوحيد .

ولكنه يسمع وقع اقدام خافتة على السقف الخشبي انه يحس شعورا غامضا بوجود انسان ما .. وفجاة انتصب امامه ظل طويل .. بلا رأس .. وقفزت عيناه من محجريهما .. واحس بالاغماء يزحف نحوه .. لكنه سرعان ما استعاد صفاء راسه عندما ادرك ان الظل .. ظله هو !

واخذ يفحص المنزل ، كان السقف عاليا وفتحة النور قذرة وصغيرة .

كان الغبار يتطاير في الخارج في عاصفة . ولم يستطع النور ان ينفذ الا واهنا ، ضعيفا ، ناعسا ، راسما على الجدران اشباحا متراقصة .

ووقف في تلك اللحظة امام المحل عجوز ، اخذ يقرع الباب بعصاه ويتبعها بكلمات تهكمية :

ــ افتح ايها العجوز القذر .

كان ماركايم في هذه البرهة قد تحول الى تمثال من ثلج .

والقى نظرة الى الجثة الغارقة في سكون !

« لا .. انه لن يجيب فقد غاب تحت بحار الصمت وصوته الذي كان يشبه ولولة العاصفة في سرعته ، قد تلاشى واضمحل ، فلن يستجيب لهذه الطرقات .

تعب الزائر من القرع ، ولما لم يجبه احد اسرع بالانصراف .

هذا نذير !

نذير له بان يسرع وينهي ما بقي من عمل . ليتخلص من حركات الجيران التي تقلقه وليسرع بالهرب ، ليضيع اثره في زحام المدينة ثم ليصل اخر النهار الى سريره المريح في الضاحية ، ببراءة الحمل ، وطهارة العذراء .

ان زائرا واحدا قد جاء . لا بد ان يتبعه اخر ، وقد يكون اكثر جدة واعنف مزاجا .

. ان النضال بلا ثمرة .. امر جد مكروه لديه . انه يكره الجهد الضائع والان وقد انتهى كل شيء . فما عليه الا ان يحصد ثمرة جريمته .. النقود .

كانت الظلال لا تزال تتراقص وترتعش .. وتعثرت رجلاه بشيء .. انها الضحية .. كانت الصفة الانسانية قد انفصلت عنها تماما .. كبدلة قديمة رشت عليها النخالة .

امسك ماركايم بالجثة من الكتفين والقاها على الظهر .

كان الضوء يرسم على وجه الضحية ، خطا اصفر ناعسا ، مثيرا .

كانت الجثة رخصة ، ناعمة ، وبدت اطرافها كانها مكسورة وفي وضع شاذ . اما الوجه فقد اختفى منه كل تعبير ، اصفر كالشمع ، ملوث بالدم ، حتى الصدغ . وارجعت تلك الصورة المهزوزة الى ذاكرته يوما لا ينساه ..

كان ذلك في احدى القرى الساحلية كان اليوم جميلا ، عندما طرقت سمعه ، اصوات طبول ، واصداء زمامير ، وصوت مغني « البلاد » .

واسرع .. ورأى جمعا غفيرا .. وصبيا يقترب من الجمع منقسما بين الرغبة والخوف . ولما بلغ الجمع رأى شاشة كبيرة ملطخة بالالوان عليها صور « برونينغ (١) » بابتسامتها القبيحة ، و « مانينغ » وعليهم البسمة واقنعة سوداء ، و « ثيورتل » وبيده سكين طويلة لامعة وامامه جثة متكومة ملوثة بالدم .

كان الشيء واضحا كالوهم .

كان ماركايم مرة ثانية ذلك الصبي الصغير .. وامامه .. الجثة كانت اصوات الطبل تتردد بعنف حتى تصم آذانه .

وبنفس شعور الرافة ، ضعفت مفاصله ، حتى كاد يهوي ، وكان لا بد ان يقاوم هذا الشعور حالا ويغلبه

ادرك ماركايم انه من الخير ان يفكر بهذه الامور لا ان يهرب منها . وتطلع الى الوجه الميت ، وادار رأسه محللا عظمة جريمته . ان ذلك الوجه كانت تختلج فيه كل العواطف والانفعالات ان الفم الشاحب كان ينطلق مجلجلا كالعاصفة .. كان الجسم يفيض حيوية كالفار . والان خمدت تلك الجذوة من الحياة .. كساعة الحائط .. عندما تتوقف نبضاتها عن الحركة .

كان وعيه المتيقظ يعمل .. اما قلبه الذي اختلج امام جسد الضحية فقد بدا الان اكثر احتمالا . ولكن وميضا من حنان ورافة كان لا يزال يتململ بين حناياه نحو هذا الجسد الذي طوي في ظلمات العدم .

جذب ماركايم سلسلة مفاتيح التاجر من جيب صدارته ، وتقدم نحو الباب .

كان المطر يهطل وانشودته الرتيبة على السقف قد طردت الصمت واختلطت اصوات الرذاذ الهاطل مع دقات الساعات الاثرية وخيل لماركايم انه يسمع خطوات تصعد الدرج وخيال يتراقص امام الباب الخارجي .

... وفتح الباب .

كان ضوء النهار المخنوق يلمع على الارض السوداء والبرق بوميضه الباهر يضيء صور التحف والالهة الصينية المصنوعة من البرونز .

كانت اصداء المطر تتردد قوية في كل الحانوت ، حتى خيل لماركايم انه يسمع من خلالها اصوات خطوات .. صليل نقود .. صفق ابواب

وبدا شعوره بانه ليس وحيدا ينمو ويكبر حتى كاد يودي به الى شفير الجنون .. واصاخ .. وخيل له انه يسمع وقع اقدام في الطابق الثاني وخطوات تنزل الدرج !

هل هو الميت قد بعث حيا وقام على رجليه .. ليته كان اطرش . اذن لاستطاع ان يسيطر على اعصابه وعواطفه .

واطمأن لذلك الشعور الذي يقف حارسا لحياته . ان رأسه يلف .. ويدور .. وعيناه لاتكادان تستقران .

ثم صعد الدرجات الاربع والعشرين

كانت الابواب في الطابق الثاني مفتوحة ، وهي تصفق في عنف ، والريح وازيز المطر يحدث هديرا كموج البحر .

وصفع المطر وجهه فارتعش .. وارتجفت رجلاه ، وضعفت مفاصله . لقد تمنى في تلك اللحظة ان يكون في غرفته وفي سريره مدفونا بين الاغطية .. لا يراه احد الا الله .

---

(١) اليزابت براونغ مجرمة القرن الثامن عشر المشهورة و « مانينغ » و « ثيورتل » مجرمون مشهورون في القرن التاسع عشر . الصور كانت اعلانات للدعوة لمشاهدة تماثيل شمعية تمثل الجرائم ، وكانت مشاهدة هذه الاشياء من مباهج ومسرات الريف في انكلترا .

وطفق يتذكر القتلة والمجرمين وما سوف يعانونه من منتقمي العدالة الالهية . انه يخشى المجتمع .. بل يخشى ظلمه .

لقد ثار .. وهدم .. وحطم .. فهل تغير الامر ؟

لم يتغير شيء سوى ان المجتمع الظالم قد شدد من قبضته ولن يتركه حتى يسلمه — وغيره من القتلة والمجرمين — الى القبر . ان ارادته الان تمتحن امتحانا عسيرا فليلق في وجهها القفاز وليروضها على طاعته .

انها الهزيمة !

ان يد البوليس ستسقط على كتفه بقوة وستنهار اعصابه كسمكة علقت في الشبكة . ان جدران المحل السميكة ستتحول الى زجاج شفاف كجدران بيت النحل .. وستفضح اعماله . وربما انهارت ارض الغرفة تحت قدميه . ودفنته الانقاض مع ضحيته . او ربما شبت النار فجأة في المنزل . سيحاصره رجال الاطفاء بمضخات المياه .

المصير واحد .. الموت !

كل هذا محتمل جدا . انها ضربات الله يسحق بها الخطيئة ..

ولكنه مطمئن الى الله .. انه يعلم اعذاره .. يعلم ما تخفي الصدور .

وفتح باب الغرفة. ثم تهالك فوق الكرسي . كانت الغرفة مقلوبة راسا على عقب : أقداح البيرة الطويلة المصفوفة على رف عال ، بدت له من عدة زوايا كالممثلين على خشبة المسرح.عدد كبير من اللوحات بعضها معلق على الحائط ، وبعضها على الارض . سجاد مزركش ، وقماش الافرشة احمر ، وازرق ، واخضر .. والوان عديدة كثيرة .. لكانما سكبت في هذه الغرفة كل الوان السماء والارض .

وبدأ يفتش عن الخزانة . ان العمل شاق ومتعب . كما انه من المحتمل ان لا تكون هناك « خزانة » على الاطلاق . وبطرف عينيه ، رمق الباب كقائد محاصر ، يستوثق من وسائل الدفاع . وطرقت سمعه انشودة المطر ، كترتيلة دينية ، تذوب وتصعد في روحه .. من الاعماق . ان اصوات المنشدين من اطفال ، وشيوخ ، تطفى وتسيل في اعماقه ، كما يسيل المطر يروي الارض العطشى .

له ما اجمل الاصوات الفتية !

كان يستمع في نشوة ولذة .. بينما يمر شريط الذكريات في راسه: اطفال .. الوان زرقاء وحمراء .. شموع .. مفرقعات اسهم نارية تنطلق في السماء كأقواس قزح !

وفيما هو مندفع مع نشوته .. وذكرياته .. ومستسلم لها بعقله وروحه .. قفز فجأة . واحس ببرودة تغمر جسمه كالثلج .. ثم بحرارة تطفى عليه كالنار .. واحس بانفجار الدم في عروقه كالهشيم .. ووقف هكذا مسمرا ، مرتجفا كريشة في مهب الريح .

كانت خطوات تصعد الدرج — بهدوء مثير . ومفتاح يوضع في القفل وبعدها صوت صرير المفتاح ثم يفتح الباب . وسيطر الرعب على ماركايم . أهو الرجل الميت .. قد رد الى الحياة وقام يمشي ؟ ام انه مبعوث العدالة ؟ ام شاهد من شهود المصادفة ؟ ام انهم جميعا قاموا يقودونه الى المشنقة .

ومن خلال الباب ، ظهر وجه يبتسم يتطلع اليه باصرار يهز راسه .. ثم يتقدم ويصفق الباب وراءه . ولم يستطع ماركايم الا ان يشهق شهقة

— هل ناديتني ؟

قال الزائر وهو يتقدم . وتطلع ماركايم اليه بكل عينيه . واحس ان غمامة تغيم عليه وتحجب عنه صورة الزائر المهزوزة ، التي بدت متراقصة كاشباح الالهة الصينية التي كانت ترتعش في ضوء الشمعة الشاحب .

— انت تبحث عن النقود .. على ما اظن .

قالها الزائر في لهجة مهذبة رقيقة ولكن ماركايم لم يجب .

وتابع الزائر : « ينبغي ان احذرك ان الخادمة ستعود بين لحظة واخرى. »

وصرخ القاتل : « هل تعرفني ! »

وابتسم الزائر : لقد كنت صديقي ولطالما تقت لاقدم لك يد المعونة .

— من انت .. الشيطان ؟

— لا يهم من انا .. المهم ما جئت اقدمه لك من عون .

— انت .. تقدم لي .. معونة . لا .. انت لم تعرفني بعد !

— انا اعرفك .. أعرفك بالروح .

قالها الزائر بشيء ن الحدة والثقة.

واجاب ماركايم : — تعرفني .. انت .. يا لله عبيد الحياة يعرفون بعضهم لاول مرة . لقد عشت اخادع انسانيتي . كل البشر يخادعون انسانيتهم .. كلهم جميعا يلبسون الاقنعة التي تغطي منهم الوجوه . الحياة بقسوتها تسقط بعض الاقنعة. اما انا فقد سقط قناعي والحياة تدوسني باقدامها القاسية . ان الله يعلم عذري .. يعلم ما تخفي الصدور .. هل تستمع لي .

— انا ؟ .. اجاب الزائر .

— نعم انت .. هل تستمع ؟..

هل افتح لك قلبي ؟ انك تحكم علي باعمالي .. بجرائمي .. لقد عشت فيارض العمالقة .. العمالقةداستني باقدامها منذ ان خرجت الى النور .

انك تحكم علي بأعمالي .. ولكن الا تستطيع ان تنظر الى ما ورائها ؟ الا تستطيع اختراق ذلك الجدار الشفاف والنفاذ الى النفس الصافية؟ الا تعلم اني اكره الشر ؟ الا تعلم ان ضميري متيقظ دوما يعذبني رغم اني اتجاهله ؟ الا تستطيع ان تتصور القاتل .. المكره ؟

— هذه مجرد انفعالات احسنت بها تعبيرا . ولكنها لا تغير من الامر شيئا . لا يهم القاضي في شيء ان يكون المجرم مكرها ام غير مكره . لا يهمه شيء ان يكون نهر الحياة قد جرفه بتياره . المهم .. ان روحا ازهقت .. ان جسدا تمزق . ان جذوة احترقت فيها الحياة .

ولكن الوقت يتبخر . والخادمة تغذ الخطى نحو المحل هل لي ان انبهك .. انها المشنقة نفسها تعدو نحوك . هل لي ان اقدم لك يد العون انا الذي يعلم الان كل شيء . هل استطيع ان ادلك على النقود ؟ »

قالها الزائر والابتسامة ترف في احدى جوانب فمه .

— وما الثمن ؟! صاح ماركايم .

— اني ابقي لك هدية العيد .

لم يستطعماركايم ان يمنع نفسهمن الابتسام ، وصاح في لهجة المنتصر الجريح : « لا .. لن اقبل منك عونا لو كنت سأموت من العطش وكانت يدك الوحيدة التي تمتد لي بالماء لوجدت الشجاعة الكافية للرفض . انني ارفض لاول مرة التعامل مع الشيطان . »

— ليس لي اعتراض

على التوبة . وان كانت تقود حتما الى الموت . وصرخ ماركايم :

ــ لانك تنكر ما لها من تأثير وفاعلية .

واجاب الزائر :

ــ لا اقول ذلك . بل اقول انظر الى الحياة من زاوية اخرى . الحياة في حد ذاتها عدوان . انك تاكل الخروف والخروف يأكل العشب .. وهكذا .. كلنا ذئاب نعدو في غابة . كل يترصد فريسته ويستعد للانقضاض عليها . انت جبان . جبان حتى في احلامك . عشت عبدا بين العمالقة ، يحصدون دمعك وعرقك ودمك .. كانت الرغبة تقودك في مجاهل الحياة . ولكن الان وعندما يلقى اليك بطوق النجاة تفر الى ندامتك وتوبتك وتموت مبتسما لكي تصنع من الثقة املا زائفا ، وتوبة حمقاء فارغة . جربني لست عملاقا كالاخرين اقبل عوني .. ابتسم ثانية للحياة . اني عائد توا بعد ان حضرت وفاة احد اصدقائي لقد استمعت الى كلماته الاخيرة . وعندما نظرت الى وجهه الذي كان صورة بشعة للوحشية ابتسمت فقد كان يضيء بالامل . الامل خيط لا يرى وهو لا يمكن ان ينقطع . فكر .. جيدا .

ــ اتظنني ذلك الوحش .. اتعتقد اني لا اصلح .. الا لكي اقتل .. واقتل .. واقتل .. حتى اقبض الى السماء . ان قلبي ينفطر حين ترف علي تلك الفكرة . يا لله اتلك مفاهيمك عن الانسانية والجنس البشري . انك تقول ذلك لان يدي ملطختان بالدماء . ام تظن ان هذه الجريمة بما فيها من وحشية كفيلة بان تجفف في كل منابع الخير . »

واجاب الزائر : ــ الاثام كلها جرائم . كما ان الحياة كلها حرب . انني اتصور الناس كبحارة يكافحون الجوع في سفينة الحياة . ينتزعون كسرات الخبز من بين انياب القحط والجدب والمصير واحد .. الموت . انني اتبع الاثام كما اتبع الفضائل . ان الفرق بين الاثنين صغير .. انهما الاثنان .. الاثام والفضائل مناجل في يد الموت .

ــ ان هذه الجريمة هي خطيئتي الاخيرة . انها علمتني دروسا عديدة . هي في حد ذاتها درس لا ينسى . لقد اندفعت في ثورة تمردي الى الهاوية . كنت عبدا للفقر . ان الفضيلة هي التي تقف بين الفقر والجريمة . لقد ماتت في الفضيلة منذ زمن . قتلتها الشهوة العمياء . واريد ان ابعث عملاقها في من جديد اني ساستعيد حريتي في هذا العالم انني ارى في نفسي انسانا غير الذي كان لقد تغيرت تماما .

هاتان اليدان بالعمل تبنيان عالما وهما بلا عمل تهدمان عالما . هذا القلب .. اريد ان اعود به الى السكينة . ان شيئا يعود بي الى الماضي . شيئا حلمت به في قريتي عندما كنت ارقب الغروب . من الدموع التي ذرفتها بين احضان امي . هناك حياتي .. التي حلمت بها سنوات طويلة .

ــ ستستعمل هذا المال على ما اظن في مضاربات السوق لقد خسرت الافا عديدة عن هذا الطريق .

ــ ولكن هذه المرة .. انني متأكد .

ــ هذه المرة ستخسر ايضا .

ــ لن اخسر .. فسأبقي النصف .

ــ ستخسر ايضا !

ــ حسنا .. هب ذلك .. قل خسرت كل شيء وانحدرت الى عبودية الفقر ثانية . هل سيقودني الشر مرة اخرى . الا تعتقد انني باستطاعتي تحمل الالم . الرأفة يختلج بها قلبي دائما . اني ارثي للفقراء اني اقدس الحب . اني احب الرجل الذي يكافح الحياة بابتسامة . هل ستقودني الاثام ، ولم لا اتجه للخير ؟ ان الخير يستطيع ايضا ان يوجهني الطريق . »

ورفع الزائر المجهول اصبعه .

ــ كفى .. كفى .. كفى .. في خلال السنوات الست والثلاثين التي عشتها تقلبت حياتك اثناءها بين الفقر والغنى ، شاهدتك وانت تعدو الى الهاوية . منذ خمس عشرة سنة ارتكبت حادثة اختلاس . منذ ثلاث سنوات ارتكبت جريمة قتل .

لا خلاص .. لا يستطيع احد ان يوقفك سوى الموت .

ــ هل هذا صحيح .. لا خلاص من العذاب . من الشر ؟

ــ نعم لا خلاص من العذاب .. فانت تهرب منه لتعود اليه .. انت تهرب من الارض .. وتظل لاصقا بها وانت هارب منها حتى تموت فيها . هل استطعت مرة واحدة ان تكبح جماح الشر في نفسك ؟ .. اجب .. اجب .

وصاح ماركايم في يأس : « لا .. »

ــ اذن لا بد من الاستسلام فات الوقت الذي كنت تستطيع فيه عقد هدنة مع العالم . انت لا تعرف من هو الصديق ومن هو العدو .. فاضرب يمينا وشمالا ان الناس لا يريدون منك الا ان تكون قاسيا عليهم .. الا ان تكون لهم عدوا .. فكيف تعرض عليهم صداقتك وحبك وهم لها كارهون .

وصمت ماركايم طويلا

وقال الزائر :

ــ هل لي ان ادلك على مكان النقود؟

وفي تلك اللحظة قرع جرس المحل وقفز الزائر المجهول :

ــ الخادمة .. لقد سبق ان حذرتك .. افتح لها الباب وقل ان التاجر مريض .. ثم تخلص منها ماذا تنتظر .. قم .. اسرع

قال ماركايم بهدوء :

ــ اذا لم يكن لي فكاك من الشر فان بابا واحدا للحرية ما زال مفتوحا . سأقاوم الاغراء ، وسأصرع الشر . وسترى انني ساستمد من نفسي القوة والشجاعة .

تغيرت ملامح الزائر ، ولمعت عيناه بوميض الانتصار . وما لبث هذا البريق ان خبا .

وتقدم ماركايم بخطوات خائفة ونزل الدرج بينما صور ماضية التعس تمر امام عينيه كشريط سينمائي . لقد كان ماضيا بشعا .. كحلم مزعج .. كانت الحياة باضوائها واطيافها تتراءى له جذابة .

لكنها لم تعد باستطاعتها اغراءه . لقد اختار طريقه وسيمضي فيه حتى النهاية .

وبلغ الردهة .. كانت الشمعة ترسل اخر انفاسها .. والتيار يتلاعب بها .. وتماثيل الالهة الصينية تغير من اشكالها كصور متراقصة في الماء

وثمة جثة .. صغيرة .. متكومة .. ملوثة بالدم حتى الصدغ .. صفراء ممزوجة كأنها كيس من نخالة .

وانفجر الجرس برنين حاد .

وفتح ماركايم الباب .

ــ يحسن بك ان تستدعي الشرطة ايتها الفتاة فقد قتلت سيدك .

سمير تنير

صبر

اطل علينا العدد الاول من مجلة « شعر »
مع مطلع العام الجديد ، وهي المجلة الفصلية التي أشرنا
اليها في اعدادنا ، تحمل روائع الشعر المعاصر
وننقل هنا قصيدة منشىء الاديب التي ظهرت في مجلة « شعر »

سأحتمل سأحتمل
سأحتمل ...
الى أن يموت الفجر
ويفنى المساء
ويزول في العدم
خيط الضياء

كالارض تدور على نفسها
وكالارض ذرة في الفضاء

كالارض تحمل الربيع والخريف
أحمل اليأس والرجاء

اريد ولا اريد
وارفع قبضتي في وجه السماء

هباء ... هباء ...

وقديما مات في الارض اله

البير أديب



نجـــوى

لعدنان مردم بك ـ شعر ـ ١٥٥ صفحة ـ حجم كبير ـ دار المعارف

آثر الشاعر الاستاذ عدنان مردم بك ان يسمي ديوانه الاول « نجوى » .

ومن عرفه في سمته الهادىء ، وسجاياه الرفيعة ، ووقف على تناجيه للمثل العليا والقيم الروحية ، وجد اسم ديوانه وفق مدلوله ومرماه .

كان ولا يزال ديوان الشاعر صورة منه تظهر فيه لقرائه على طيته وسجيته ، وذلك الزم طوابع الصدق التي يطبع بها الاديب أثره ، وان بين ايدينا من اثار الشعر والنثر الكثير مما صنعه المعاصرون ، يبدو بمرايا محدوبة او متكورة ، فيظهر صور اصحابه باشكال لا تعكس نفوسهم ، وكلما كشف الاثر عن المؤثر كان صافيا كالماء يبين عما تحته .

وهذه القصائد التي تنطوي عليها مجموعات الشعراء ، انما هـي اثار انسانية كانت ملكا مطلقا لاصحابها قبل ان تطبع وتنشر ، وهي حين جثمت بين رفوف الكتب اصبحت في متناول القارىء يطالعها ويسمع ما فيها لينعم بها حينا وليؤدي فيها ان اراد وان قدر حكما في خيرهـا وشرها على السواء .

وديوان الاستاذ مردم اثر انساني اصيل ، ينم على حس صاحبه وحياته ، فقد درج في حمى ابيه الشاعر ، فكان يتلقى منه ثقافة الفكر وغذاء الروح الى جانب دراسته ، ثم اخذت المجلات في الديار العربية تنشر له مقاطيع وقصائد ، فكان يقال فيه : شاعر وابن شاعر .

افتتح مجموعته الشعرية بابيات وصف فيها دمشق كانت لمحة مشرقة على جبين الديوان ، حيا بها الشاعر الوطن الذي اطلعه ، ثم كانت بعد ذلك تحية لامه بقصيدة جعلها فاتحة الديوان ، صور فيها حنـان الام ومرحمتها فراحت نجوى لكل ام في الوجود .

اما قصيدته « يوسف وزليخا » فهي قصيدة تعبيرية رسم فيهـا الشاعر بفنه ما كان بين النبي يوسف وزوجة العزيز « فوطيفار » مـن تجاذب في الهوى ، وانه كاد يميل اليها لولا ان رأى برهان ربه ، غير ان الشاعر لم يطل هذه القصيدة ، فقد صور لوافح هذا الهوى في تباريح العشق ، وعصف الاهواء ، تصويرا دقيقا متراميا على الخيال مكتفيـا بالمشهد الاول مـن الرواية ، وهي صورة من صور التامل ، تجيش في خاطر شاعر فيزجيها شعرا ، وليس عليه ان يتمها او يستقصي فيها كل الهواجس ، فالشعر انتفاضة تسجلها لمحة من لمحات رواسمها في الحياة.

ثم اندفع الشاعر وراء خفق الجسوم وتهدل الشعور ودوران القدود، فاذا راقصات ثلاث كل واحدة تنزل الى مسرح ديوانه لتؤدي رقصتهـا الخالبة . فراقصة « البوليرو » تتلوى كافعى ، وتهب كريشة في الرياح، وهي حينا عاصفة ، وحينا نسيم . واللحون تاخذ بها فتميد معها فـي مطارح التثني . وتأتي نوبة راقصة « التانكو » لكنها ليست وحدها في الاداء ، وانما يعتنقها في الرقص والدوران قرين . وقد اخذ هذا الشاعر يعكس على صفحات ديوانه تلك المناظر التي ينشر الهوى عليها اجنحة الطيور . اما راقصة « الفالس » فكانت سحرا وعطرا ، وفتنة حية جارفة على ان هذه القصائد الثلاث تشبه الحسان الثلاث في اسطورة الاغريق .

ويمضي صاحب الديوان في تنسيـــق شعره متجاوبا مع نفسه ومزاجه ، فقصائـد تلقاك في الشكوى والشوق والذكرى والوداع ، وقصائد رائعة تنتفض فيها الوطنية وتهتـف الاحاسيس ، حتى تدلف الى قصيده الخاطئة، فنرى فيها تلك الفتاة التي دفعتها الحوادث الى التردي في هاوية الخطيئة حتى فزعت الى المسيح ، ووراءها الراجمون ، فحماهـا بامنه ورحمته ، وقـال كلمته المشهورة من كـان منكم بـلا ذنـب فليرجمها بحجر ...

والشاعر عدنان مردم بك قد يرى مطارح الجمال والفتون بعين قاض حذر ، وهو بهذا يعذر ، اذ انه الى ادبه الموهوب ، من الحكام بالقضاء ، فهو يرى الشفاه الحمر حيات تتلوى في مثل قوله :

كم حية رقطاء في شفة تلوت حائرة ،
تلك الشفاه الحمر كم اودت بنفس عاثرة

وهذان البيتان اعادا الى بالي ما قال الشاعر « امين نخله » في الشفـاه الحمر :

انا لا اصدق ان هذا الاحمر المشقوق فم
لكنما هو وردة حمراء من لجم ودم
بالله يا محبوب خذ روحي وعللني بشم

ووضع الشاعر في ديوان « نجوى » قصائد كن رهن الطبيعة في مسائها وصباحها وسحابها وصفائها ، فالعاصفة تصفر ، والنار تلفح ، والبحر يموج ثم يترامى على الشطآن نثيرا جميلا . وكانت الصحراء اللافحة والشتاء القارس ، وغروب الشمس وشروقها الواحا فنية فـي شعر مردم يزدان كل منها في اطار من الصنعة الدقيقة والبيان الرشيق.

وما اشبه الشاعر عدنان مردم بك بالكاتب « بيير لوتي » كان هذا الجوال الوصاف كما يقول عنه نقاده ، ذا ادب تصويري ، ترى عيناه فيصف قلمه ، ويسكب على وصفه روعة فنه ، وحلاوة تعبيره . وكذلك وجدت صاحب « نجوى » يحتل بين لداته من شعراء العصر محل الوصف والتصوير ، ويتبحبح فيه . بل تكاد تحس ان شاعر « نجوى » يسكب الكلام في نغم ، فيعزف على قيثاره قطعة بعد قطعة ، بين محزونة وطربة ومشوقة . اما احزانه فقد اثرت في حياته ، وطبعته بطابع الوجد والتفكير منذ نشأته وصباه . مات اخوه « هيثم » فتى مرجوا لغد كبير ، فنظم الشاعر عبراته في كثير من الابيات واختص رثاءه بثلاث قصائد تصويرية نثرها ازاهير لوعة وذكرى .

واما طربه فيتجلى في قصيدتين ممتعتين تموج في احداهما نعمى الابوة ، وعذوبـة الحنـان والمحبة . وللشاعر نـواح مستسرة مـن الشعور المتوثب ، والتناجي المحبب ، وقد تجاوز هذه اللواعج النفسية ارسلها عفو الخاطر والقلب ، مواجة بالعاطفة الحرى والحنين المتلهـف والحس المرهف المتفتح للجمال والوجدان .

غير انه لم يتجه اتجاها خاصا بناحية تفرد بها وسيطرت على شعوره وطبعه ، او انه فتح بشعره افقا جديدا او بعيدا لا عهد لشعرنا الحديث بمثله ، بل كان فيه جوالا ، ولم يكن رائدا ، وقد ادى شعره على الطريقة القويمة التي تصل حاضرنا المتوثب بماضينا الاصيل ، فجاء محـمـد الاداء ، صافي التعبير والالوان ، ولا يكون هذا لشاعر الا بعد التمرس باللغة والادب والاحاطة بثقافة الفن والحياة .

دمشـــق　　　　　　زكـي المحاسنـي

أنـات الساقيـة

مجموعة قصصية ـ لحسن عبدالله القرشي ـ ... صفحة ـ طبع دار المعارف بمصر

ربما كانت هذه المجموعة من اوائل ما صدر عن الجزيرة العربية من قصص هذا العصر ان لم تكن اولها ، ذلك ان الجزيرة ليست عريقة في القصة ، عراقتها في الشعر ، والقصة بمفهومها الحديث ، ليست جديدة على الجزيرة العربية فحسب ، ولكنها جديدة على الادب العربي ، بشكل عام ايضا .

لهذا رأيتني مدفوعا الى قراءة هذه المجموعة قبل غيرها ، والى مبادرة اثارة هذه العجالة حولها ، مسجلا انطباعاتي عنها ، دون ان اعمد الى مناقشتها من الوجهة الفنية ، بقدر إستطلاع مداولها ، والواقع الذي استوحاه الكاتب او المجتمع الذي تقودنا اليه قراءتها .

وربما لو لجأت الى الفن اطبق قواعده واقيس به هذه المجموعة لكان لنا مع الاستاذ الكاتب حساب ... أي حساب ؟ هذا على الرغم من التوطئة التي قدم بها الاستاذ الكبير محمود تيمور لهذه المجموعة . على اننا لا نشرك الاستاذ المقدم في تحمل المسئولية . لانه لم ينقد ولم يقوم قصص الكاتب قبل اذاعتها علينا ، فقد درج ناشئة الكتاب ، وادباء الشباب ، على ان يزكى ادبهم الى الحياة والمجتمع ، ادباء تقف اسماؤهم كاللافتات على ابواب الدكاكين تشير وتلوح بالعلامات المضيئة ، ولا ادري الى أي حد كان هذا التقليد ناجحا ، في تقويم الادب وتشجيع الادباء !! اما الذي اعلمه ، فانه ملأ كثيرا من الرؤوس بالغرور والاستعلاء . وشحذ من عواطف الحمق والتبجج والادعاء ... ثم الركون اخيرا ... !

اعود فاقول اني لو اردت ان اناقش الفن وقواعده بالتطبيق على قصص الاستاذ القرشي لكان لنا ولكل قارىء .. بله الناقد .. ، ان لا نغتفر جهل الاستاذ بأول مبدأ من مبادىء هذا الفن ، وهو اللغة . والقارىء تطالعه من اول قصة ابتداء هذه التعبيرات :

(كان « حميد » جالسا قرب « الساقية » ولو راح شاعر موهوب يسكب على الورق رائعة من خوالد الشعر تزري بعقود الجمان ، ويتغنى بسحرها الزمان لما استطاع ان يصور مرح الربيع كما هو ثائر معربد في احساس حميد وتوهج نشاطه وبشره !)

هكذا يصدمنا الاستاذ القاص ، منذ اول سفر ، في اول قصة من مجموعته هذم بلغة ابعد ما تكون عن لغة القصص تلك اللغة التي ايسر ما يقال فيها انه يجب ان تكون بسيطة خالية من التكلف واصطناع المحسنات اللفظية ، ذلك ان الفن في القصة لا يكون في العبارة ، واقصد هنا الفن الشكلي او الفن الاسلوبي ، وانما يكون في ادارة العقدة التي تقوم عليها القصة باسلوب شائق وعرض يضطر القارىء الى تتبع الحوادث الجارية .

وهذا الفن الاسلوبي في القصة يأتي دائما ثانيا ، حقيقة قد تكون هناك بعض العبارات الزاخرة بالصنعة المشبعة بالصور ولكن هذا غير مطرد ، والا تحولت القصة الى سرد لغوي متكلف من غير قدرة على الاستغراق الذهني الهادىء ، والتحسس التدريجي لتوالي نقلات الحدث الموضوعي في القصة .

اما في الشعر فالامر مختلف ، فنحن نغتفر للشاعر ان يلون قصيدته بهذه الاصباغ اللغوية وربما كان اصطناع هذا الاسلوب ضرورة يقتضيه الفن الشعري نفسه . وعلى هذا فقد قدرت ان الاستاذ القرشي كان شاعرا وهو يقص لغة وموضوعا . اما لغة فاكتفي بما ذكرت ، واما موضوعا فقد وجدت ان معظم قصص الاستاذ خالية من المنطق الادبي لحل المشكلة التي تثيرها القصة ، حلا نتعقله في حدود منطق الحوادث المعروضة امامنا.

فنحن نرى الاستاذ في قصة « الموظف الكبير » قد جمع احداثا غريبة سريعة ، اخذا بخناق الزمن والحال والاجتماع ، ثم خلطها خلطا عجيبا ، كانت اخيرا هذه القصة « الموظف الكبير » .

وفي قصة « ثورة ضمير » تفتش عن الحل فلا تكاد تعثر عليه . وتبحث عن القصد من هذه فعبثا تحاول واخيرا تفاجأ بهذا القرار العجيب الذي يخرج به محسن : هو ان يرفض ما اوصى به وله صديقه مراد (الذي توفي) ؟ يرفضه تكفيرا عن الجرم الذي اقترفه في حق صديقه « مراد » والذي ظن به خيرا فاوصى له بهذا المال ... !!

وكذلك في قصة « ذكر ... أم أنثى » حين تعرف ان عبد المجيد يفضل البنت على الصبي واين هذا ؟ فالاستاذ عبد المجيد يكفهر وجهه حين تنبئه الممرضة بان امرأته قد وضعت ذكرا : كان المجتمع العربي قد ارتقى الى درجة المساواة بين الذكر والانثى وارتفع في نظر الاستاذ القرشي حتى صار يفضل الانثى على الذكر . لذلك انطلق عبد المجيد يتزوج باخرى ، عسى هذا الزواج الجديد يعود عليه بأنثى . على انني اعتقد ان هذا الزواج الثاني نفسه امتهان للمرأة . وهدم لكرامتها اذ انه ليس هناك ما يبرره ، ونحن في حيرة لهذا التناقض: اذ ترى الاستاذ يفضل البنت على الولد ، ثم يتزوج امرأة ثانية . فكيف يمكن ان نوفق بين تفضيل الاستاذ للانثى ، والزواج مرة اخرى ... !

وبعد ، اما كان في قدرة الاستاذ عبد المجيد ان ينتظر محاولة ثانية لزوجته الاولى ... ؟ ! وهذا الموقف بالنسبة للمرأة يتكرر في معظم قصص هذه المجموعة ولكن بصور اخرى .

ففي قصة « غروب امل » نرى صالحة فتاة تحتم عليها الظروف ان تقضي شبابها في خدمة ابيها الشيخ خضوعا للاوضاع الاجتماعية التي تتحكم فيها . وبعد وفاة ابيها تتصل بابن عمها « عدنان » الذي سبق لها ان رفضته ، ولكنها تفاجأ ان ابن عمها قد خطب عروسا من مصر ؟ !

وربما كان اقرب الى المنطق لو جعل الكاتب من « صالحه » بطلة ترفض الزواج الا بشرط تشترطه على من يتزوجها وهو ان يضم اليه والدها الشيخ ، او ان يسمح لها برعاية هذا الاب المجوز . وعندها يقوم الكاتب بخلق موقف معقد تقفه الزوجة « صالحة » ما بين حق الزوج وواجب البنوة .

على انه ربما كان اقرب الى منطق المؤلف ، جريا على ما شاهدت في معظم هذه القصص ، ان لو زوج ابوها الشيخ فتاة صغيرة في سن حفيده ، كما فعل « عم شعبان » او كما حل بسميرة في قصة « عاطفة » او ما كان في قصة « حب بلا امل » .

ففي هذه القصص جميعا لا نرى للمرأة حولا ولا طولا ، وانما هي مسلوبة الارادة محيرة ، مكرهة على ما لا تحب . هي مخلوق تافه تعيش بلا حب وبلا أمل ...

ولعل قصة « تقاليد » هي المجال الرحب الذي يظهر لنا بوضوح ضعف المرأة وفقدانها الارادة وعدم التفكير في مصيرها كانسان له كرامة وحق في الحياة .

وربما استغرب البعض من الرجل المثقف « الذي حصل على شهادته الجامعية العالية والذي كادت رؤى المستقبل البسام تتلالا لعينيه في موكب سحري بهيج ، وتملأ شعاب نفسه بالامنيات والاحلام ... » ربما استغربوا منه ان يعترف بصراحة وخزى وانكسار انه ذليل عاجز. مثله مثل المرأة تماما . ولعلنا لا تأخذنا الدهشة حين نعرف ضعف الرجل اذا كانت المرأة ضعيفة . فالمرأة تشاطر الرجل شركة الحياة . والحياة لا تقوم باحدهما دون الاخر ولهذا اعجب احيانا لاولئك الذين يتحدثون عن المرأة ولا يتحدثون عن الرجل . وانا شخصيا لا اعترف بوجود قضية للمرأة منفصلة عن قضية الرجل . ان قضيتهما واحدة هي قضية المجتمع الذي يقومان ببنائه معا . ولن تكون المرأة متاخرة والرجل متقدما او العكس . لذلك فنحن نجد في مجموعة « انات الساقية » الفتاة الصبية بنت الخمسة العشر ربيعا تتزوج شيخا في سن جدها ، ولو فتشت عن مؤهلات هذا الشيخ وعن مدى وعيه وادراكه لما وجدته الا انسانا تافها . كل مواهبه في الحياة انه اثرى بطريق الصدفة او الوراثة ، وفي اغلب الاحيان باسلوب غير شريف .

والمرأة هذه الفتاة الصغيرة ، ابنة الخمسة العشر ربيعا لـن تجدهـا الا جاهلة ، تعيش في حدود مرسومة ليس من حقها حتى مجرد التفكير في الاختيار ، ولكنها مكرهة ، على القبول . وهي حقيقة تافهة ، تحيا بقوة الاستمرارية ، ووظيفتها الاولى هي المحافظة على النوع . وهي في سنها المبكر ، مثلها وهي في سن جدتها ، يظل ادراكها مرتبطا باوضاع لا تتيح لها الانطلاق او التحرر .

وشيء اخر في هذه القصة : ان المؤلف حين اراد ان يعـالج مشكلة التقاليد لم يفعل اكثر من رسمها بصورة قاتمة ، وباسلوب ، لا تدرك فيه اثرا لمجرد التفكير في تغييرها ، عند من يصطلون نارها ، اما الذين مروا بتجربتها وانطلقوا مرتفعين عنها ، فانهم لا يخالطهم الا شعور الحقد ... والكراهية لها . والمهم انه ليس هناك محاولة لمحاربتها او تغييرها .

وقد لجأ الكاتب الى الحب باعتباره اقوى الدوافع الانسانية لانـه يقوم على اصل من الفريزة الجنسية ، ولكنه حتى في هذا المجـال الخصب من التجربة لم يستطع ان يخرج لنا بقوة فاعلية هذه العاطفة الجبارة في مقاومة البالي من التقاليد . وقد نعجب لماذا لم يتزوج شفيق من ابنة الخياط الجميلة المتعلمة وابنة بلده وقد تزوج « عدنان » في قصة « غروب امل » من فتاة مصرية خارج بيئته ، وعلى هذا فنحن نرى ان الكاتب متناقض مع نفسه اذا اردنا التماس الوحدة الاجتماعية في قصصه هذه ، ذلك ان التقاليد التي اضطرت « شفيق » الى الهزيمة هي نفسها التقاليد التي لم تقاوم عدنان ، ولم يحاربها هو ، ولكنـه في ظلها تزوج ، دون ان يجد اية مقاومة ، هذا مع تشابه ظروف كل من الشابين : « عدنان وشفيق » باعتبارهما شابين متعلمين ، وتشابـه القوتين السلبيتين في كلتا القصتين « تقاليد » و « غروب امل » اذ ان والد « شفيق » هو التقليد الجامد الاول ، ووالد صالحة هو التقليد الثـاني ...!!

وقد رأيت الكاتب مع اجتماع كل هذه الاوضاع التي خلقها والمشاكل التي اثارها يكتفي بافتعال مواقف شعرية كحل لهذه كله ، فان « شفيق » في قصة تقاليد حين يناجي محبوبته ويسالها عما لديها من اخبار يكون ردها عليه انها (راحت تفكر في سهوم وشرود ولم تجبه وتطلع « شفيق » الى وجه فتاته فما راعه الا شحوب يغشى ذلك المحيا البسيم الوضاء والا دموع مشبوبة تساقط في انهمار من مقلتيها النجلاوين) .

والى المؤلف اقول : انه قبل بضعة عشر قرنا كان العاشق فـي الجزيرة العربية يستطيع ان يلتقي بمحبوبته مع جهله وقلة حيلته ، فما بال صاحب الليسانس يقف مبهوتا اعمى فاقد الارادة امام حبيبته التـي شغف بها ... وتمضي القصة لتعترف سكينة بانها مذنبة ثم تطلـب الصفح ، فهي انسان بلا طموح ...

وكذلك « شفيق » فانه يستجدي اباه ، في بلاهة وعباطة ، الزواج من حبيبته، فهو والحالة هذه مثله مثل سكينة.. انسان بلا حيلة ولا قدرة.

غير ان الاب يرفض ان ينحدر ابنه الى اوشاب الناس ويرده زاجرا رادعا ... وعندما لا يجد « شفيق » الشاب المثقف مخرجا من امره يلجأ الى الرحيل ، وهذه انهزامية بينة واسوأ حل يمكن ان يلجأ اليـه انسان تجاه مشاكله ، فهو بدلا من مواجهتها يهرب منها ، فعل الجبان ذلك ان الهرب نفسه ليس حلا ، لانه لا يبعد بالانسان عن مشاكله وانما يعقدها .

على ان القصة تنتهي ايضا بنهاية عجيبة ، ان دلت على شيء فانما تدل على بدائية عاطفة الابوة في مجتمعاتنا ، او عواطفنا الاجتماعية عامة . فان والد « شفيق » الذي رفض زواجه بابنة الخياط ترفعا نراه في النهاية وبعد ان ادرك الخطر المحيق بابنه يسعى طائعا مختارا الى ولده يستجديه الرضا ، استجداء ابنه في اول القصة . وعلى هذا فظاهرة التهريج واضحة جدا في هذا القصص : اعني في مجتماعاتنا ، فنحن بين مد العواطف وجزرها وبين سلبيتها وايجابيتها حينا اخـر ترانا معلقين من غير ان نعمد الى درس المشكلة درسا يعتمد على الروية والتعبير السليم فانا لا الوم الاستاذ القرشي ان كشف لنا في مجموعته هذه ، عن حالة المجتمع العربي في الجزيرة . فقد كان صادقا في تصويره ومن يدري . فلعله لم يكتب من الخيال بقدر ما اخذ عن الواقع .

وعلى هذا فان الامل معقود على الاستاذ القرشي وغيره من اخواننا ابناء الجزيرة ان يرسموا لمجتمعنا العربي هناك . ليس فقط مشاكله بل الحلول السليمة المناسبة لهذه المشاكل . وللمؤلف خالص التقدير .

القـاهرة **حسـين رشيد خريس**

ديوان العبـاس بن الاحنف

شرح وتحقيق عاتكة الخزرجي ، دكتوراه الدولة في الآداب
من جامعة السوربون ـ ٣٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ
مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

بين اديبات العراق اللامعات اليوم وشاعراته النابهات الانسة عاتكـة الخزرجي التي عرفت بشاعريتها الفياضة المبتكرة ، ففتنتنا اطيب الشعر واعذبه واتحفتنا باللذيذ الممتع من البحث الدقيق الرصين . فقد جاشت نفسها ، منذ الصغر بحب العلم والتوق للتزود منه فطلبته مـن منابعه الاصيلة الدافقة ومن كبار حملته في العراق (١) في ما كانت تعرض عليهم من نظم يشف عن روح شاعريته ونفس عامرة بالذوق المرهف .

وقد اتحفتنا الدكتورة عاتكة من مدة قريبة باثر علمي جديد هـو ثمرة تخصصها بالادب وباكورة عملها العلمي فيه فاذا باولى محاولاتها توفيق يود الضالعون في التحقيق الادبي منذ عهد بعيد ان يؤتوا بعضه وذلك بتحقيقها ونشرها « ديوان العباس بن الاحنف » ، احد اعلام الشعر في العراق قديما . والمتوفى عام ١٩٤ هـ ، نشرا علميا يمكن ان يتخذ ، بما فيه من تحقيقات وشروحات ومراجعات ، وبما فيه من منهجية اسرة ، مثالا يحتذى للنشر العلمي في الشرق العربي ، وفقا لمقتضيات البحث والتتبع والتقصي .

وديوان العباس بن الاحنف ، معروف كصاحبه ، طبع مرتين ، اولاهما طبعة سقيمة جدا هي طبعة الجوائب (٢) ، كما طبع طبعة ثانية في بغداد (٣) بعناية عبد المجيد الملا مع شرح وتحقيق . والطبعة الثانية نسخ لطبعة الجوائب بما فيها من عورات وسقطات وهفوات .

وامام هذا النقص في طبعتي ديوان العباس بن الاحنف ، رأت الانسة الخزرجي ان تهيأ طبعة ، «انتقادية قائمة على الطريقة العلمية» ، اعتمدت فيها على ثلاث مخطوطات لديوان بن العباس محفوظة اولاهـا ـ وهي الاصل الذي اعتمدت عليه في اخراج الطبعة الجديدة ـ في مكتبة كوبريلي زاده باستانبول ، تحت رقم ١٢٦٠ ، وعن هذه المخطوطة نسخة في ادارة المخطوطات المصورة في الجامعة العربية في القاهرة ، تحت رقم ٣٢٧ ادب وقد رمزت اليها بحرف « ك » .

والمخطوطة الثانية التي رمزت اليها بحرف « ا » هي نسخة مصورة عن نسخة خطية محفوظة بمكتبة كوبريلي زاده ايضا تحت رقـم ١٢٥٩ ـ والمخطوطة الثالثة ، محفوظة بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٥٣١ ادب ، واشارت اليها بحرف « ق » .

وقد درست الانسة عاتكة هذه المخطوطات الثلاث ، وعارضتها بعضا

---

(١) كثيرا ما تعهد نظمها وشاعريتها المتفتحة الاستاذ الكبير الشيخ محمد بهجة الاثري كما عرفنا من حديث لنا معه في احدى امسيات مؤتمر ادباء العرب الثاني في بلودان ، ايلول ١٩٥٦ .

(٢) مصر ١٢٩٨ هـ ١٨٨٠ ، ملحقا بديوان ابن مطروح وتصحيح يوسف النبهانـي . (٣) بغداد ، ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٧ ـ

ببعض وبينت ما فيها من مفارقات وميزات تفردها بعضا عن بعض . والمخطوطات الثلاث برواية ابي بكر الصولي الذي تربطه بالعباس « وشيجة النسب » اذ كان العباس من اخوال جد ابي بكر الصولي ، كما في وفيات الاعيان (٤) .

وقامت الدكتورة عاتكة بمقابلة دقيقة مقنطة بين مخطوطه الاصل والمخطوطتين الاخريين (ا) و (ق) . ولم تكتف بذلك ، لان نسخة الاصل – على قدمها – جاءت ملأى بالخطأ والخطأ الكثير . فلنترك الكلام للناشرة نفسها : « لذلك بذلنا وسعنا في البحث عن كل ما استطعنا العثور عليه من المظان التي تروي « لابن الاحنف » شعرا او خبرا ، فاسعفتنا بعض الشيء . ووجدنا اختلافات كثيرة في رواية الابيات . وقد اثبتنا جميع هذه الخلافات في الهوامش . وما لم تسعفنا به الاصول وكتب الادب ، راجعنا فيه انفسنا واثبتنا ما نامل ان يكون صوابا او قريبا من الصواب (٥) .

وبفضل هذه التحقيقات استطاعت الناشرة ان تضيف الى الديوان نحوا من مائتي بيت جديد لابن الاحنف ، استقتها من المصادر التي راجعتها . وهكذا جاء ديوان العباس بن الاحنف « ابعد ما يكون عن نقص واقرب ما يكون عن كمال » .

وقد اثبتت جميع قصائد الديوان مرقمة موزونة ، محددة منها بحر الشعر . كذلك رقمت ابيات كل قصيدة على انفراد وطرزت حواشيه بهوامش اثبتت فيها الى جنب الخلاف في ترتيب الابيات في النسخ الثلاث ، ورواياتها ونسبتها ، تفسير ما غمض من الفاظها ومعانيها وتحديد اسماء المواضع التي وردت فيها .

وقد الحقت بهذه الطبعة اربعة فهارس : الاول للاعلام والقبائل ، والثاني للاماكن ، والثالث للبحور مرتبة حسب القوافي ، والرابع لاسماء المراجع العلمية التي اعتمدتها الدكتورة الخزرجي في تحقيقها العلمي . كذلك اثبتت بالفوطوغراف صورة غلاف الاصل واوائل المخطوطات الثلاث للديوان .

والديوان في حلته الجديدة له « تصدير » للعلامة الكبير المستشرق

الفرنسي بلاشير ، استاذ الادب العربي بالسوربون ، وهو الذي اشرف على توجيه الانسة الخزرجي في بحثها وتسديد خطاها ، وتبين ما في تلميذته النبهة من كفاءات وما فطرت عليه من مواهب وما فيها من استعدادات هائلة للاضطلاع بمقتضيات التحقيق العلمي « فلا تثور على طول الاناة التي يحتمها كل جهد علمي » فرأينا ما بين صاحب الديوان ومحققته من تناغم على ما بينهما من تباعد الاجيال .

فلا عجب بعد هذه الرعاية والعناية والسداد ، ان تهدي الانسة عملها هذا الى استاذها الكريم « ان هو الا ثمرة من روض فضله ، وقطرة من فيض بحره ، مشفوعا بهذه التحية » :

شبابك الفض كم افنيت زاهره في خدمة الضاد او في خدمة العرب

هذا شيء عن حكاية « ديوان العباس بن الاحنف » ، في طبعته الجديدة المشرقة بتحقيق الانسة الدكتورة عاتكة الخزرجي . اما حكاية جهادها العلمي المفصل ، فلم نرو لك منها الا النزر اليسير . ففي التعرف الى المزيد منه ما يبهج العقل والقلب معا وينتزع الاكبار والتقدير والاعجاب .

وبعد طبع ديوان العباس في مصر عادت الى باريس تعد رسالتها الثانية التي درست بها العباس بن الاحنف وشعره بالفرنسية . وقدمت رسالتها اخيرا للسوربون ونوقشت في ١٣ حزيران عام ١٩٥٦ وظفرت بشهادة دكتوراه دولة في الاداب ، بدرجة مشرف جدا ، وباجماع لجنة التحكيم وثنائها . وغادرت بعدها باريس لتقوم بجولة قصيرة بين مدريد والاندلس والقاهرة وبيروت ومنها الى بغداد حيث عينت في دار المعلمين العالية استاذة للادب العربي فيها .

وبهذا تدخل الدكتوره الخزرجي طورا جديدا من حياتها العلمية وجهادها في حقل التتبع والتقصي نرجو لها صادقين ان يكون حافلا بالثمار الشهية . فنحن الى امثالها والى الاخصائيين مثلها بحاجة ملحة ملحفة ، لتنصرف معهم الى جلو الكثير مما غمض ولا يزال غامضا من بعض ادوار تاريخنا العربي عامة ، وتاريخ الادب في العراق خاصة .

* * *

عرفت الانسة عاتكة الخزرجي ، اول ما عرفتها عيانا ، في باريس في حزيران ١٩٥١ وانا في طريق عودتي من لندن حيث كنت دعيت لمؤتمر من الاخصائيين في البيليوغرافيا دعت له منظمة الاونسكو فكان لي فيه تمثيل الشرقين الادنى والاوسط . وكثيرا ما جمعتنا بعدها حلقات ادبية كان من بعض حضورها الانسة فكتوريا خزامي والمرحوم الاب بولس سويد الذي كان يتخصص هو ايضا بالادب العربي في السوربون ونال الدكتوراه الدولة بعد ان قدم اطروحة ممتازة كان موضوعها الشيخ ابراهيم اليازجي واثره في الادب العربي الحديث . وقد توفي الاب سويد فجاة في السنة الماضية ماسوفا على علمه وثقافته وشبابه واخلاقه العالية في المكسيك يعمل في حقل الرسالة الدينية .

ولدت الانسة عاتكة في بغداد من اب خزرجي الاصل ، تركي الثقافة عراقي الجنسية ، وام عبيدية الارومة . وكان اخر منصب تولاه ابوها متصرفية لواء ديالي ، وقد عرف بالتقى والورع . وقد خلد مولد فتاته بهذه الحكمة المريرة : « ولد الشيب يتيم » فصدقت الايام ظنه ، فكان ان توفاه الله بعد ذلك بستة اشهر .

درست في بغداد وفيها اكملت دراستها العالية فحصلت على الاجازة في الادب من دار المعلمين العالية بدرجة شرف ، ثم درست في احدى مدارس البنات الثانوية ، وبعدها سافرت الى باريس لتحضر رسالتها لدكتوراه الدولة في الادب ، من السوربون ، وتعلمت الفرنسية هنالك ثم تتلمذت على يد المستشرق الفرنسي بلاشير كما سبق واشرنا الى ذلك :

(٤) مجلد ١ : ٢٧ . (٥) المقدمة (و) .

وهي الان في سبيل اعداد ديوانها « انفاس السحر » للطبع ولها غير ذلك من المؤلفات التي لا تزال مخطوطة ، رسالة عن الانسة مي ، ورواية شعرية تمثيلية اسمها « مجنون ليلى » في خمسة فصول ، وبضع قصص

يوسف اسعد داغر

اسمع يـا رضـا

لانيس فريحه ـ ٢٢٤ صفحة ـ مطبعة الكريم جونية لبنان ـ مكتبة خياط بيروت

ما حسبت قط ان الاستاذ فريحه ، وهو استاذ الساميات في الجامعة الاميركية يتنازل ويكتب في « القرويات » اقول هذا لاني اعلم ان امثاله من الاساتذة الاخصائيين والذين يسميهم البعض النخبة ، يكتبون عادة في « السماويات » أي على الصعيد العالي من التفكير ، ما يتلاءم مع الاختصاص واللقب . الا ان الاستاذ فريحه يكذب ظني والحمد لله ، ويرينا انه ليس طويل اللسان في اللغات السريانية والاكدية والعبرية وفي المناقشات الثنائية واللغوية وغيرها في حدود اختصاصه وحسب ، بل يتقن « اللبنانية » ايضا ويكتب كما يكتب العاديون من حملة القلم الذين ليسوا من النخبة ولا من اهل القلم حتى ولا على صعيد عال بل على مستوى الاطفال واهل القرية بلغة اقل ما يقال فيها انها « لبنانية » سهلة ممتنعة ومزدوجة تجمع بين العامي الحلو الجرس والفصيح السهل الغير المسف ، يقصدها الكاتب فجاءت نموذجا يحتذى بها وثورة على القلم الجامد المتزمت .

قرأت كتاب « اسمع يا رضا » فشعرت اول ما شعرت بطول العمر وحلاوة العيش فكأني عايشت القرن العشريـن في لبنان منذ مستهله . عشت فترة امنة هادئة اتدرج مع الكاتب طفلا دارجا فشابا يافعا ، ثم اشاهد اندلاع الحرب الكونية الاولى والصراع المر بين الموت والحياة يوم حل الجراد ضيفا ثقيلا على القرية فلم يبق ولم يذر . واما الشعور الثاني فهو الشعور بالوحدة اللبنانية والانسجام التام الصادر عن تقارب التجربة او بالاحرى عن دم القربى التي تجمع بين مختلف اللبنانيين (بغض النظر عما سببه المستعمر من تفرقة) وتصهرهم في بوتقة لبنانية لها روحها الخاصة وميزتها الثابتة . وكأني بالاستاذ فريحه في كتابه يتقصى مسببات الشخصية اللبنانية ومقوماتها على ضوء مؤثرات الطفولة . فهو يرجع كل شيء في تلك الشخصية الى « اللبنانيات » الصغيرة في القرية التي تظل عالقة في نفس الطفل والتي اليها يرجع الفضل في « قولبة » اخلاقه وشخصه . فالقرية اللبنانية تجري دما ثرا حارا في عروق الاستاذ فريحه وحلما ذهبيا في سواد عينيه ، اجل ، ترى متى يرى الضيعة قبلة الانظار ومحط الامال ؟ متى يراها تعود مزدهرة ثانية تعج بالاطفال الموردي الوجنات يسرحون ويمرحون في ازقتها وعلى بيادرها في اوديتها وغاباتها يلعبون لعبة « البيل » و « المخابيء » وغيرها من الالعاب التي تفوق بكثير العاب زماننا ، يتنشقون الهواء النقي الذي لا دخان مازوت فيه ولا جراثيم ؟

واما اشخاص الكتاب فتشعر انها ليست غريبة عنك . فكأنما عيد خالك او عمك او جدك ، وكأنما مخول جارك الذي يسكن لزق بيتك ، وهكذا قل في نسطاس وملحم الدكنجي وغيرهم من ذلك الجيل الحبيب ، الذين هووا كالاعمدة فوق الشوامخ بل قل ماتوا ميتة الابطال رؤوسهم تنطح السماوات وتغسل المحيطات اقدامهم . وانك تشعر حقا بالحزن العميق لتلك النخبة الطيبة التي قالت بفؤوسها لهذي الجبال ان كوني فكانت وان انبتي فانبتت كرما وزيتونا . وتفاحا يغري بغنجه الف حواء وحواء من اقاصي الارض ، كما وانك قلما تجد مرثاة ابلغ وافصح ، تعدد مناقب اللبناني من تلك التي رثى بها الاستاذ فريحه « خاله عيد » قال رحم الله عيد ! عيد اخر واحد من الجيل الصالح الذي عمر القرية . عيد اخر واحد شجر الوعر ، ودرج السفح ، ونقب السليخ ، وطعم البري ، وغرس التوت واقتلع الشوك من على جوانب الطرقات مجانا ، واخر من بنى دعسات في المسالك الوعرة المؤدية الى احراش القرية ايام الاحاد مجانا لوجه الله !

مسكين عيد ، لقد مات بلا وسام .

الا تشعر وانت تقرأ هذه المرثاة بالتيه والفخر باولئك الاجداد الذين كان لبنان عندهم بمثابة هيكل مقدس يقدمون على مذبحه اعمال يديهم وعرق جباههم قربانا يتنسم منه الله رائحة الرضى في ايام الاحاد . الا تشعر الان بقيمة القرية ذلك الميراث الذي خلفه لنا لاجداد امانة غالية في اعناقنا ؟ ترى ماذا فعلنا من اجلها .. حكومة .. وشعبا ؟ فيا ليت الحكومة ترسم وساما يعلق على صدر امثال الخال عيـد من فلاحي القرى المجاهدين .

هذا ، ولا اريد ان استرسل في تبيان محاسن الكتاب ، والكتـاب بالحقيقة غني عن التقريظ والمديح ويكفي ان تعلم انه يضم لبنـان بين دفتيه .

والان لي كلمة اخيرة وهي بالحقيقة بيت القصيد . كنت دائمـا اتوق كلما قرأت سعيد تقي الديـن ، واميل مبارك ، وتوفيق عواد ، ومخائيل نعيمة وغيرهم وكلما سمعت الرحبانيين وفيروز وكلما تطلعت الى رسوم فروخ ورضوان الشهال اتمنى لو يتعاون هؤلاء جميعا مع زمرة اخرى لاخراج قصة بل فيلم يحفظ للاجيال الطالعة صورة واضحة صحيحة عن لبنان منذ مستهل القرن العشرين او منتصف القرن التاسع عشر وما لاقى في تلك الايام من مظالم ومحن تحت النير العثماني ثم تطور الحياة في لبنان وما رافقه من صراع مؤمن في سبيل الحياة الكريمة والعيش الافضل ، واخراج فيلم كهذا يفيد لبنان من ناحيتين هامتين ، الاولى تربوية تعطي النشء الحديث فكرة صادقة عما كلف لبنان الاجداد من تضحيات غالية ناهيك انه يطبعهم بطابع وطني لبناني ويحفزهم على مواصلة رسالة لبنان والحفاظ على قريته وتقاليده وعاداته . وامـا الناحية الثانية فسياحية تعرف النشء المغترب على ارض الاجداد ووجه لبنان الحقيقي وتكون حافزا للعودة . هذا واعتقد ان بمساعدة مفوضية السياحة والاصطياف او غيرها من المؤسسات التي يعنيها الامر وبمساعدة هذه النخبة الحقة من اللبنانيين الافذاذ يمكن وضع تصميم شامل لاخراج قصة لبنان في تاريخ جهاده الطويل ومساهمته الفعالة في نشر الحضارة والمعرفة والسلم . اما وقد وضع الاستاذ فريحه الحجر الاساسي لهـذه القصة فاني ارسلها صادقة لمن يغار على لبنان ويحب قريته بكل مـا فيها من تواضع وشمم ان يتنادوا للعمل وينبروا لتنفيذ هذا المشروع . وقد يحسب البعض ان الفكرة اقليمية ضيقة لاسيما في هذا الخضم من التيارات الفكرية والسياسية التي تصطرع في البلاد العربية . قد يكون هذا هو الواقع الا انه رغم كل هذا تظل الفكرة حاجة ملحة تعتمل فـي نفس كل لبناني . فنحن نفتقر الى قصة لبنانية تهزنا بالفخر وتملا نفوسنا بالثقة وتحفزنا الى ان نعمل من اجل لبنان ومن اجل القرية التي نحن ابناؤها . وأي جريمة في من يحب بلاده ؟

انني اتمنى على وزارة التربية الوطنية ان تتبنى هـذا الكتـاب ليطالعه طلاب التاريخ في الصفوف الابتدائية كما واتمنى على كل ام ان تقرأه وتنثر الضيعة احلاما عذبة حول مهد صغارها فينشأون مطبوعين على حبها وكذلك اتمنى على كل اب لبناني ان يمد ذراعه لابنه لينام عليها وهو يقص عليه قصص الضيعة .

هنيئا لك يا رضا بوالدك !

وهنيئا لك يا ضيعة بامثال انيس فريحه !

الجامعة الامريكية بيروت **يعقوب حوراني**

في كلمات ...

● اعلن مدير كبرى مؤسسات مكافحة السرطان في العالم – معهد سلون كترنج للابحاث السرطانية بمدينة نيويورك – عن اكتشاف خطير جدا يتعلق بالسرطان : وهو ان بعض الاشخاص يتمتعون بمناعة طبيعية ضد الاصابة بهذا المرض . والمعتقد ان هذه المناعة مصدرها وجود بعض الاحماض المعينة في خلايا الجسم . وقد يؤدي دراسةمفعول هذه الاحماض الى كشف النقاب عن بعض النواحي المتعلقة بهذا المرض وكيفية معالجته . ويرى الدكتور كرنيليوس رودز مدير المعهد المذكور ، ان اكتشاف عقار شاف من مرض السرطان قد يتم في خلال السنوات العشر المقبلة هذا ويرأس الدكتور رودز فريقا من علماء الابحاث وهبوا حياتهم لمكافحة السرطان . وقد جرب هؤلاء العلماء حتى الان زهاء ١٠ الاف مركب كيماوي في مكافحة هذا المرض .

● حذر السير جون تشارلز ، كبير اطباء وزارة الصحة البريطانية الاطباء والجمهور من الافراط في الاعتقاد بالمصادفات في ما يتعلق بالسرطان .

ففي تقريره عن انكلترا وويلز لسنة ١٩٥٥ ذكر السير جون تشارلز ان في الاستطاعة اتخاذ المزيد من التدابير بشأن الامرين الاساسيين المشتبه بانهما يسببان سرطان الرئة، وهما فساد الهواء والافراط في التدخين . وقال ان من المفيد التذكير بان بعض انواع السرطان قد قضي عليها واصبحت نادرة الوقوع وانه ليس من الافراط في التفاؤل ان يؤمل في ان تؤدي الابحاث الحديثة مع مرور الزمن الى اكتشاف وسيلة لمنع وقوع الانواع الباقية من السرطان . وقال التقرير في اشارة الى سرطان الرئة ان من الجدير دراسة الاساليب المتبعة في البلاد التي تمنع التدخين في المسارح ودور السينما وحتى في عربات النقل الشعبية .

● قال احد العلماء في طب الاسنان امام جمعية طب الاسنان الاميركية انه ليس هناك ما يدل على ان سرطان الفم قد ازداد بسبب ازدياد التدخين في السنوات الاخيرة .

وقال الدكتور سيمور كريشوفر مدير المعهد الوطني للابحاث في طب الاسنان انه على الرغم من الدلائل الواضحة الحاسمة على ان التبغ يؤثر على اغشية الفم فانه ليس هناك اي دليل على ان سرطان الفم قد ازداد بنسبة ازدياد التدخين في السنوات الاخيرة كما هي الحال في سرطان الرئة .

● بدات مستشفيات بريطانيا الان تستخدم معدن الكوبالت ذي النشاط الاشعاعي الذي يتم انتاجه في هارول في ميدان معالجة الامراض المستعصية وبينها السرطان وذلك على مسافة بعيدة . وبالاضافة الى ذلك فان مركز هارويل يمون مستشفيات اوروبا بهذا العنصر ومستشفيات عالمية اخرى . ولقد تم تدشين وحدة جديدة ذرية على الكوبالت وتعرف باسم كوبالترون في عيادة لندنية وتحدث السرجون كوكروفت مدير مركز الابحاث الذرية في هارويل لهذه المناسبة فقال: ان الكوبالت هو من اهم عناصر الايزوتوب او النظائر وهوجد رخيص بالنسبة لاثمان الراديوم العالية .

● استطاع جراحان اميركيان « تعزيل » الشرايين المسدودة لاول مرة في تاريخ الجراحة. ويقول الجراحان وهما الدكتور تشارلز بايلي استاذ الجراحة الصدرية في كلية هانمان الطبية والدكتور انجيلو ماي من مستشفى زبون في سان فرنسيسكو انهما استطاعا « تعزيل » الشرايين التي تغذي عضلة القلب نفسها بالدم . وقد اجريت هذه العملية الجراحية التاريخية لمريضين بانسداد شرايين القلب في مدة اسبوعين . واستعملت في هذه العملية آلة جراحية دقيقة ادخلت الى القلب عن طريق الشرايين حيث استطاع الجراحان بواسطتهما ازالة التجمعات الدهنية التي تسد مجاري الشرايين وتسبب النوبات القلبية . وبعد العملية ازداد اندفاع الدم الى الشرايين وتحسنت حالة القلب .

● توصل طبيبان من مستشفى المحاربين القدماء في بتسبرغ الى ايجاد طريقة بسيطة للفحص يعتقدان انهما يستطيعان بواسطتها انقاذ حياة الكثيرين ممن يشكون من تشمع الكبد ، وذلك عن طريق منع حدوث النزيف القاتل . ويشتمل هذا الفحص على قياس ضغط الدم في الطحال مما يدل مسبقا على امكانية حصول النزيف . وعندها يستطيع الاطباء تخفيض الضغط وذلك بفصل الوريد الكبدي ووصله راسا بالوريد الكبير المنحدر من القلب .

● ان تخمة المعدة قبل النوم ينتج عنها الاصابة بالكابوس وقد اعلن ذلك طبيبان احدهما امريكي والاخر من الفيليبين بعد قيامهما بدراسة وافية لهذا المرض اثر انتشاره في الفيليبين وقد ذكر الطبيبان انهما بدءا السير في الطريق الموصلة الى معرفة اسباب مرض الكابوس الذي اودى بحياة ثلاثة عشر شخصا خلال الشهرين الاخيرين في الفيلبين . وقد ثبت للطبيبين ان الوفاة بهذا المرض تنجم عن اصابة حادة في البانكرياس وقال الطبيب الفليبي انه قام بتشريح اكثر من اربعين ضحية اصيبت بهذا المرض فتبين له ان حدوث نزف شديد في البانكرياس سبب الوفاة بمرض الكابوس ، ويعزو الطبيبان هذه الحالة الى اتخام المعدة بالطعام قبل النوم مباشرة،ويعتقد ان الطعام غير المهضوم ربما كان السبب في حدوث فتق في الاوعية الدموية في البانكرياس .

● لفت مقال نشره العالم الالماني المعروف في ابحاث الاوبئة البروفسور ايريش مارتيني في مجلة ناتور فيسنشافتليشن روندشاو الالمانية العالمية الانظار الى ان تلوث الهواء ببعض المواد ياتي بالخير العميم على كثير من الاصقاع الكبرى في القارة الاوروبية . وذكر هذا البروفسور بان عددا لا يستهان به من مناطق اوربا الوسطى كان يخلو حتى الان من المرض الذي يحدث تضخما في الغدة الدرقية بين السكان بفضل قيام بعض الصناعات هناك ببث سحب اليود في الهواء وهي المادة الوحيدة التي تقضي على هذا المرض .

وقد كان من المعروف حتى الان بان مرض الغدة الدرقية يعود الى عدم كفاية كميات اليود التي يتناولها جسم الانسان . وهذا ما يمكن اسناده بصورة غير مباشرة الى قلة وجود اليود في الماء والاشجار التي يستعملها الانسان في تغذيته . ومنذ ان عمدت الحكومة السويسرية قبل عشرات السنين الى اضافة مادة اليود الى ملح الطعام الذي يستهلكه السكان السويسريون تلاشى هذا المرض بينهم تقريبا بعد استفحاله قبلا فيهم . كما تلاشت بذلك عواقب هذا المرض التي تؤدي الى الخبل وفقدان النطق والسمع . واصبح اليوم في امكان الحكومة السويسرية زيادة عدد افراد جيشها بهذه الواسطة واضافة فرقة كاملة اليه بعد استخدامها اليود في الطعام وصيانة سكانها من مرض تورم الغدة الدرقية. وتقول الاوساط الطبية بان هذا المرض كان يتوقع له انتشار اكبر من الان في البقاع الاوربية الاخرى لو لم يكن هناك مؤسسات منتشرة على طول شواطىء فرنسا الشمالية واسكتلندا على الاطلسي تقوم منذ مدة طويلة باستخراج مادة اليود هناك من البحر فمنذ ما ينوف على مائة عام تجري في هذه البقاع عملية استخراج كميات كبيرة من الاعشاب البحرية لاستخلاص ما فيها من مادة اليود . ومن جراء هذه العملية تنتشر كميات كبيرة من اليود في الهواء الذي ينساق مع السحب والرياح الغربية الى داخل القارة الاوروبية ويتساقط فوق اراضيها داخل ذرات المطر . ومن هناك تأخذ هذه المادة طريقها من المياه الجوفية واراضي الحقول والنباتات ولحوم الحيوانات الى جسم الانسان فتحصل فيه المناعة ضد تمرض الغدة الدرقية ولعل في تلوث الهواء

بمادة اليود حسنة تعوض بعض الشيء الاضرار الناشئة في اوروبا من تلوث طبقات الهواء بسحب الادخنة التي تلفظها مصانعها وسحب الاشعاعات الذرية التي تنشر فيها الخطر على حياة السكان . ولا بد ان انتشار المرض المذكور في البلاد الاوروبية في الماضي كان اكثر بمراحل قبل عمليات استخراج اليود على السواحل الاوروبية الواقعة في المحيط الاطلسي .

● عكف طبيب ايطالي على دراسة خصائص الملفوف (الكرنب) مستعينا باراء العلماء السويسريين والامريكيين فافضت الدراسة الى ان عصير الملفوف فعال جدا في حالة اصابة المعدة بقروح وينصح الطبيب بتناول حساء الملفوف على الطريقة الريفية . ويرى بعضهم ان للموز خصائص متشابهة .

● يذهب طبيبان فرنسيان الى انه في حالة عدوى الجدري من الممكن تلقيح النساء الحاملات ، اذ ان جرثومة التلقيح لا تخترق الحاجز الذي تشكله البلاسنتا ، ولا يلحق اي خطر بالحاملات ، غير انه يمتنع عن تلقيح النساء الحاملات المعرضات للاجهاض او الولادة المبكرة .

● يقوم الطب باستخدام العلوم الذرية في مجال واسع . فقد قام جراحان سويديان بعملية حقن ثدي مصاب بالسرطان بواسطة انذهب المشع وقد استطاعا باجهزة المراقبة ان يكتشفا وجود اذران خطرة لم يكن يتيسر لهما اكتشافها لولا هذه الطريقة الحديثة .

● تقدر الوصفات الطبية في استعمال المخدرات المسكنة ب ٣٥ مليون وصفة في الولايات المتحدة . وهذا الرقم يدخل الرعب الى علماء النفس فهم وان كانوا مرتاحين الى دواء ناجع في مداواة مرضاهم غير انهم لا ينصحون الناس المعافين باستعمال المخدرات المسكنة لتهدئة اعصابهم في خضم الحياة اليومية .

● حين تتولد الاكزيما عن حساسية المريض حيال دواء ما فاول شيء يجب القيام به هو الاستغناء عن الدواء . وهذا ما يكفي غالبا للقضاء على الداء . ولكن يحدث احيانا ان تستمر الاكزيما وتتطور وسبب ذلك ان المريض بحساسيته حيال الدواء اصبح ذا حساسية حيال النور . وفي مثل هذه الحالات يجب الانزواء عن النور من ثمانية ايام الى خمسة عشر يوما حسب تأصل الداء .

● يصاب بعض الناس بازمة ربو حين يجدون انفسهم امام حوض فيه اسماك حمراء وليس الذنب من هذه الحيوانات بل ان مرد سبب الازمة يعود الى براغيث الماء وهي الغذاء الذي يوزع على الاسماك بوفرة وترى منتشرة في الهواء وعلى السجاجيد وعلى الثياب نفسها .

● يعالج اخصائي روسي داء السعال الديكي (الشهقة) بواسطة الثوم اذ انه يقشر الفصوص ويحمل المريض على شمها عدة مرات في اليوم . وقد اعطت هذه الطريقة نتائج باهرة .

● تكللت بنجاح التجربة التي قام بها العالمان لوسي وهورلي في المعهد البحري للابحاث الطبية في ولاية ماريلاند بالولايات المتحدة . فقد نجح العالمان في تلقيح عشرة كلاب بارجلها بعظام الفئران والبقر . وقد نجح اللقاح في حين ان المتعارف عليه ان لا ينجح اللقاح اذا كان ماخوذا من جسم غريب عنه لان الكائن الملقح سريعا ما يبدأ جسمه بتوليد مواد دفاعية تقضي على الجسم الغريب الذي لقح به .

وهذا يصح في تلقيح العظام فتبدأ المقاومة ضد المواد والاجسام الدهنية والبروتينية وسائر المواد العضوية لقطعة العظم الغريبة . وقد تمكن الطبيبان المذكوران من التغلب على ذلك بتلقيحهما عظاما جردت تماما من كل المواد العضوية . فقد بللوا قطع العظم المنوي التلقيح بها في مادة (الايتلين ديامين) ثم في الكحول الصافي . فلم يعد يبقى بعد ذلك غير العظم بمعناه المجرد ، فلقحوا عندئذ به قصبة رجل الكلاب ثم اخضعوا هذه الكلاب بعد ذلك الى حقن بمادة اشعاعية تتجمع في المناطق التي يبدأ فيها نمو الغشاء العظمي الجديد . وقد دل عداد (جيجر) على ان جميع اللقاحات كانت ناجحة تماما . وان تطبيق هذه الطريقة ، في الطب الانساني ستكون ذات فائدة عظيمة .

● اصدرت اليابان قانونا عام ١٩٤٨ يجيز العقم للنساء . وفي عام ١٩٥٠ قررت احدى عشر الف يابانية الاستفادة من هذا القرار . وقفز الرقم في عام ١٩٥٣ الى اثنين وثلاثين الفا . ويقدرانه عام ١٩٦٠ سيكون في اليابان عدة مئات الالاف من النساء العاقرات . وبذلك تنقص الولادة الى ان تبلغ حوالي المليون . والاسباب الاقتصادية هي التي حدت بالنساء بصورة خاصة الى الاقدام على مثل هذا التصرف .

● اعلن الدكتور دافيد لويس في اجتماع جمعية اطباء القلب الاميركية في ولاية اوهايو عن جهاز مبتكر جديد لتشخيص امراض القلب وهو يعين الاطباء في سماع لفظ القلب والاصوات الخافتة المختلفة وتحديد مصدرها مباشرة . ويقول الدكتور لويس ان هذا الجهاز يعمل بدون حاجة الى سماعة الطبيب المألوفة ذلك ان الميكروفون ينقل الاصوات الصادرة من القلب الى سلك « كابل » متصل بـ « فونو كرديوجراف » يتولى تسجيل اشارات القلب .

● كون معهد الابحاث العلمية لنباتات العقاقير والعطور في موسكو تركيبا طبيا جديدا يدعى هيمالين . والهيمالين هو وسيلة هامة لمعالجة قرحة المعدة والامراض المعوية والربو . وهذا التركيب الجديد مستخرج من نبات يدعى سكوبولي ، جلب الى الاتحاد السوفياتي عام ١٩٢٩ من هملايا . وقد اتخذ التركيب الجديد اسم هيمالين نسبة الى اسم البلد الاصلي للنبات . وقد جرت تجربة هذا الدواء الجديد في العديد من المؤسسات الطبية في موسكو . وقد عادت الصحة الى اغلبية المرضى الذين عولجوا بهذا الدواء . وقد صدق دواء الهيمالين بقرار من وزارة الصحة العامة في الاتحاد السوفياتي لتجربة واسعة من المعالجة الطبية .

● اعلن علماء معهد الولايات المتحدة لامراض القلب عن ابتكار طريقة جديدة لقياس طاقة القلب الدافعة ، وهذه الوسيلة قد تمكن الاطباء من معرفة ما اذا كان مرضاهم سيصابون بامراض قلبية قبل ظهور الاعراض المرضية بوقت طويل . كما انها تمكن الطبيب ايضا من قياس طاقة القلب المريض حتى يحدد

لصاحبه مقدار العمل الذي يستطيع ان يؤديه دون ان يجهد قلبه المعلول . وفي هذه الطريقة ، يعمد الاطباء لقياس القوة التي يدفع بها القلب الدم خلال شريان الاورطي الى الشريانات الصغيرة الاخرى بادخال انبوب من البلاستيك في احد شريانات الساق ودفعه الى الاورطي . والاورطي ، كما هو معلوم ، هو الشريان الكبير الذي يتفرع من اعلى القلب لتغذية الجسم كله بالدم . فاذا بلغت الانبوبة الاورطي سجل صمامان بداخلها تذبذب ضغط الدم بين نقطتين في الاورطي اثناء عملية الضخ التي يقوم بها القلب . وهذا الاختلاف يسجله جهاز كهربائي خاص ، ومن السجل يستطيع الطبيب ان يقرر مدى قوة القلب وتحمله .

بشرى نزفها لملايين المرضى بالبول السكري. فقد نشرت المجلة الطبية الامريكية (مديكال جورنال) مقالا عن طريقة جديدة لعلاج هذا المرض تتلخص باعطاء المريض غذاء يتالف من كميات كبيرة من البروتينات ونسبة ضئيلة من المواد الدهنية ، وعقارا على هيئة اقراص تحتوي على املاح الصفراء واربعة انزيمات هاضمة مستخرجة من معد الحيوانات وبانكرياساتها . وهذه الانزيمات الاربعة هي « البيبسين » (ويستخرج من المعدة) ، وال « تريبسين » ، وال « اميليس » وال « ليبيس » التي تستخرج من البانكرياس وهذه الانزيمات ، بالاضافة الى املاح الصفراء تساعد على هضم العناصر الاساسية التي يتالف منها الغذاء وهي : البروتينات ، والمواد الدهنية ، والمواد السكرية والنشوية . وتصنع هذه الاقراص شركة روبنز المساهمة بمدينة رتشموند ، فرجينيا ، وتباع بالاسم التجاري : « انتوزيم Entozyme » .

وبقول مقال المجلة الطبية المذكورة ان هذا العلاج جرب على ١٤ مريضا ، فزالت حاجة اربعة منهم الى الانسولين ، وهبطت حاجة الباقين الى هذا العقار بنسبة تتراوح بين ٣٠ و٨٠ في المئة .

وقد وضع الدكتور برتراند اونيستاين ، مكتشف الطريقة ، نسب الغذاء التالية لمرض السكر : السعر الحراري اليومي للاغذية : ١٥٠٠ ويمكن الحصول على هذا السعر بتناول غذاء يتالف من المواد التالية : ١٥٠ غرامامواد سكريةونشوية (كاربوهايدرات) ١٢٠ــ١٢٥ غراما مواد بروتينية و٤٥ــ٥٠ غراما فقط من المواد الدهنية .

● يقول البرتو تامانيو ان القدم اصدق من الكف في معرفة المستقبل لان كيان الانسان يعتمد عليها في غدوه ورواحه ومن اجل ذلك ابتكر طريقته على اسس علمية ايده فيها جراح الماني ويدعي ان طريقته المبتكرة نجحت في مساعدة المرء على معرفة المستقبل حتى يقدر لرجله قبل الخطو موضعها ...

● يقوم مركزان عاليان في كاليفورنيا باعداد مشروعين هائلين للبحث في اسرار ومعميات الدماغ الانساني . وقد منحتهما مؤسسة فورد الامريكية زهاء مليون دولار لهذا الغرض . وسيقوم احد هذين المشروعين ببحث العلاقة بين العته العقلي وكيمياء الجسم الانساني . وسيقوممعهد كاليفورنيا الفني في « بسادينا » بالاشراف على هذم البحوث . اما المشروع الثاني فسيبحث الروابط بين السيكارجي والفزيولوجي وبصورة خاصة سيبحث كيفية سيطرة بعض اجزاء الدماغ الانساني على الافعال الانسانية وستقوم كلية الطب في جامعة لوس انجلس في كاليفورنيا بالاشراف على ذلك . ومن المؤمل ان تسفر هذه البحوث عن معالجة العته العقلي بواسطة عقاقير خاصة منذ الولادة ، بعد اكتشاف العوامل الوراثية لهذا العته . ولقد كشفت الدراسات الاخيرة بهذا الشان ان هناكعلاقة ما بينالانحرافاتالعقليةوالفزيولوجي ولكن هذا البحث ما زال بعيد الغور بالنسبة للمعرفة الان . وسيركز المعهد الفني في كاليفورنيا دراساته حول نقطة « الاخطاء الوراثية » في كيمياء الجسم البشري المتسببة من الجزئيات الشاذة والمعروف ان الجزء الواحد هو اصغر اجزاء المادة الذي يتكون من مجموعة من النوى ، وا نالجزء هو الذي يعطي خصائص المادة . وسيدير هذه المباحث العلمية الخطيرة الدكتور « لينوس بولنغ » حامل جائزة نوبل لاكتشافاته الهامة في موضوع الكيمياء الحيوية ، وانه يعتبر حجة في بناء الجزئيات في الانسجة الحيوية . ويقول « الدكتور بولنغ » بان هناك حالات عديدة من النقص العقلي لا بل معظمها ــ انما يرجع سببها الى الشذوذ في جزئيات « الجينات » المورثة ، وان هذه « الجينات » ابنية عضوية ميكروسكوبية وهي التي تورث الخصائص من جيل الى جيل .

● يؤكد كثير من الاطباء الاختصاصيين في علاج الامراض العقلية ان الموسيقى من افضل الوسائل لمعالجة المجانين .

وقد ادلى احدهم اخيرا بتصريح قال فيه : لو خصصنا في كل مصحة للامراض العقلية قسما خاصا بالموسيقى ، يديره اختصاصيون مدربون يعرفون مدى تأثير الموسيقى في النفوس لكان ذلك علاجا مفيدا للمرضى .

وهذا هو ما اخذ به فعلا احد مديري المستشفيات الحكومية في مدينة مانهاتن ، فقد عمد الى عزل فئة من مرضاه ومراقبة تأثير بعض الادوار الموسيقية المختارة في عقولهم المضطربة ، فكانت النتيجة ان شفت الموسيقى كثيرا منهم . وقد نظم مدير اخر فرقة من الاوركسترا تعزف انغامها للمرضى في اوقات الطعام فكان تأثير الموسيقى في هؤلاء المرضى المصابين بمختلف الامراض العقلية بالغا ابعد الحدود .

ويعتقد المشتغلون بمسائل العلاج النفسي ان المعالجة بالموسيقى تعتمد على الصلة الوثيقة بين التركيب العضوي في جسم *الانسان والانغام المنظمة وان تأثيرها يتصل* بميكانيكية العقل لانها تؤثر في اجزاء المخ التي تعتبر مركز الاحساس والانفعالات .

ومنذ عامين قام احد اساتذة الموسيقى بسلسلة من التجارب باحد المستشفيات الخاصة بالمجانين في شيكاغو ، فعزف طائفة من الاغاني والادوار الايطالية امام امرأة مريضة كانت ترفض ارضاع طفلها فظلت جامدة لا تبدي أقل تأثر بنغمات البيان حتى بدأ الموسيقار يعزف قطعة معينة فلم تلبث ان تنبهت لدى سماعها وعادت ترضع وليدها وتعنى به . وحدث ان فتاة ايطالية ظلت ممتنعة عن الكلام ثلاثة اشهر ولكنها لم تلبث بعد سماعها قطعة موسيقية معينة ان تمالكت اعصابها وعادت الى الكلام .

واصيب رجل بالعمى من اثر « هستيريا » حادة عقب وفاة زوجته ، فاستدعي لعلاجه موسيقار معروف عزف له لحنا مغرما طلبه بنفسه فلم تمض ثلاثة ايام حتى هدأت اعصابه وانكشف بصره . هكذا يتبين ان للنغم تأثيرا مختلفا في حالات المرض لما تحدثه في الدورة الدموية بالمخ وغيره من اجزاء الجسم .

● اذاعت وزارة الزراعة الاميركية خبر اكتشاف محلول كيماوي ترش به الاثمار فيمنع تساقطها قبل نضجها . والمعروف ان ٢٠ في المائة من محصول الاثمار كان يتساقط قبل تمام نضجه فاذا بهذه النسبة تنخفض الى ٦ في المائة اذ تصبح بعد الرش اقوى على مقاومة الرياح والعواصف التي تتعرض لها الاشجار المثمرة .

● تمكن الخبراء الزراعيون العاملون في وزارة الزراعة الاميركية من اكتشاف رشوش جديد يقضي على الاعشاب والحشائش الضارة برشها به مرة واحدة ، كما اثبتت ذلك التجربة التي اجريت على مثل هذه الحشائش من قبل المختبر الزراعي في مونت كرمل في ولاية كنتيكت . والمحلول الجديد يعرف عندهم بـ (امينو تريازول) وقد جرى اختباره عام ١٩٥٥ فقضى على هذه الحشائش قضاء تاما واتى بنتائج باهرة .

● بالرغم من الابحاث العلمية الدقيقة التي قام بها خبراء الزراعة والنباتيون وغيرهم ممن

يهتمون بالكشف عن تاريخ بعض النباتات ومراحل تطورها عبر التاريخ ، فقد وقفوا حيارى امام اصل الذرة الصفراء التي تدخل اساسا في تغذية الانسان والحيوان . ويبدو من هذه الابحاث ان معظم البقول والحبوب الغذائية مرت بمراحل تطورية منحدرة من اصول قديمة باستثناء الــذرة منهـا . فالاختبارات العلمية التي اجريت للان حول وسائل استنبات الذرة وتأصيلها لم تفد شيئا في حل اللغز حول اصل النبات مع التسليم بان هذه التجارب ادت الى تحسين عروقه كما ونوعا . ولما جاء المعمرون الاوائل من اوربا الى امريكا وجدوا ان الهنود الحمر فيها يستخدمون الذرة في طعامهم . الا انه كان من المستحيل عليهم ان يتوصلوا الى معرفة اصل منابته الاولى ، اذ لم يعرف ان الذرة تنبت بريا في اي جهة من العالم قط .

● صنعت شركة اسو للابحاث والهندسة اول اطار لعجلات السيارات من المطاط الصناعي . وهذا النوع من المطاط ، ويعرف باسم بيوتيل butyl مصنوع من الغازات التي تتصاعد من عملية تكرير النفط . اما الاطارات المستعملة فهي مصنوعة من مزيج من المطاط الطبيعي والمطاط الصناعي المعروف باسم (GR.S) و« بيوتيل » هي المادة التي تصنع منها جميع اطارات السيارات الداخلية منذ الحرب العالمية الثانية . ويقال ان طاقة احتفاظ الاطارات المصنوعة من هذه المادة للهواء تعادل عشرة امثال طاقة الاطارات الاخرى ، سواء أكانت مصنوعة من المطاط الطبيعي او الصناعي . وقد دلت تجربة هذه الاطارات الجديدة المصنوعة من مادة البيوتيل على تفوقها على انواع الاطارات الشائعة الاستعمال الاخرى . ومما تمتاز به الاطارات الجديدة مقاومتها لعوامل الجو والتفاعلات الكيماوية التي تسبب تشقق انواع المطاط الاخرى : وانتفاء الصرير في المنعطفات . وتقول شركة اسو ان التجارب قد دلت ايضا على ان السيارات المزودة باطارات مصنوعة من هذه المادة يمكن ايقافها باسرع مما يمكن ايقاف السيارات المزودة بانواع الاطارات الاخرى ، سواء على ارض الشوارع الجافة او المبتلة . وقد اخترع مادة البيوتيل هذه وليم سباركس وروبرت توماس عام ١٩٣٧ ، وكلاهما من موظفي شركة اسو للابحاث وهي احد اقسام شركة ستاندارد اويل بنيوجرزي. وقد انفقت الشركة منذ ذلك الحين ما يزيد عن ١٣ مليون دولار في ابحاثها وتجاربها على هذه المادة .

● تمكن احد المهندسين ممن يعملون في شركة الجبن الوطنية للساعات من اختراع بطارية لا يزيد حجمها عن حجم زر صغير ، تركب في سوار ساعة يد . والجهاز الجديد يولد طاقة كهربائية لمدة سنتين بدون انقطاع قوتها فولط وربع ويمكن تركيب هذه البطارية في جهاز للسمع او في راديو نقال وخلاف ذلك .

● اخترع الخبراء الزراعيون التابعون لجامعة كاليفورنيا في الولايات المتحدة الاميركية ، نموذجا جديدا من الالات الزراعية تستعمل في الاراضي الصعبة التي كانت تبزر من قبل بواسطة الطائرات . ويجري الان اختبار الالة الجديدة في ارض شاقة ، فستمهد التربة وتلقي البذار وتغطيه بعملية واحدة . ويمتاز الجهاز الجديد بكونه يوفر نصف الكمية التي تتطلبها الطائرة في عملية البذار . والالة الجديدة تسير على عجلات ولا يزيد وزنها على طن واحد .

● تنوي الحكومة الاميركية ان تنفق خلال الاشهر الخمسة عشر القادمة نحوا من ٨،٧٥٠،٠٠٠ دولار ، في ٢٥ دولة في الخارج ، تعاقدت معها على انشاء افران ذرية تستخدم للابحاث العلمية في البلاد المذكورة. ويصيب كل دولة من هذه الدول ٣٥٠،٠٠٠ دولار ، وهو نصف كلفة بناء الفرن الذري . وقد تمت الاتفاقات اللازمة مع الشركات الاميركية للمباشرة بانشاء هذه الافران في الدول الاربع التالية ، وهي البرازيل وايطاليا واليابان واسبانيا .

وهذه المساعدة تقدمها الولايات المتحدة الاميركية ، تجيء وفقا لتعهد الرئيس ايزنهاور بتقديم ٢٠ طنا من الاورانيوم من عيار ٢٣٥ توزع على البلدان التي تقرر انشاء افران ذرية فيها . والمعروف ان هذا النوع من الاورانيوم يمكن فلقه بسهولة ويستخرج من الاورانيوم العادي بوسائل دقيقة للغاية .. والكمية الموزعة تستعمل في وجوه البحث العلمي وفي محطات توليد الكهرباء التي تعمل بواسطة الطاقة الذرية .

● اخترعت احدى الشركات الاميركية جهازا جديدا لتكييف الهواء في الطائرات الصاروخية هو من الدقة والصغر بحيث يمكن وضعه في حقيبة يدوية للسيدات . وفي مكنة الجهاز المذكور ان يكيف الهواء في سبعة منازل من الحجم الوسط وسيجري تركيبه في الطائرات النافورية الجديدة من طراز دوغلاس وقد روعي في دقته وصنعه بحيث لا يزيد ثقله عن ثقل الوزن المحدد لحقيبة مسافر بالطائرة.

● استطاع المهندسون الاميركيون الذين يعملون في صناعة السيارات ان يحلوا صعوبة طالما اعترضت سبيلهم في صنع محركات كلها من الالومينيوم . والمعروف ان محركا من هذا النوع يخفف كثيرا من ثقل السيارات وينقص من وزنها . وقد صنع على سبيل التجربة حمامات من الالومينيوم تعمل في اسطوانات من هذه المادة ايضا . وقد ظهر بالاختبار ان قطعا من الالومينيوم تحتك في حركتها ذهابا وايابا بقطعة اخرى مصنوعة من هذه المادة لا تؤمن على الوجه الاكمل عمل المحرك . ولذا رأى المهندسون العاملون في الشركة الاميركية للالومينيوم ان يصفحوا اسطوانات الالومينيوم الداخل بصفائح من الفولاذ تقيها مغبة الاحتكاك وتزيد من متانة الاسطوانة وطاقة احتمالها وهكذا حال العلم دون العقبة التي كانت تحول للان دون صنع محركات من الالومينيوم في السيارات .

● ستتمكن مصانع المطاط في العالم من ادخال تحسينات عظيمة على صنعه وذلك باستخدام مفاعيل الطاقة الذرية لهذه الغاية كما جاء في مجلة الاخبار العلمية . فقد ثبت لدى الخبراء في صناعة المطاط ان توجيه شحنات من الالكترونات بقوة مليونين فولط الى معجون السليكون تحوله فجأة في الحال الى صمغ المطاط فيستغني بذلك عن المواد الكيماوية التي كانوا يعالجون المطاط بها من قبل فتفقده بعض خصائصه . والطريقة الفنية الجديدة تمتاز بكونها تعطي في نحو ثانيتين فقط نوعا جديدا من المطاط ، بينما « فلكنة المطاط » او عملية تقسيته بالكبريت كانت تستغرق من قبل بضع ساعات . واصحاب الاختراع المذكور هم ثلاثة مهندسين يعملون في شركة وستنغهوس الكهربائية . الا

ان الطريقة الجديدة لم تدخل الاسواق التجارية بعد .

● اصبحت منافع الالات التلقائية الاوتوماتيكية تشمل اصحاب البساتين وذلك في شكل « ورقة شجر » الكترونية صممت خصيصا للمساعدة على تفريخ النباتات وتوالدها وتكثيرها وقد استنبط هذه الورقة التي اطلق عليها اسم « اسلوب الضباب الخفيف » العلماء التابعون لجمعية علم فلاحة البساتين الملكية البريطانية وعرضت في معرض الخريف الاخير للجمعية في لندن ويضمن هذا الاسلوب جعل سطح اوراق الشجر في عقلة الزرع محاطة او مغطاة باستمرار بطبقة من الرطوبة مهما كانت الاحوال الجوية . ويحقق هذا الامر عن طريق وضع « ورقة شجر » الكترونية بين عقلات الزرع . ومن هذه « الورقة » ينبعث قطبان كهربائيان وعندما لا يكون هناك ضباب لنقل التيار الكهربائي بين القطبين ينبثق ضباب خفيف من الجهاز حتى يتم تحقيق هذا الاتصال ونظرا لان فقدان الرطوبة عن سطح اوراق الشجر في عقلة الزرع هو مماثل تقريبا لفقدان الرطوبة عن ورقة الشجر الالكترونية فان اوراق العقلات تحمل دائما طبقة من الرطوبة وفي هذه الظروف فان عقلات الزرع التي كان من الصعب مد جذورها في السابق تبين الان ان من الممكن مد جذورها بسهولة .

● ذكر مؤخرا السلاح الجوي الاميركي انه سيبحث نظرية عالم بالبحرية مؤداها انه في الامكان الحصول على طاقة ذرية اشد واعلى ، وذلك من تفجير الذرات « المتناهية البرودة » بدلا من الشديدة الحرارة . وصاحب هذه النظرية هو العالم روبرت كارول البالغ من العمر ٤٠ سنة والذي يعمل مدربا في مركز المختبرات الجوية التابع للسلاح البحري ، في باتو كسنت ريفر بولاية ماري لاند . ونظرية كارول هذه تتحدى الاراء العلمية القائلة ان درجة ٤٥٩٫٦ فرنهايت تحت الصفر ، هي اقل درجة ممكنة . ويشك كارول ايضا في ان تكون سرعة ١٨٦٫٣٠٠ ميل في الثانية هي اعلى سرعة . ويأمل كارول ان تثبت نظريته امكان الوصول الى سرعة اسرع من الضوء ، واستخدام مادة رخيصة ـ يحتمل ان تكون الرمل مثلا ـ كوقود . ويقول انه اذا نجح تطبيق نظريته فانه يمكن التفوق على سرعة سير الضوء بواسطة صاروخ . ويعتقد كارول انه كلما بردت الذرة فانها تصبح اقل نشاطا غير ان الكتروناتها تنجذب صوب مركز الذرة وتضطر للتحرك بسرعة اكثر واكثر . ومن هنا فان نظريته فحواها انه اذا اصبحت الذرة متناهية في البرودة فقد ينشأ عن ذلك اندفاع الالكترونات الى المركز ومن ثم تنفلق الذرة وتتولد عنها طاقة اعلى .

● يقوم اتحاد سكك حديد المانيا الغربية باجراء تجارب على قاطرة لشحن البضائع تسير بالراديو ودون سائق على انه يتحتم على السائق ان يجلس امام جهاز المراقبة في مركز لمراقبة شحن البضائع ويبقى على اتصال بالقاطرة بواسطة اللمس على موجة الراديو القصيرة جدا . ويمكن لذبذبات الراديو ارسال ١٣ جهازا مختلفا من التعليمات الى المحرك بما فيه التغيير بواسطة خمسة اجهزة . ويمكن استعمال الفرامل على اربع مراحل .

● ادلى البروفسور الكسي بوكروفسكي رئيس الوفد الروسي في مؤتمر القذائف والصواريخ المسيرة الذي عقد في باريس بتصريح اعلن فيه ان الاتحاد السوفياتي سيطلق في العالم الجغرافي كوكبا مسيرا واننا نعتقد اننا على مستوى واحد في هذا الحقل مع الولايات المتحدة الاميركية . وقال العالم الروسي ان تاريخ اطلاق هذا الكوكب سيبلغ الى رئيس اللجنة الدولية للمؤتمر الجغرافي الذي يستطيع ان يبلغ الراي العام واشار الى انه يعتقد ان تعاونا في هذا الحقل سيتم بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . واما بشان المدى الذي وصلت اليه الدولتان في حقل الصواريخ المسيرة فقد ذكر العالم الروسي ان الولايات المتحدة تنشر قليلا من الانباء حول هذا الموضوع الا اننا نعتقد ان الدولتين قد وصلتا الى مستوى واحد . وقال ان قواعد قذف الصواريخ والكواكب المسيرة ترتبط بالمراصد الجوية الموجودة في الاتحاد السوفياتي ، كما اعلن انه من الممكن انشاء مثل هذه القواعد في المنطقة الروسية من المناطق المتجمدة .

● اعلن في لندن انه من المنتظر بدء الاعمال في بناء مولد ذري في تينيسايد من اعمال الجزر البريطانية قريبا جدا وقد تألفت شركة كبرى تضم اربع شركات بريطانية مع شركة اميركية . وسيستخدم الفرانيت من النوع العالي الممتاز في هذا المولد الجديد لتخفيف سرعة النيوترونات في الفرن الذري الذي سيتم بناؤه لهذا الغرض . وستنسج الشركة في المحطة الذرية الجديدة على منوال محطة كولدر هول التي تستخدم الفرانيت النقي كمعدل لسرعة النيوترونات التي تطلق في الفرن الذري الذرات اذ ان التحكم بسرعة النيوترونات ضروري للافادة من الطاقة الذرية للسيطرة عليها بصورة مفيدة ومجدية وينتظر ان تبلغ نفقات هذا المشروع بكامله ٦ ملايين استرلينية .

● قامت البحرية الامريكية بالتجربة الاولى للكوكب الصناعي الذي يدور حول الارض فاطلقت لهذا الفرض صاروخا من طراز « فايكنج » من قاعدة الصواريخ العسكرية في رأس كانافيرال بفلوريدا وقد صعد الصاروخ الى ارتفاع ٢٠٠ كيلومتر في الجو وكانت سرعته ٦٤٠٠ كيلومتر في الساعة ثم سقط بعد ذلك على بعد ٢٩٠ كيلومتر من نقطة الانطلاق في المحيط الاطلنطي .

● اعلن ناطق باسم نظارة الخارجية الاميركية بان الطاقة الذرية ستبدأ في غضون خمس سنوات بمزاحمة المحروقات العادية في ادارة محركات ناقلات البترول الكبيرة والسريعة . ويقول السيد ريتشارد غورديون مدير مشروع لبناء السفن الذرية ان الحكومة تدرس الان ستة تصاميم لمحركات ذرية .

● قال الكبتن ايدي ريكمباكر رئيس الشركة الاميركية ايسترن ايرلينز ان الناس بعد ٥٠ عاما سيشاهدون سفن الفضاء وهي تؤمن المواصلات بين مختلف الكواكب بصورة منتظمة ويقول الكبتن ان هذه السفن ستتسع لـ ١٥٠٠ او ٢٠٠٠ شخص وستسير بالقوة الذرية كما ان سرعتها ستبلغ ثمانية الاف ميل .

● تنبأ عالم الماني في الفضاء ان السفر بين الكواكب سيصبح في متناول الكثيرين عام ٢٠٠٠ فقد خطب الدكتور اوجين سانيغر في حفلة افتتاح الدورة الثامنة لمؤتمر الجمعية الالمانية لابحاث الفضاء فقال لن تمضي اربعة عقود الا وتنطلق الصواريخ المسيرة بالرجال وبالقوة الذرية عبر الفضاء بسرعة تزيد على ٦٠٠٠ ميل في الثانية . وتصور سانيغر وجود عدد من المحطات الفضائية تنشأخصيصا للرحلات عبر الاجرام السماوية وتكون تحت تصرف الجميع . وقال العالم الالماني قد تنشأ هذه المحطات في فترة لا تزيد عن عام ١٩٨٠ .

● اعلنت احدى الشركات البريطانية اخيرا انها توصلت الى اختراع الة ميكانيكية يحتمل ان يشتد الطلب عليها في بريطانيا وسائر البلدان الحديثة التطور . والمعروف ان هذه الشركة لم تتوصل الى هذا الاختراع الا بعد اربعة اعوام من البحث والتجربة . وتدعى هذه الالة « مانتيس » وهي من صنع شركة « ماتبرو » البريطانية ومن ميزاتها انها تستطيع تادية مهام ست الات ضخمة . فباستطاعتها مثلا ، ان تقتلع شجرة من جذورها وان تزرع بكل سهولة حقلا كاملا وان تحفر خندقا يبلغ عمقه ١٢ قدما وان ترفع ثقلا معينا الى علو ٢٨ قدما . ومن الاعمال الاخرى التي تستطيع تاديتها رفع الاثقال وحملها من الامام او من الجانب . وكذلك جرف التربة

ونقلها رأسا الى احدى السيارات او ملء احد الخنادق وتغطيته بالتربة وان تحمل رجلاعلى منصة الى ارتفاع ٢٥ قدما لتادية شتىالاعمال وهذه الالة مزودة بالة ضاغطة تمكنها من القيام باعمال الهدم حيث يتعذر استخدام الثقب الهوائي .

وعرضت آلة « مانيتس » على الجمهور لاول مرة في معرض الاشغال العامة والخدمات البلدية الذي عقد في لندن اخيرا . وهي مزودة بمحرك ديزل من طراز فوردسون تبلغ قوته ٤٠ حصانا ومجهز بست غيارات للسرعة الامامية وغيارين للسرعة الى الخلف وهو يقطع مسافة ٢٤ كيلو متر في الساعة ويستطيع الدوران في دائرة يبلغ نصف قطرها ٤ امتار والجدير بالذكر ان جميع الاجهزة تدار من المكان المخصص للقيادة ، كما وان كافة ملحقاتها تفك وتركب من جديد بمجرد سحب مسمارين واعادتهما لمكانهما .

● جهزت مدرسة الطب التابعة لجامعة سان فرنسيسكو ، باكبر جهاز للاشعة السينية في العالم يستعمل في معالجة السرطان . وهذا الجهاز له من القوة بحيث يولد ٧,٥٠٠,٠٠٠ فولط الكتروني ، وهي قوة يستعملها الطب في معالجة الاورام الخبيثة دون ان يلحق أي اذى بالانسجة السليمة القريبة منها . وقام بتمويل هذا الجهاز اللجنة الاميركية للطاقة الذرية ولم يستخدم في معالجة السرطان الا بعد خمس سنوات من التجارب المتنوعة على الحيوانات .

● اعلنت جامعة ميشيغان عن اكتشاف جديد وقع عليه اخيرا علماؤها العاملون بمحطة الابحاث الخاصة ان الالكترونات تقتل جميع انواع البكتريا الموجودة في الالبان مما يجعل بالامكان حفظ الحليب اسابيع بل شهورا في درجات الحرارة العادية دون ان يصيبه اي تلف .

● ستبدأ قريبا اعمال بناء محطة ذرية لتوليد الطاقة الكهربائية لضاحيــة راي نيويورك وستبلغ تكاليف هذه المحطة ٥٥ مليون دولار . ومن المنتظر ان تبدا هذهالمحطة بالعمل سنة ١٩٦٠ وتكفي قوتها لجميع حاجات ٣٦ الف منزل من الطاقة الكهربائية .

● بديء في موسكو بناء اكبر براد في اوروبا . وبامكان هذا البراد ان يسع ٣٦ الف طن من مختلف المنتجات ، بينما لا يسع اضخم براد في باريس سوى ٢٢ الف طن . ولقد وصلت الاعمال في هذا البراد حتى الان الى تركيب الطابق الخامس فيه .

● وافق مجلس مدراء شبكة « نيو انفلاند» الكهربائية على بناء محطة ذرية ثانية لتوليد الطاقة الكهربائية . وصرح السيد ارديـن مور رئيس الشبكة التي تدير اكثر محطات توليد الكهرباء في الولايات الست التي تتالف منها « نيو انفلاند » صرح بقوله ان المحطة الجديدة ستكون قوتها مئتي الف كيلوات او اكثر . ويجري الان بناء المحطة الاولى في محلة « رو » بولاية « ماساتشوستس »وقوتها ١٣٤ الف كيلوات وستبدأ العملسنة ١٩٦٠.

● جرى في مرفأ يوكوهاما انزال اقسام جهاز تفاعل ذري للابحاث وهذا هو اول جهاز ذري يجري تركيبه في الشرق الاقصى . وقد بنت الجهاز المذكور شركة صناعية اميركية وقوته ٥٠ كيلوات وهو مخصص للابحاث الطبية وغيرها . ومن المنتظر الانتهاء من تركيبه في شهر مارس المقبل في قرية طوكاي الواقعة على بعد ١٢٠ كيلو متر من شمال شرقي طوكيو .

● ذكرت المجلة العلمية السوفياتية انالاتحاد السوفياتي سيقوم بانشاء اربعين مطاراضخما من النوع الدولي لتكون جاهزة لاستقبال الطائرات النفاثة الضخمة التي تتسع لمئة وثمانين راكبا والتي يصار الى صنعها في الوقت الحاضر . وتضيف المجلة قائلة ان خمسا او ستا من هذه الطائرات الجبارة ستتمكن من الحلول مكان القطارات السريعة التي تسافر يوميا من موسكو الى فلاديفوستوك قاطعة القارة الاسيوية باكملها .

● تضمنت احدى نشرات مصلحة الارشاد والتعليم الزراعي الاميركية مقالا كتبه المستر هارولد غندرسون الخبير بالحشرات جاء فيه ما يلي :

ان المركبات الكيميائية التي تنتجها الشركات ذات السمعة الطيبة يمكن استعمالها دون خوف . ذلك لانه قبل ان يعمم استعمال مركب ما على نطاق واسع يخضع ذلك المركب لتجارب متعددة لتقدير قيمته وكفاءته وخبرته ايضا ثم يتوجب ان يفوز ذلك المركببموافقة دائرة الاشراف على العقاقير والاطعمة في وزارة الصحة الاميركية . والمعروف عن هذه الادارة انها تضع قيودا شديدة على استعمال المركبات الكيميائية في معالجة المواسم والمواشي ، والناس . هذا ما قاله الخبير هارولد غندرسون وربما يحتاج القول الى شيء من الاستدراك . فمثلا علينا ان نحرص دائما على التقيد بالارشادات المدرجة على الصندوق او الزجاجة التي تحتوي المركب وان نستشير الخبراء في الرش واستعمال مبيدات الحشرات قبل ان نقدم على ذلك . وكذلك لا يغرب عن الذهن ان مبيدات الحشرات قد تقتل الحشرات الضارة والمفيدة في الوقت نفسه وخصوصا النحل . وهنالك السموم التي توصف لقتل الفئران والجرذان وفيها خطر على الدواجن وعلى القطط التي تاكل السم او التي تاكل الفارة المسمومة . وخلاصة القول ان مبيد الحشرات يفترض ان يكون مامون الاستعمال اذا جرى استعماله بحسب التعليمات وعلى يد خبير ، شان كثير من السموم الاخرى .

● ابرقت كاسرة الجليد الاميركية التابعة لسلاح البحرية والمسماة « غلاسيار » ابرقت انها شاهدت اكبر جبل من الجليد العالم على بعد ١٥٠ ميلا غربي جزيرة « سكوت » في المحيط المتجمد الجنوبي . يبلغ طول هذه القطعة ٢٠٠ ميل وعرضها ٦٠ ميلا . وكانت اكبر قطعة شاهدها الانسان حتى الان هي تلك التي ابلغت عنها سفينة نروجية سنة ١٩٢٧ في نفس المكان تقريبا ويبلغ طولها مئة ميل فقط .

● قال وزير التموين المصري لقد نجحت تجربة انتاج الخبز بنسبة ٢٥ ٪ من دقيق البطاطا البيضاء الخالية من المواد السكرية..

وقال ان امل وزارة التموين في المستقبل هو تنفيذ هذا المشروع الذي يوفر استيراد ٢٥٠ الف طن من القمح سنويا اي حوالي ١٠ ملايين جنيه .

● تقرر البدء في تنفيذ مشروعات التوسع الزراعي وزيادة الانتاج الحيواني ، في الواحات الداخلة والخارجة لمصر وستقام مراع واسعة لتربية الضان والاغنام لمد البلاد بحاجتها من الماشية وتشترك وزارات التموين والزراعة

والاصلاح الزراعي في تنفيذ مشروع المراعي بالواحات هذا وقد سافرت الى الواحات لجنة فنية لدراسة هذه المشروعات .

● ينتظر ان تبدأ وزارة الاشغال المصرية قريبا في تنفيذ المشروع الخاص بتجارب المياه الجوفية في الدلتا ، في المنطقة الواقعة عند نهاية ترعة النعناعية بالقرب من كفر الزيات ، حتى اذا ما ثبت نجاحها ، عممت على نطاق واسع ، لتوسيع رقعة الارض الزراعية ، الى ان تتم المشروعات الكبيرة الخاصة بالتخزين الدائم .

● طلبت الشركة الامريكية صاحبة امتياز البحث عن البترول في صحراء مصر الغربية ، الى الجهات المسئولة في القاهرة ، ان تسمح لها باستئناف العمل فورا في ابار التنقيب التي توقف العمل فيها عند استدعاء كبار رجال هذه الشركة مع الرعايا الامريكيين للسفر الى بلادهم قبل العدوان البريطاني الفرنسي الاسرائيلي على مصر وقد وصل الى القاهرة مدير هذه الشركة وكبار المسئولين فيها لمواصلة العمل في البحث الذي يبشر بزيت كثير في صحراء مصر الغربية .

● صرح مصدر رسمي في وزارة الاقتصاد الاردنية بان شركة « ادوين بولي » صاحبة امتياز التنقيب عن البترول قد استانفت اعمال التنقيب في منطقة تقع شرقي بلدة الزرقاء القريبة من عمان ، وان الشركة تتوقع ان تفرغ من التنقيب في هذه المنطقة خلال شهر واحد نظرا لتوفر الدراسات الوافية لديها بهذا الشان . وقال المصدر ان المعدات التي ستستخدمها الشركة في حفر الابار العميقة ستصل الى الاردن خلال شهرين .

● افضى السيد صلاح النجداوي مدير شركة حديد عجلون بتصريح اكد فيه وجود الحديد في جبال عجلون بكثرة كبيرة تصلح للافادة منها تجاريا . وذكر السيد النجداوي ان شركة حديد عجلون قد تلقت عروضا كثيرة من شركات المانية واميركية وبريطانية لاستثمار الحديد الاردني . ولكن الشركة تفضل ان تتولى هي استغلاله على اساس اردني بحت .

● من المنتظر ان يبدأ العراق في السنة المقبلة بانتاج مواد كيماوية مثل المطاط الاصطناعي ومحروقات الحركات النفاثة وغيرها من المواد وذلك من كميات الغاز الطبيعي الهائلة التي تنفثها ابار الزيت في كركوك . والمعلوم ان تصاميم هذه الصناعة الجديدة قد لقيت موافقة مجلس الاعمار . وتشتمل هذه التصاميم على بناء مصنعين للمنتجات الثانوية احدهما في كركوك والثانية في مصفاة الدورة الواقعة بالقرب من بغداد والتي تشرف عليها الحكومة العراقية . كما سيبنى في كركوك مصنع لاستخراج الكبريت وتستعمل جميع هذه المصانع الغاز الطبيعي مادة اولية . وستكلف المرحلة الاولى من هذا المشروع حوالي ١٤ مليون دولار يقدمها مجلس الاعمار العراقي الذي يحصل سنويا على ٧٠ بالمئة من واردات الزيت العراقية .

● اعلن مرصد جامعة هارفر الاميركية ان عالمين فلكيين بلجيكيين اكتشفا مذنبا جديدا وهو ثامن نجم مذنب يكتشف هذا العام . وقد اكتشف المذنب الجديد في ٦ نوفمبر الماضي واطلق عليه اسم « ارائد رولاند » نسبة الى العالمين اللذين اكتشفاه ، اما اسمه الجغرافي فهو (١٩٥٦ — ﻫ) .

● عاد الى العراق البروفسور رالف سوليكي الذي كان قد اكتشف في عام ١٩٥٣ « طفل شانيدار » وهو جمجمة عمرها ٧٥٠٠٠ سنة ، عاد هذا العالم الى المكان الذي اكتشفت فيه الجمجمة في شمالي العراق للقيام باكتشافات جديدة . وقد رافقت البروفسور سوليكي من معهد سنسونيان في واشنطن زوجته الدكتورة روزوليكي ، وتركا بغداد هذا الى شانيدار برفقة ممثل عن المديرية العامة للاثار في العراق وقد صرح البروفسور سوليكي انه يأمل في رحلته العلمية الحالية ان يكتشف بعض آثار اخرى من جماجم تلقي ضوءا على بعض معلومات هامة جدا حول حياة الانسان الاول في العراق كما انه يأمل ان يكتشف بعض رسوم يعود تاريخها الى العصور الحجرية الاولى .

● اكتشفت في شمال سوريا وفي منطقة الحسكة صدفة جرة مملوءة بالنقود الذهبية والفضية . وقد تسلمت مديرية الاثار هذا الكنز وهو يحتوي ٣٤٠ قطعة ذهبية وفضية من الحجم الكبير يعود تاريخها الى العهود الاسلامية الوسطى في عهد الملك الناصر . ووجد في الجره بعض النقود الفارسية في حالة سليمة . وقد عثر على هذا الكنز صدفة حين كان عمال البلدية يقومون بحفر مجار في المدينة .

● عقدالدكتور عزيز صدقي ، وزير الصناعة المصرية مؤتمرا صحفيا تحدث فيه عن التقارير التي بعثت بها البعثات الجيولوجية وكانت الوزارة قد اوفدت قبل شهر عشر بعثات جيولوجية في مختلف انحاء الصحراء الغربية الشرقية ، للبحث عن مواطن الثروة المعدنية في مصر ، وقد تلقت الوزارة تقارير من ثلاث من البعثات .

ففي جبل « عليه » ، في الصحراء الشرقية نجحت البعثة على العثور على نوع ممتاز من خام المنغانيز . والتقدير الاول هو وجود عشرة الاف طن من هذا الخام . كما اكتشفت خام الكروم في ١٣ عدسة ، وتقدر قيمة كل عدسة بحوالي ٤٥ الف جنيه ، اي ان المجموع ٦٠٠ الف جنيه . واكتشفت ايضا نوعا ممتازا من الحديد الخام ، ولم تقدر بعد الكميات المنتظر وجودها في تلك المنطقة .

وفي جبل « قطار » بجانب الغردقة في الصحراء الشرقية ، نجحت البعثة في اكتشاف الفوسفات والمنغانيز . اما البعثة في الصحراء الشرقية ، فقد نجحت في العثور على حديد بنسبة لا بأس بها . كما تم اكتشاف الجبس بكميات هائلة . وقدرت قيمة الجبس المكتشف بما لا يقل عن مليوني جنيه .

وقال وزير الصناعة : ان جهودنا اتجهت الى استغلال الثروة المعدنية ، وان النتائج السريعة ستثبت ان لدينا من الثروة المعدنية المدفونة ما يجعلنا نامل في اكتشاف معادن هامة اخرى . وسيتبع اعمال هذه البعثات اعطاء التراخيص للبحث والاستغلال . وينتظر تطبيق هذه السياسة لزيادة الغلة من ثروتنا المعدنية زيادة سريعة ، كما اننا من جانب اخر ، سنستفيد من الخامات في اقامة الصناعات التي تعتمد عليها في انتاجها .

● جاء في تقرير مكتب احصاء السكان الامريكي ان اليابان والهند والصين تواجه الان مشكلة تزايد عدد السكان الى الدرجة التي قد تؤثر على مستقبل العالم كله .

ويقول التقرير الذي اصدرته هذه الهيئة غير الحكومية انه اذا لم يلجأ الناس في هذه البلاد الى تحديد النسل ، فسيكون من الصعب ايجاد الطعام اللازم لهم . ويقدر عدد سكان الصين الان بنحو ٦٢٥ مليونا ، ويتزايد السكان هناك بمعدل ١٢ مليون كل عام .

● اعلن مكتب الاحصاء العام الاميركي ان عدد النساء في الولايات المتحدة يفوق عدد الرجال بمليون و٣٨١ امراة وذلك حسب الاحصاءات التي اجريت حتى اول يوليو . ويبدو من هذه الاحصاءات ان لكل الف انثى اميركية ٩٨٤ ذكرا فقط . وتفسر هذه الدوائر الفرق بانه ناتج عن ان الرجال يموتون في سن اصغر من السن التي تموت فيها النساء .



استطنبول
رأساً
كل يوم
ثلاثاء و احد
بطائرات
فايكاونت
أتصالات موءمنة من استطنبول إلى آسيا واوروبا والولايات المتحدة .
توزع آخر نشرات رويتر للاخبار على المسافرين في الطائرة .
سافروا بطائرات
M·E·A
B.O.A.C. ASSOCIATE
للاستعلامات وحجز التذاكر :
راجعوا وكلاء السفر او شركة طيران الشرق الأوسط بيروت
- باب ادريس - بناية عبود - تلفون ٢١٢١٢/٣/٤/٥
- راس بيروت - بناية انكل سام - تلفون ٢٣٩٣٩
MEA. L 56/1
طيران الشرق الاوسط

[تتمة المنشور في الصفحة ٢٦]

العظمى ، وما يجب ان تكون عليه تلك السياسة ، اليوم وغدا . ثم حينما انتهى ، سأل السائح :« اليس هذا رأيك يا مستر بلاك ؟ »

فبلع الانجليزي ريقه ثلاث مرات ، قبل ان يجيب دون تهكم :

— « صدقني ، انا لا افهم شيئا في هذا الموضوع ... ولكن عندنا واحد اسمه تشرشل ... يعالج هذه الشؤون فندفع له اجرته كاملة ! ! »

الشخصيــة المتزنــة

بهذه العقلية — بل بهذه الشخصية المميزة المتزنة يعيش الناس العاديون هناك وهنالك ، وهم من رجال الشارع ، اما المثقفون العارفون ، فاننا نجد آثارهم تملأ .. الدنيا ادبا خلاقا ، وعلما مشرقا ، وفنا ساميا .

والنظام الذي تفرضه الشخصية المميزة — على الفرد العارف ، وعلى الجماعة الواعية ، في كنف الحضارة القائمة ، هو النظام نفسه ، الذي اخذت به الحضارة نفسها كل حضارة ، منذ عهد الفينيقيين والفراعين ، حتى عهد العرب والرومان والبيزنطيين ؟

هذه الشخصية المميزة ، نجدها متبلورة في كل بيت وشارع ، وفي كل ادارة ومصنع : ففي طراز البناء نجد اثرها، وفي نوع الاثاث نلتمس وحيها، وفي ازياء اللباس وحديث الالسنة ، نجد لها صدى وصورة . بل نجد في الشارع ونظافته ، والمصنع وترتيبه ، وفي الادارة وفعاليتها، وفي سائر حقول النشاط ومرافق الحياة ، نجد السنة تنطق بفعل تلك الشخصية المميزة في الكائنات الحية ، والجوامد الميتة ، على حد سواء .

واذا بك ، وانت في مثل ذلك الوسط ، محمول حملا على تعلم لغته ، ومجبر حكما على الاكتفاء باطعمته وملزم حتما بارتداء البسته ، والتقيد بانظمته وتذوق موسيقاه بل ان سحنة الغريب نفسها ، ما تلبث ان تنطبع بالطابع الخاص السائد ، وتنسجم مع المميزات العامة الطاغية .

للحفاظ على الشخصية المميزة

يقول مؤرخو مصر القديمة : ان حكام ممفيس عاصمة الفراعين الاولى ، كانوا يقيمون المخافر عند مداخلها ، كي يحولوا دون وصول ... غير المرغوب فيهم اليها . فمن كان له عمل في العاصمة او حاجة يروم قضاءها ، سمح له بدخولها بعد ان يتطهر ، ويرتدي ثوبا نظيفا ! والا رد على اعقابه ان كان غريبا، او، اذا كان مصريا، اعيد الى الريف حيث يتوفر شغل الارض لمن يرغب في العمل المفيد .

قد نقول هذا تدبير تعسفي ... فالمواطن حر في ان يعيش حيث يطيب له ، ثم ان ارض الله واسعة ، فعلام ضيق العين ؟ .... هذا صحيح الى حد . ولكن لنذكر في الوقت نفسه ما تفرضه الدول الحديثة ، من قيود ، للحد من الهجرة الخارجية والداخلية ، لا حفاظا على الامن العام والموارد الاقتصادية فحسب — بل محافظة على مقومات الشخصية القومية ، ايضا !

اننا اذا اختلينا لحظة واحدة الى نفوسنا وتصورنا ما يصيب المجتمع — اي مجتمع — اذا افلت فيه الزمام . ثم استقر في ايدي ذوي الشخصيات الهزيلة او غير المكتملة ، او من لا شخصيات لهم !

اذا تصورنا ولو لحظة المصير المحتوم لمثل هذا المجتمع هان علينا كل تدبير مماثل للتدبير الفرعوني ، ولو بدا تعسفيا ... فهو على الاقل قد حفظ للفرد وللدولة شخصيتهما المميزة : فعاشت مصر مئات السنين تزدهر حضارتها ، وهي الاولى في العالم ، وتشع على سائر الدنيا المعروفة اشعاعا اصيلا .

الاديــب الحــق

اننا اذا قصرنا بحثنا على صعيد الادب — وهذا اسلم — لوجدنا هنا ايضا ، ان الاديب الحق ... ليس هو بديع زمانه ، او شاهد عصره ، في نتاجه ، بل هو من يتحف الادب بشيء « جديد » ، يميزه عمن سبقه .

ومثل هذا يقوله « جول بندا » في مؤلفه الضخم المنشور بعنوان : « فرنسا البيزنطية »

ثم يقول : « لذلك كان جول رومان وموراياك ودهاميل ومارتان ده غار ، وموران ... وجميع هؤلاء من اقطاب الادب والفكر في فرنسا — لذلك كان هؤلاء في رأي الناقد الكبير ، دون مستوى الاديب الحق . فهم على الرغم من وفرة آثارهم ، وعلى الرغم من غنى تلك الآثار ، لا يحمل نتاجهم طابع العصر الذي عاشوا فيه — لا يحمل طابعا خاصا — فهم قد عالجوا حتى مواضيعهم الجديدة على ضوء المقاييس المعروفة ، منذ مدام لافاييت حتى بلزاك .

اما امثال مالارمه وبروست وجيد وفاليري والان وجيرودو ... فانهم ، على العكس ، خليقون بتمثيل عصرهم . وذلك لان نتاجهم يمتاز عما سبقه ، وان لم تكن مقاييسهم الفنية فيه جديدة كل الجدة . »

هذا ما يقوله اديب فرنسي معاصر وناقد كبير ، في ادباء فرنسا المعاصرين الكبار . فتبقى المسافة عنده ، بين الاديب الحق وبين سواه من حملة اللقب نفسه ، مساوية للمسافة بين الابتداع والاتباع ، بين الخلق والتقليد ، بين الحرية والعبودية ، بين الشخصية المميزة والشخصية « الامعة » !

خطــر الاستيــراد

ومن هنا يجيء خطر استيراد الآراء والمقاييس والمفاهيم وسائر الاشياء . انه خطر اشد من كل خطر سواه ، على الصعيدين الفكري والمادي ، ولاسيما اذا كان المستورد شخصا غير واع او بلدا غير منتج — لانه يفقد الفرد والمجتمع شخصيتهما المميزة ، ومقومات كيانهما ، ومبررات وجودهما

ومساق الخطر والخطورة في الموضوع يرد الى ان تلك المستوردات لم تنبع من اغوار النفوس ، ولا نبتت في تربة القوم المستوردين . فليس مفروضا فيها ان تخلقهم من جديد ، ولا مفروضا فيهم ان يتطوروا بتأثيرها وحدها ، فيبلغوا مستوى القوم الذين نبتت في تربتهم ، فكانت استجابة لحاجتهم .

والتطور ، كما يراه علماء التربية والبيولوجيا عمل بطيء ، وهو عمل طوعي تلقائي ، لا يزيده الاصطناع الا بطءا اذا لم يصبه بنكسة ترجع بالناس الى الوراء . لذلك يوصي اولئك العلماء بتشجيع الخلق الذاتي ، والانشاء الشخصي. فان لعبة يصنعها ولد بيديه ، ولو جاءت اقل اتقانا من اية لعبة اخرى ، مصنوعة في معمل ، هي افيد للناشيء،واوقع

في نفسه ، اضعافا مضاعفة . وهي على الاخص ابعد تأثيرا في تربيته وفي بناء شخصيته المميزة .

القياس مع الفارق

ولهذا السبب عينه نجد ان محاولـــة بعض النقاد ، عندنا ، ان يطبقوا على نتاجنا الادبي مقاييس لم يتمخض عنها ، هي محاولة خاطئة . فالجمال الاسيوي مثلا لا يقاس بمقاييس الجمال الاوروبي ــ او بالعكس ــ لسبب بسيط ــ وهو ان القياس لا يصح مع الفارق !!

فالقصة الفرنسية مثلا ، لا تخلو من عنصر المـــراة ــ والمراة الغانية « الارتيست » التي لا يدور هناك دولاب الحياة الا حول قطبها ــ ولا يتحرك شيء الا في فلكها . فاذا قسنا ما عندنا من نتاج قصصي ، قديم وحديث ، بذلك النتاج « المؤنث » بل اذا قسنابه اكثر النتاج الانجلوسكسوني ــ لاتهمنا ادبنا العريق ، والادب الانجليزي الرفيع ، والادب الالماني القوي ، بانهم لا يستملكون اسباب الحياة .

والواقع يناقض هذا الزعم . الواقع العالمي هو : ان الادب عامة يتجه شطر وجهة اخرى ، بل شطر وجهات كثيرة . وهذه هي قصة همنغواي « الشيخ والبحر » التي نال عليها جائزة نوبل في السنة الفائتة ــ لا تتضمن اثرا للمراة على الاطلاق . وهي لا تتضمن كذلك غير هذا العنصر الذي يجعله الناقدون « الامعون » من عناصر القصة الناجحة فلا عقدة ، ولا قمة ولا حلا للعقدة ، ولا من يحزنون .

اتجاه ادب العالمي

هذا هو اتجاه الادب العالمي عامة ، وهو اتجاه ينحـــو ، كما ترون ، شطر التحرر من قيود تلك المقاييس والموازين المدرسية الكلاسيكية . فلا يبقى حينئذ للادب الا مقياس واحد ، يدل على الاصالة وعلى الجودة معا ، هو مقدرته على الامتاع . انه ممتع بقدر ما يودع من عناصر الشخصية المميزة . والقصة الممتعة هي القصة الناجحة الباقية الاثـر في النفوس .

الاتباع ومقاييس الادب

اما واقع ادبنا ، الادب العربي القديم ذي الطابـــع الخاص ، والادب الحديث الناشيء ــ فانه تأثر ويتأثـــر بطبيعة الحياة في المجتمع البطيء التطور ، وبتقاليد هـــذا المجتمع المتزمتة حينا ، والمحتشمة احيانا . ثم ان نشاط المراة نفسها حتى في المجتمع اللبناني ــ وهو اكثر المجتمعات العربية تطورا ــ لم يبرح محدودا . فليس للاديب عندنا ان يشركها في نتاجه بقسط اوفر مما تشترك هي به فـــي حياته ، او في حياة المجتمع .

وعلى هذا كان من خطل الراي ان نفرض المقاييس التي لم يتمخض عنها ادبنا نفسه ، على ذلك الادب . بـــل ان من الخطأ المنطقي ــ العلمي ان ناخذ نتاج احد الادباء فنقيسه بمقاييس غير مستمدة من ذلك النتاج بالذات .

فالعبودية لآراء الغير في كل صعيد عبودية بشعة . اما في هذا الصعيد الفني ، فهي عبودية بشعة ، وقليلة الذوق ايضـــا .

والعبودية ــ ايا كانت صفتها ــ لم تكن سبيل الانسان الى الكمال ، ولا هي سبيل البشرية الى بناء غد افضل . فاحر بها ان لا تكون سبيل المثقف العارف الى بناء شخصيته المميزة . والشخصية المميزة هي هدف كل ثقافة ومعرفة : انها الهدف الاخير .

خذوا الخـير ايضـا

اننا اذا انكرنا على مستوردي آراء الغير ، وكتبه الجنسية وافلامه الخلاعية مثلا ، استيرادهم هذه البضائع الرخيصة ، واستغلالهم العقول الناشئة والقلوب البريئة ، فلسنا لنزعم ان الحياة خير محض ، او ان الفضيلة هـي السائدة في كل مكان . بل لاننا نخشى ، ونحن في مستهل نهضة جديدة ، ان نكتفي باقتباس الشر الذي يعانيه الغرب ، دون الخير الذي يعج الى جانبه هناك . فيكون شاننا شأن ذلك الطالب العراقي الغر ، الذي راى ما يطفو على سطح المجتمع الامريكي من فساد .. فحسبه كل ما لدى ذلك المجتمع من مقومات البقاء .

الجريمـة الكبـرى

ان الخير والشر يتجاوران ويتقابلان في كل مكـــان وزمان ، والجريمة ليست في اخذالشر دونالخير ، او اقتباس الفساد دون الصلاح ، بقدر ما هي في اخذ الشر على انـــه اخير ، او على انه هو كل شيء . وهذا ما يفعله اولئـــك المستوردون ، مستوردو الآراء الهدامة والكتب الجنسية والصور الخلاعية والافلام المفسدة ... فيحملون الى الفرد والى الجماعة افتك الجراثيم التي تقوض شخصيتهما وتهدم كيانهمـــا .

وبعبارة اخرى نحن نجد لدى المجتمعات التي سبقتنا في تطورها ، الى جانب المراقص ودور اللهو والخلاعـــة ومعارض الازياء .. مثلا ، نجد لديها معاهد الموسيقى والرسم والنحت .. وسائر المؤسسات الانسانية الاخرى . فتتوفر بذلك للفرد جميع الاسباب الكفيلة بانماء شخصيته وشخصية المجتمع . اذ تتكافأ لديها الفرص للاختيار ، في كنف الحرية والشعور بالمسؤولية . اما اذا اقمنا الملاهي ونوادي الليل ومعارض الازياء وحدها ، دون المؤسسات الانسانية ، فاننا نضيع على الفرد فرصة الاختيار ، ونسقط حقه الطبيعي في الحرية ، ونقترف بالتالي جريمة مزدوجة ، بحق نفوسنا وحق الحضارة التي نقتبسهـــا .

المحاكـاة وأزياء النساء

نحن نعلم ان المحاكاة هي من اعراض الطفولة . فـــاذا استمرت بعد ذلك العهد ، كانت نذيرا ... بعبودية نفسية خطيرة . ونحن نحب مخلصين ان يتفادى رجال الادب والفن ورجال المعرفة على الاطلاق ، الوقوع في اسر تلك العبودية . كما نحب مخلصين ، ان تتفادى المراة « الام » كذلك عبودية مماثلة ، وهي العبودية للازيـــاء ولادوات التبرج . فليس من شيء ادل من تلك العبودية على هـــزال الشخصية .

اسمحوا لي ان اقرر فورا انني احترم المراة احتراما « مثلثا » ان صح التعبير ، فانا زوج وأب وأخ لعدد من الفتيات والنساء ، ابادلهن جميعا ، الاحترام والمودة . فما اقوله مجرد اذن عن الرغبة في التعريض او شهوة الاساءة .

ولا ننس ان المراة هي احد عمادي المجتمع : انها نصف

الامة في الحساب ، وهي نصفها الافضل ، في الشعر !

واني لاتصور دائما مبتكري الازياء وعارضيها ومروجيها يضحكون من المراة ، من ضعفها حيال ازيائهم المغرية – كما يضحكون منا جميعا . فهم اذ يستعبدون نصفنا الافضل ، ويستفرغون جيوبنا ... ثمنا لتلك العبودية ، انما يستعبدوننا جميعا مرتين ! شأنهم في ذلك شأن صانعي لعب الاطفال ، فهي لا تستقر في ايديهم غير دقائق او ساعات ، ثم تتحطم او يفسد حالها . بل ان صانعي الازياء ومروجيها .. شر من صانعي لعب الاطفال فهؤلاء يضحكون على اطفالنا . . اما مبتكرو الازياء فيضحكون على عقولنا .. وهم يزعمون لنا ولنسائنا انهم يعلمونهم الذوق ويخلقون فيهن الجمال !

الذوق والجمال حصيلة المعرفة

وانتم تعلمون ان الذوق والجمال ... لا يخلقان تكلفا ولا تصنعا – انها حصيلة المعرفة ، وعنوان على الشخصية المميزة .

ولنضرب مثلا بسيطا .. البسة الفرو التي يستلزمها البرد الشديد في بعض البلدان – هل بامكاننا القول ، مع صانعي الازياء ، انها تزيد نساء بلادنا اناقة ؟ ونحن كما ترون في جو معتدل ، حتى في ابان الشتاء ؟

ثم اذا كانت البسة الفرو تبدو جميلة على اجساد النساء الهيفاء المرسومات في « الكاتلوج » ، فهل من اللازم اللازم ان تكون جميلة كذلك على اجساد قصيرة ممتلئة ؟

ثم الاسراف في ادوات التبرج ، والمجوهرات والعطور ... حتى لتبدو الواحدة منهن ، تحت قناع من المساحيق ووابل من الزينة المستعارة اقرب الى ذات « الانسانة » المتبذلة التي رسمها الكاتلوج منها الى ذات « المراة » المتميزة بالحشمة ، والجمال الطبيعي الاخاذ .

ارجو تكرار من حضرات السيدات ان يعذرنني ... فانني لا اقصد الى انتقادهن ، ولا الى استثارة ازواجهن ، معاذ الله ، ولكن هي همسة مخلصة اردت ان تعصف باذني المراة والفتاة في بلادي ، فلا تكونا بعد اليوم ضحية للازياء التي لا تناسبهما ، ولا ضحية للزينة التي لا تلائمهما .

ففي الاسراف في ذلك هزال لشخصية المراة التي نحبها ونحترمها اما وزوجة . وفي الاعتدال انماء لشخصيتها بطبيعة الحال .

وفي كل الاحوال ، ارجو مخلصا ، أن لا تكون بنتي – اي جيل الغد من نساء امتي – عبدة لتاجر الازياء ولا مستعبدة لادوات التبرج . ففي تحرر المراة من هذه العبودية تحرير لشخصيتها ، بل تنمية للشخصية المميزة عندها يزيدها جمالا ، وفتنة واغراء .

وهذه هي المراة الانكليزية : بل هذه هي امراة الريف عندنا وفي كل مكان – مثال يحتذى : فلا مساحيق ولا مجوهرات ، ولا عطور ... الا القدر الذي لا غنى عنه ، وهو قليل قليل .

واذكر لكم انني اعجبت ، في مطلع الشباب ، بفتاة كانت تزور المرحومة سلمى صائغ ، وكنت حاضرا في منزلها . فلما انصرفت التفت بعض الحضور الى بعض ، واخذوا يغتابون تلك الفتاة الطبيعية ، حسدا او عملا بالتقاليد المرعية !

فتناول فريق اثواب الفتاة وزينتها البسيطة وحديثها الطبيعي بالنقد اللاذع . وتناول فريق اخر طولها وعرضها بالسخرية والتهكم . فالتفت الى ربة البيت وقلت بدوري : انني على العكس ارى ... لها طابعا خاصا ، طابعا مميزا ، يزيدها جمالا ! فاجابت الاديبة الكبيرة ، يرحمها الله ، وكأنني نفست بكلامي عن صدرها : « عفاك ! وذلك هو جمال الثقافة ! »

والخلاصة

لم يبق لي ، بعد ان اوضحت ، على ما اعتقد ، ما اردت ان اقوله ، في هذه الامسية ، مبتعدا ما امكن عن جو الكتب والمحاضرات ، لم يبق لي الا ان الخص حديثي :

ان الثروة والعلم والقوة ... جميعها وسائل الى هدف اخير ، هو بناء الشخصية المميزة لدى الفرد ولدى الجماعة . فاذا احسن استعمال تلك الوسائل ، كان العلم معرفة تتفتح امامها مغاليق الاسرار . وكانت الثروة سبيلا الى تحقيق عظيم الاعمال . وكانت القوة مرقاة الى بلوغ المجد الباقي على مدى الايام .

ولنا في التاريخ عبرة بعد عبرة – بل ان لنا كل العبرة في الامم الحية المعاصرة .

وما يشكونه الافراد الواعون ، والشعب الناهض ، في بعض البلدان من فوضى الشارع ، الى عقم المعرفة وسطحية الادب ، الى بدائية الفن وامعية المفكرين ... جميع هذه العلل وسواها ، اعراض لحالة مرضية واحدة ، هي انعدام الشخصية المميزة .

ومتى حرص المجتمع ، في المنزل والمدرسة والجامعة وكذلك في الشارع والنادي ، والصحيفة والسينما ... على بناء شخصية الافراد – ذكورا كانوا او اناثا – كان للامة آباء وامهات يستشعرون خطر رسالتهم ، فيؤدونها على الوجه الافضل . وكان لها فتيان يعرفون انهم رجال الغد ، ونساؤه – فيستعدون للاضطلاع باعباء رسالتهم على الوجه الصحيح . وكان لهذا كذلك ، في الادب ، طابع خاص يتسم به نتاج الادباء ، وفي العلم مساهمة مرموقة تصير بها مواطن اشعاع . وفي الفن مشاركة تعصمها من ان تكون عالة . وكذلك كان للامة شأن في الاجتماع ، والسياسة ، ومصطرع العقائد الفلسفية ، يقيها داء الارتجال والعيش الكفاف ، ويحول بين ابنائها وبين اشقى العبوديات : الامعية ، او العبودية لآراء الغير .

اننا امة عريقة في الحضارة ، وفي الاضطلاع باعباء القيادة ، في العالم – ولئن تخلينا ، غير مختارين ، عن مركز القيادة ، منذ زمن بعيد ، فلا اقل من ان نتابع العمل على استبقاء خصائصنا العريقة . وان نعمل كذلك ، ونحن نقتبس وجوه الحضارة الحديثة ، على الاستزادة من مقومات الشخصية المميزة فينا – لدى الفرد ولدى الجماعة . فنحافظ بذلك على مبررات وجودنا ، ومسوغات بقائنا ، ونسهم ، بقدر امكاناتنا ، في اتمام البناء ... بناء هذه الحضارة الذي وضعنا اسسه ، مع الواضعين ، ويتحتم علينا ان نعمل على بلوغه تمامه مع العاملين .

رشاد دارغوث



خيبة امل في دائرة معارف البستاني

•

صدر في غرة كانون الاول سنة ١٩٥٦ المجلد الاول من دائرة المعارف باشراف الاستاذ فؤاد افرام البستاني ، رئيس الجامعة اللبنانية ، ويشتمل هذا المجلد على ٤٩٤ صفحة من الحجم الكبير تحتوي على ٢١٨١ مبحثا و ٣٩٦ رسما وصورة وخارطة ، اشترك في اعدادها ٥٨ كاتبا اختصاصيا .

لا شك في ان المشروع جريء ، والجهدجبار، والاقدام عليه جدير بالتقدير . غير ان هنالك بعض المآخذ استميح لنفسي ان ابينها لا للتهديم بل للبناء ، راجيا ان تؤخذ ملاحظاتي برحابة صدر حتى يستفيد منها المشروع في المجلدات التالية . واني آت على ذكرها باختصار تحت عشرة ابواب .

١ – مواد لا دخل لها في اية دائرة معارف

اذا اتبعنا ما هو متعارف ومقبول لدى اهل الاختصاص وهو ان دائرة المعارف مؤلف تبحث فيه مواضيع المعارف المختلفة ، كلا على حدة ، في مقالات مفردة ، تطول وتقصر على حسب خطورة الموضوع ، وترتب عادة على حروف الهجاء ، وجدنا ان ادراج الامثال المفردة يعتبر خروجا على هذا العرف ، في حين اننا نعترف بان موضوع الامثال ، مثلا ، يدرج في الدائرة على انها ظاهرة لغوية واجتماعية تستحق الدرس نظرا لما تلقيه على حياة الامم ولغاتها ، وخاصة في اطوارها البدائية ، من اضواء تساعد المؤرخين والباحثين الاجتماعيين . فاقحام عدد من هذه الامثال يعد خروجا على التقاليد المتبعة في مثل هذه الموسوعات ، ولا يصح ان تحسب في عداد المباحث . ومن هذه المقحمات ، على سبيل المثال : « اخرها اقلها شربا » (ص ٩٦) ، « آكل شارب ، من الهم هارب » (ص٢٩٢) ، « آكل من الحوت » ، « آكل من الرحى » ، « آكل من ردامة » ، « آكل من السوس » ، وسبعة امثال اخرى تبدأ بكلمة « آكل » جميعها على صفحة ٢٩٣ . ومنها ايضا : « آمن من ظبي الارض » ، « آمن من حمام مكة » ، « آمن من غزلان مكة » (ص ٣٦٠) . هذه الامثال تطلب في مجامع الامثال لا في دوائر المعارف ، وذكرها في الدائرة خطأ لا مبرر له .

ومن هذه المقحمات اسماء كتب ومؤلفات مثل « الآثار الباقية عن القرون الخالية » و « آثار البلاد واخبار العباد » (ص ٥٦) ، وهي مما يطلب في فهارس المؤلفات والمطبوعات ولا يصح ان تذكر في الدائرة الا عند الترجمة لمؤلفيها اذا كانوا ممن هم جديرون بالذكر (فيذكر الاول تحت البيروني والثاني تحت القزويني) ، او تحت الموضوع الذي يعالجه هذا الكتاب او ذلك .

ولا مجال لتعداد مثل هذه المفردات من اسماء احياء وقرى ومدن خاملة الذكر واماكن جغرافية لا شأن لها وتعريفات فقهية وتحديدات فلسفية مما لا دخل له في الدائرة بحسب اجماع العلماء . فالدائرة ليست معجما جغرافيا ولا هي كتاب يعرف بالسير تعريفا وحسب (ولا تذكر سيرة فيها الا اذا كانت على جانب عظيم من الشأن) . ولا كتاب تعريفات ولا فهرس مؤلفات ومطبوعات ولا مجمع امثال واقوال وجوامع كلم ، على الرغم من انها تشمل اشياء من هذه كلها . فالدائرة تعنى بالمواضيع العامة عناية مجملة تطول او تقصر بحسب اتساع الدائرة ، غير انها لا تغني عن طلب التفاصيل في المطولات وكتب الاختصاص ولو لم تقحم امثال هذه « المباحث » التي اشرت اليها في هذا المجلد لصغر حجمه بنحو من ثلاثين في المائة من مجموع صفحاته على الاقل ، ولما خرجت هذه الدائرة عن نطاق دائرة المعارف الى نطاق اوسع محفوف بالمزالق مجهول المعالم والحدود ، خلو من اي تصميم .

٢) – مواد لا ضرورة لها

في هذا المجلد من الدائرة التي نحن بصددها مباحث او بالاحرى مواد حسبت مباحث مع انه لا ضرورة لذكرها ابدا ، مثل « آخ واخ واخ كلمة توجع وتاوه وتكره » (ص ٩٤) و « آديلغ ، مقاطعة جبلية شرقي ورتنبرغ » (ص ١١٨) ، و « آ رهن ، في معجم ياقوت انها من قرى طخارستان من اعمال بلخ » (ص ١٨٣) ، و « آزاب ، موضع ذكر في شعر لسهيل بن علي ، اشار اليه ياقوت في معجمه » (ص ١٩٧) ، وغيرها كثير .

٣) مواد غير وافية

وهنالك مواد ذكرت بايجاز شديد جعلها عديمة الفائدة تقريبا ان لم اقل تماما . من هذه ، على سبيل المثال ، اخر كابي ، حي من احياء استانبول يمتد من البوسفور غربا باتجاه بحر مرمره » (ص ٩٥) ، و « آدلر كروتس (شارل جان) ، قائد اسوجي (١٧٥٧ – ١٨١٥) كان احد كبار قواد ثورة ١٨٠٩ » . (ص ١٠٤) ، ومثلها كثير . فان كانت هذه المباحث مهمة اقتضى الامر ان تعالج معالجة ادق وافضل ، وان كانت غير مهمة كان من الواجب ان تهمل وتبقى خارج الدائرة .

٤) مواد ممعنة في الاسهاب دون مسوغ

وهنالك مواد جاءت معالجتها مسهبة الى حد الامعان مما لا يتناسب مع قيمتها او مع قيمة غيرها من المواد الاخرى . خذ مثلا مبحث « آصاف » (ص ٢٥٨–٢٥٩) ، وقد خصصت له ستة اعمدة من البحث وخصص العدد نفسه لمبحث « آق قويونلي » (ص ٢٨٣ – ٢٨٥). فهل يتناسب هذا مع مكانة كل منهما؟ ويتبع مبحث « آ صاف » لائحة من المصادر والمراجع عددها سبعة في حين يظهر مبحث « آق قويونلي » بدون اي مصدر او مرجع . فما هو السبب يا ترى ؟ وكذلك يفسح لمبحث « آلتون كوبري » (ص ٣٢٨ – ٣٣٠) ستة اعمدة مذيلة بعشرة مراجع عربية وتسعة عشر افرنجية في حين يفسح لمبحث « آ لسكا » (ص ٣٣١ – ٣٣٤) تسعة اعمدة بدون اي مصدر او مرجع . وسأعود الى قضية المصادر والمراجع فيما بعد . .

٥) – مواد لا تلتزم الدقة العلمية

وهنالك مواد لا تلتزم الدقة العلمية كما يظهر في مبحث « آبل » (ص ٣٨) ، احد ملوك الدانمرك ، وتعلمنا الدائرة انه « هلك في احدى الثورات » ، ومبحث « آبل (بينو) » وتعرفه الدائرة بانه « لغوي واديب مجري (١٨٥٨–١٨٨٩) » ، ومبحث « آبل الزيت » (ص ٤١) ، وتعريفه « قرية في الاردن ذكرها ياقوت في معجمه وقال انها المرادة في قول النجاشي » :

وصدت بنو ود صدودا عن القنا
الى آبل في ذلة وهوان

واكتفي بذكر مبحث آخر من هذا النوع هو « آلاكوي » (ص ٣٠٧ أ) ، « اسم لمحلة في ولاية وان ... على مسافة ٣ ساعات من مدينة وان » ثلاث ساعات مشيا على الاقدام ام في السيارة ، ام في الطائرة ، ام على الابل ام على البغال ؟ فالكلام على كل مادة من هذه المواد عام يفتقر الى الدقة العلمية .

ويدخل في هذا الباب مواد لا تخضع لاوليات الاسلوب العلمي في الدقة والتناسق. فلائحة المساهمين في اعداد المباحث ، مثلا ، تشتمل على اسم المطران ميخائيل ضومط ، ثم يظهر الاسم نفسه بصورة ضوميط على ص ٣١ ، وضومط على ص ٦٩ ، وضوميط على ص ٣١١ ، وهناك لفظة سوريا في الخارطة قبالة ص ٢١٦ وسورية في الخارطة قبالة ص ٢٢٤ ، ولعل هذه جميعا من اخطاء الطبع .

وهنالك اخطاء في الترجمة مثل ترجمة اشهر آثارماثيوارنولدالشعرية The Strayed Reveller بالعياش التائه (ص ١٨١) بدلا من الماجن او العربيد التائه . وهنالك اخطاء في ضبط نطق اللفظ الاجنبي مثل Knox وهو يلفظ نوكس لا كنوكس كما جاء في الدائرة (ص ٤٧٢) .

٦) مواد تحتوي على اخطاء

وهنالك مواد تحتوي على اخطاء لا يجوز وقوعها في دائرة معارف . خذ مثلا مبحث « آدم بيد » (ص ١١٥) . تعرف الدائرة هذا المبحث بما يلي :

« قصة شهيرة للروائي الانكليزي جورج اليوت ، نشرها سنة ١٨٥٩ ، وصور فيها انعادات الريفية الانكليزية ، في اوائل القرن التاسع عشر ، تصويرا صادقا ، استند فيه الى ذكرياته الخاصة » . والمعروف ان جورج اليوت اسم مستعار لامرأة (مثل جور جساند) اسمها الحقيقي ماري آن افانز ، وبعد زواجها اصبح اسمها مسز ج. و. كروس . فهي اذا روائية لا روائي على الرغم من اسمها المستعار وعلى رغم كاتب التعريف بآدم بيد في الدائرة.

ومن المباحث التي تشتمل على اخطاء مبحث « آداب السمرقندي » (ص ١٠١) . فمؤلف هذا الكتاب في آداب البحث هو شمس الدين محمد بن اشرف السمرقندي المتوفى حوالي سنة ١٢٠٢ ميلادية ، لا حوالي سنة ١٢٩١ ميلادية على حسب ما جاء في الدائرة . (راجع بروكلمان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ذيل ١ ص ٤٦٨ حيث اصلح بروكلمان خطأه الذي ورد في الجزء الاول) . وكذلك مبحث « الاداب السلطانية » أي الفخري في الاداب السلطانية . فالترجمة الفرنسية التي اعدها « امار » لهذا الكتاب صدرت في باريس سنة ١٩١٦ لا سنة ١٩١٠ حسب قول الدائرة ، (راجع بروكلمان ، ذيل ٢ ص ٢٠١) .

ومن ابرز الاخطاء ما ورد في مبحث « الاملي » (ص ٣٥٩) . يترجم هذا المبحث لبهاء الدين محمد ابن الحسين بن عبد الصمد الاملي (كما ضبطته الدائرة) الرياضي الشهير الذي ازدهر في النصف الثاني من القرن السادس عشر وتوفي في الربع الاول من القرن السابع عشر . ومن اشهر آثار هذا العالم « خلاصة الحساب » . والمعروف لدي ان المؤلف عرف بالعاملي لا بالآملي . يشيرالمبحث الى حاجي خليفة فرجعت اليه ، وعند التحقيق وجدت في طبعة ليبزك ، تحرير فلوجل ، ج ٣ (١٨٤٢) ص ١٦٨ ، ما يلي : « خلاصة في الحساب لبهاء الدين محمد بن حسين [وهو من علماء الدولة الصفوية في زمن شاه طهماسب ابن شاه اسماعيل الاردبيلي] . انتهى ما جاء في حاجي خليفة ، والكلمات التي بين القوسين هي من اضافات المحرر فلوجل . ثم رجعت الى الموسوعة الاسلامية ، مادة « العاملي » ، فوجدت الاسم مضبوطا (حسب النظام المتبع بين المستشرقين في نقل الاعلام العربية) بالعين ، أي العاملي دون أي شك او سؤال . ثم عدت الى بروكلمان ، وهو شيخ المحققين في هذا الميدان ، فوجدت انه ضبط الاسم كما يلي : بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي الجبعي العاملي البهائي ولد في بعلبك في ١٧ ذي الحجة ، سنة ٩٥٣ هـ\١٥٤٧ م وتوفي في اصفهان في ١٢ شوال سنة ١٠٣٠ هـ\١٦٢١ م. والجدير بالذكر ان الدائرة القديمة : ج ١١ ص ٤٦٢ ـ ٤٦٤ ، تضبط الاسم بالعاملي ايضا .

ورغبة في الوثوق عدت الى اهم المصادر لترجمة هذا الرياضي الاديب واقدمها ، الى « خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر » للمحبي (١٠٦١ هـ\١٦٥١ م ـ ١١١١ هـ\ ١٦٩٩ م) ، وهو يكاد يكون معاصرا للعاملي ، وشهادته لذلك اعدل شهادة . يخصص المحبي لصاحب الترجمة خمس عشرة صفحة (ج ٣ ص ٤٤٠ ـ ٤٥٥) يثبت فيها اسمه كاملا ويعين زمان ولادته ووفاته ذاكرا اليوم والشهر والسنة ، ويثبت تفاصيل اخرى لا تترك ادني ريب في ان المحبي ترجم لرجل معروف لا يمكن ان يحيط باسمه الشك . واخيرا رجعت الى « خلاصة الحساب » بالذات ، اهم مؤلفات العاملي . يبدأ هذا الكتاب كما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم . نحمدك يا من لا يحيط بجميع نعمه عدد ، ولا ينتهي تضاعف قسمه الى امد... وبعد فان الفقير الى الله الغني ، بهاء الدين محمد بن حسين العاملي ، انطقه الله بالصواب ... » والطبعة التي نحن في صددها طبعة حجرية تحتفظ بصورة المخطوطات من شروح وحواش بعضها في الهامش وبعضها في السطور . وترد حاشية فوق اسم المؤلف مباشرة تقول : « منسوب الى العامل من نواحي الشام » . اسم الرجل ، اذا ، العاملي على الرغم مما ذهب اليه كاتب المبحث ، والخطأ واضح لا يقبل الجدل . وبعد أفليس غريبا ان تنفي الموسوعة اللبنانية عامليا عن لبنان وتنسبه الى بلد من اعمال طبرستان ؟

٧) عدم وجود التناسب في معالجة المباحث

تطول معالجة دائرة المعارف لاي موضوع او تقصر بالنسبة الى اتساع الدائرة او ضيقها والى ما للموضوع نفسه من قيمة . وتقع على رئيس التحرير مهمة تعيين عدد الاعمدة لا بل الكلمات التي يجب ان تخصص لهذا المبحث او ذاك . والمتصفح المجلد الاول من الدائرة يلاحظ كثرة المباحث القصيرة وقلة المباحث المطولة وعدم تناسب أي مع خطورة المبحث المعالج . فتخصص الدائرة ، مثلا ، اربعة وعشرين عمودا للهمزة في حين تخصص اربع اعمدة فقط للغة الارامية . وتخصص الدائرة للاريين اربعة اعمدة في حين انها تخصص لاريوس خمسة . ويظهر مبحث الاريين بدون لائحة مصادر ومراجع ، في حين يتبع آريوس ثمانية مصادر ومراجع ثلاثة منها عربية والخمسة الباقية افرنجية .

٨) مدى النقل والترجمة

تعتمد الدائرة مصدرين رئيسيين هما الدائرة القديمة ومعجم لاروس ، واكثر الخرائط منقولة عن موسوعات اخرى . والمباحث التي اعدت خصيصا للدائرة تكاد لا تتجاوز العشرين في المائة من المجموع . فالدائرة الى حد بعيد نتاج ترجمة لا نتاج ابتكار ، ولا ضير في ذلك في حد ذاته ، لا سيما واننا على الرغم من حاجتنا الماسة الى دائرة معارف عربية ، وعلى الرغم من الخطوات الواسعة التي خطوناها في طريق العلم والحضارة ، ما زالت تعوزنا القدرة على القيام بمثل هذا المشروع الضخم ، دون الاعتماد على الترجمة .

٩) المصادر والمراجع

من اهم الخدمات التي يفترض في دائرة المعارف ان تؤديها للقارىء بوجه عام وللباحث بوجه خاص لائحة المصادر والمراجع التي تذيل بها الابحاث في العادة . وتكاد هذه الدائرة ان تكون خلوا من المصادر والمراجع التي لا بد منها لطالب العلم . وحيث ظهرت هذه المصادر والمراجع كانت على وجه الاجمال غير وافية . فهي احيانا تتجاوز عن ذكر اهم المصادر والمراجع وتكتفي بذكر ما تيسر . ومن الامثلة على هذا مبحث « الالات » (ص ٢٩٦ ـ ٣٠٥) ومبحث « آل البيت » (ص ٣١٥ ـ ٣٢٣) . وبين مراجع هذا المقال كتاب عنوانه « عقيدة

الشيعة » مؤلفه على ما جاء في الدائرة دوايت والصواب دوايت دونالدسون . ولا يحسب الكتاب حجة في الموضوع .

١٠) قيمة المشاركة العلمية

لا يطلب ، في العادة ، الى أي فرد ان يعد مقالا لدائرة معارف ما لم يستوف شروطا عمية واضحة . فيشترط ان يكون من اهل الاختصاص البارزين في الموضوع ، وممن لهم فيه ابحاث منشورة في المجلات العلمية ومؤلفات معتمدة . فاذا اعتمدنا هذا القياس وحاولنا تطبيقه على جمهرة المشاركين في هذه الدائرة وجدنا ان النتيجة لا تدعو الى الاطمئنان . فعلى الرغم من ان الاكثرية تحمل شهادات جامعية عالية فان حامل الشهادة العالية ليس بالضرورة من اهل الاختصاص .

جميع هذه المآخذ التي ذكرت ، وما هي الا قليل من كثير ، تزعزع الثقة في مقدرة هذه الدائرة على سد حاجة العرب المعاصرين الملحة الى موسوعة عصرية من نوع الموسوعات العالمية الشهيرة . ولا بد لي من ان اقرر انه ليس في وسعنا الان ان نقوم بمثل هذا العبء انشاء اصيلا ، لذلك كان من الافضل ان ننقل الى العربية احدى الموسوعات العالمية المتوسطة الحجم ونضيف اليها ما ينقصها من مواد لا يصح لموسوعة عربية ان تصدر خلوا منها ، وهذا بالذات ما ارتآه الاستاذ فؤاد صروف في مقدمته « للموسوعة العربية » المختصرة التي اصدرها البرت ريحاني وفريق من الاساتذة في بيروت سنة ١٩٥٥ .

ويلوح ان اهم ما يؤخذ على هذه الدائرة التي نحن في صدد دراستها هو انه لم يسبق وضعها تصميم شامل دقيق يكون اساسا لهذا الجزء وللاجزاء التالية . ومن الواضح انه لا بد قبل اخراج اية دائرة معارف الى حيز الوجود ان يوضع مثل هذا التصميم تحت اشراف لجنة من ذوي الاختصاص والاطلاع ، اذ بدون ذلك يتعذر اخراج دائرة مقبولة . ويؤسفني ان اقرر ان حصيلة هذا العمل هي ابعد ما تكون عما كنا ننتظره ونتشوق اليه ، واقترح ان يوقف اصدار هذه الدائرة حتى يستوفي العمل في شرائطه الاساسية فيعاد النظر في التصميم من اساسه وتشكل لجنة لدراسة هذا الموضوع على ضوء الخبرة المستمدة من طبع المجلد الاول .

[العلوم] **نبيه امين فارس**

رئيس هيئة الدراسات العربية
في الجامعة الامريكية ببيروت

ليست العلة بالشعر

●

يحسب بعض الناس ان قضية الشعر المطلق حدث جديد في ايامنا ويفوتهم انها قديمة صدرت فيها مجموعات من الشعر اختلف في تقدير قيمتها النقاد ، وحين اصدر احداها صديقي الاستاذ البير اديب صاحب مجلة « الاديب » البيروتية كتبت يومئذ ما احسست به تلقاء هذا الضرب من التعبير ، ولم يكن الاستاذ البير اديب من هادمي الشعر العربي ليقيم بديلا منه شعره المنثور ، لانه قد حاد عن الاوزان الى انطلاق الكلام .

اما اليوم فقد قام شعراء ونظاهون يحاولون تحطيم الشعر العربي الكين ليقيموا ـ عند انفسهم ـ نوعا من الكلام الموزون في مفرداته وجمله ، وقد يخضع الى اشطار من بحر واحد او من بحور مختلفة في القريض .

وهي محاولات لا يستطيع الادب ان يقف دونها لانها من حق التطور . وربما اجيدت فكانت صورة من صور هذا الادب . ان الشعر العربي الذي يستجيب للفن ويضفي الابداع عليه رونقه وسحره ، هو الشعر الاصيل الموروث في شكله واسلوبه ، والذي جمع تراث الشعور والفكر العربي منذ امرىء القيس الى ما بعد شوقي . ولم يكن عند مجيديه ليعجز عن اداء لاحدث الصور واروعها ، فليست العلة بالشعر وانما هي بالشاعر ، فكن شاعرا حقا وقل في أي اسلوب شئت .

دمشق [الدنيا] **زكي المحاسني**

الكتاب في البيت العربي

●

يجتمع فريق من الادباء والمفكرين في مقهى عصري من مقاهي بيروت كل مساء ، ويتبادلون الرأي في شتى المواضيع .. والطريف في هذا الفريق انه لا يسمح للسياسة ، مهما بلغت من الخطورة ، ان تسيطر على النواحي الهامة الاخرى من الحياة الفكرية .

واذكر على سبيل المثل اننا كنا نتحدث في أحد اجتماعاتنا الاخيرة عن مشكلة الكتاب والمطالعة في البلاد العربية . والواقع اننا لم نكتشف نظريات جديدة في بحثنا هذا الموضوع ، وانما وضعنا له حدودا واوضحنا معالمه بشكل مبسط مفيد . كان موضوع « الرقي » هو نقطة الانطلاق في البحث ، لان الرقي هو مظهر ينفرد به الانسان ، وهو المقياس الاول في تعيين المسافة التي تفصل بين فطرية الانسان وكماله . وطرحنا على بساط البحث سؤالا مفاده : هل الرقي هو وليد الازدهار المادي أم هو ثمرة المعرفة ؟ وبعد جدل اعترفنا بالتأثير المتبادل بين العاملين ، مع الاحتفاظ للمعرفة بالمقام الاول .

فالمعرفة هي الحافز الفعال للاختراع ، والاكتشاف ، وهي الدافع الاكبر للنهضات الصناعية ، والزراعية ، والفنية . المعرفة هي قوة جبارة تسخر كل شيء في سبيل سعادة الانسان وخيره . المعرفة هي الباعث القوي للتسامي والحب والفضيلة ، كما ان النار هي الباعث للضياء والنور . ولكن كيف يتاح للمرء الحصول على اسباب المعرفة ؟

قلنا بهذا الصدد ان للمعرفة تيارا كبيرا ، ولهذا التيار روافد متعدده ، فالتيار الكبير هو المطالعة المستمرة ، والروافد هي ما يكسبه المرء من معرفة عن طريق السمع والبصر في شتى الاشكال والصور . ولما استعرضنا حالة هذا التيار ، تيار المطالعة في المحيط العربي ، اتضح لنا انه لا يسير في مجراه الطبيعي ، ويعود السبب في ذلك لافتقارنا الى سياسة توجيهية في تحبيب المطالعة الى الصغار ، والاحداث ، والشباب . وأهم أمر في هذا المضمار هي المكتبة البيتية التي تتضمن المختار من كتب مفيدة تزيد في معارف اعضاء الاسرة ، وتوسع مداركها ، وتساعدها على التمتع باكبر قسط من الرخاء المادي . فما الغاية من ايجاد المكاتب في البيت العربي ؟ ..

الغاية منها اولا : ان تنمي في النشء ملكة الخيال ، ثانيا : ان تنمي فيهم ملكة التعبير ، ثالثا : ان تقوم خلقهم وتهذب اذهانهم ، رابعا : ان تحبب المطالعة الى نفوسهم ، خامسا : ان تجلب لهم الفائدة والمتعة ، سادسا : ان تضاعف فيهم قوة الاستيعاب والاستفادة مما يطالعونه .

فالطفل مثلا يتدرج في مكتبته من السهل الى الصعب ، ويزيد ولعه بالمطالعة ، ويصبح قادرا على فهم الاساليب الادبية عن أبسط الطرق وايسرها ، ثم انه اذا صار يقرأ جيدا فانه يفهم جيدا ما يقرأه ويتعمق فيه . والقراءة البيتية تعين الطفل ، والحدث ، والفتى على تثقيف لفظه ، كما تعينه على الكتابة الصحيحة ، وكلما ضاعف مطالعاته قويت فيه ملكة القراءة المدركة ، وهي مفتاح

القراءة التحليلية . وكثرة المطالعة البيتية تثير فيه الاهتمام في الموضوع الـذي يطالعه ، فيشرع في التساؤل والاستفهام عما تعذر عليه فهمه ، وتفتح امامه عوالم جديدة لا يراها في مدرسته فيعتاد على التفكير فيما يطالعه ، واجهاد العقل لفهمه والتحسس به .

وللمطالعة البيتية اثرها الكبير في حيـاة الطفل والحدث والفتى المدرسية . والامـر المؤسف له حقا ان المربين قلما يتساءلون مـاذا يطالع تلاميذهم في بيوتهم ، وكيف يحصلون على الكتب التي هم بحاجة اليها ، وكيـف يقضي الطلاب اوقات فراغهم ، فهذه المعلومات عن كل طالب وطالبة تسهل على المربي فهـم تلميذه وتمكنه من تحديد ما يفرضه عليـه من واجبات .

والواقع يتطلب من المربي ان يستفسر مـن تلميذه عن الكتب التي يميل الى مطالعتهـا في بيته ، اهي تآليف في الفنون الادبية مثل القصص والروايات والحكايات والقصائـد أم هي كتب علمية وفنية ككتب الفلـك والطبيعيات والراديو والطيران ، أم هي كتب تصف الحقائق والخيالات ، أم هي كتب تتحدث عن الماضي والحاضر والمستقبل ، أم هـي دواوين شعرية وتآليف نثرية ؟ . ثم يجـدر بالمربي ان يعرف من تلميذه ما هي الكتـب التي طالعها .. وما هي الكتب التي يؤثرها على غيرها .. وما هي الكتب التي يريـد مطالعتها في الوقت الحاضر ؟.. وكم هـو عدد الساعات التي يستغلها الطالب فـي المطالعة ، او الاستمـاع الى الاذاعات ، او الذهاب الى دور السينما .. باستثناء مـا هو مطلوب منه لاعداد دروسـه في البيت ؟ والقصد من هذا التحقيق هو تنظيم ساعات الناشيء خارج المدرسة ، وتحديد الاوقات اللازمة للقيام بواجباته المدرسية ، والترفيـه عن نفسه .. وتكملة ما ينقصه من معرفة عن طريق المطالعة في مكتبة البيت .

واتفق رأينا على ان هذا التحقيق لن يتم على الوجه الاكمل ، الا اذا تضافرت جهـود المسؤولين عن تربية التلميذ في المدرسة والبيت بالاضافة الى تعاونهم الوثيق مع اصحـاب المكاتب الراقية للحصول على المعلومات الدقيقة عن احدث الكتب المفيدة . وخلصنا في ختـام المناقشة الى القول بان المحيط العربي بحاجة ماسة الى مكاتب عصرية تحترم الكتاب وتحببه الى نفوس القراء . وان بيوتنا لا بد وان تتزود بمكتبات ثابتة ننهل منها كل ما نحتاج اليه من علم ومعرفة بالنسبة لمختلف الاعمار . وان علينا مناقشة كل كتاب يدخل الى بيوتنـا كما نناقش الافلام السينمائية . واخيرا علينا ان نخصص لمكتبة البيت ميزانية كما نخصص ميزانية لمشاهدة الافـلام وابتياع اوراق اليانصيب .

وقبل ان تنفض الحلقة قال احد الاخوان وهو يقلب صحيفة بين يديه : هذا خبـر له علاقة بالموضوع الذي بحثناه .. لقد انشئت مؤسسة جديدة من مهامها العمل على ترويج الكتاب العربي المفيد ، وتيسير ادخاله الى كل منزل ومعهد في كل قطر من اقطارنا العربية بالتعاون مع ارقى المـكتبات .. اما تلـك المؤسسة فهي « مؤسسة المطبوعات الحديثة » التي ستباشر نشاطها منذ مستهل العـام الجديد . وقررنا بالاجماع ، بعد الاستمـاع الى هذا الخبر ، ان تكون جلستنا الثانية في مكتب هذه المؤسسة .

نجاتي صدقي



انمـاء حقـل السفانية

الظهران – المملكة العربية السعودية – انجز نحو ٥٠ بالمائة من اعمال الانشاء في مشروع انماء حقل السفانية ، وهو المشروع الذي تقدر تكاليفه بـ ٢٠ مليون دولار والذي سيتيح عند اكماله البدء باستخراج الزيت من حقل السفانية المغمور بمياه الخليج العربي، وزيادة محصول الزيت الخام في المملكة العربية السعودية بمقدار ١٢٠,٠٠٠ برميل في اليوم.

ومن شأن هذا المشروع ان يربط حقـل السفانية باعمال الزيت الاخرى التي تقـوم بها شركة الزيت العربية الامريكية (ارامكو) . وتقع السفانية على بعد نحو ٣٠٠ كيلو متـر الى الناحية الشمالية من مدينة الظهـران ، المقر المركزي العام للشركة .

ويشتمل مشروع الانماء هذا على بناء قواعد للسفر البحري وفرضة للمراكب ومستـودع مركزي لمنتجات الزيت وشبكة مجمعة مـن انابيب الزيت ومعمل لفرز الغاز من الزيـت ومرافق للسكن والمواصلات واخرى لضـخ الزيت ومد خط انابيب طوله ١٤٠ ميـلا (٢٢٤ كيلو مترا) .

وسيوصل هذا الخط حقل السفانية بمصفاة ارامكو في راس تنورة كما انه سيكون اطـول خط في داخل المملكة العربية السعودية ، اذ فيها يبدأ وفيها ينتهي . وقد توجب عـلى الشركة قبل ان تقدم على البدء بانشاء الخط، بناء مرافق في راس تنورة لتلحيم قطـع الانابيب من طرفيها (أي وصل كل قطعتـين منها معا) وطول الواحدة منها في الاصل ٤٠ قدما وقطرها ٢٢ بوصة ، وذلك يصبح طـول القطعة الموصولة ٨٠ قدما . وقد اتخذ هـذا الاجراء لتخفيض عملية التلحيم الى نصـف ما تستلزمه لو انها جرت كلها في مواقع العمل التي يمر فيها الخطـ . ولما كانت القطـع الموصولة تزن كل منها طنين وربع الطن فـان الخط الجديد سوف يتطلب ، في تقديـر الخبراء ، استخدام ٢١,٠٠٠ طن من الانابيب.

وقد اعترض بناة الخط ، اثناء تقدمهـم شمالا من راس تنورة باتجاه حقل السفانية وعلى موازاة الخط الساحلي للخليج العربي، عقبات طبيعية تعرف بالاراضي السبخة . وهي جيوب من رواسب طينية تصبح رخـوة بارتفاع منسوب المياه المحيطة بها فيتعـذر معها بالتالي طمر الانابيب في الارض . وقـد آل ذلك الى مد قسم من الانابيب فوق سطح الارض على ركائز من الصلب .

وقد ابتدع الخبراء المهندسون وبنـوا جهازا خاصا للحفر لدك الركائز الفولاذية على نحو مجد فعال . ففي السفانية انجز نحو ٦٥ بالمائة من اعمال انشاء قواعد الحفر البحري وشبكة انابيب التجميع . وسوف يتطلب المرفق البحري زهاء ٤٠ ميلا من انابيـب الخط الرئيسي ذات الست عشرة بوصـة ومن شبكة انابيب التجمع ذات الســت بوصـات .

ويجري مد الخط الرئيسي وخط التجمع في الخليج بواسطة عوامة (مركب) ضخمة تتولى انزال خط الانابيب الى قاع البحر .

ويتسم بناء خط السفانية بميزة هامـة اخرى هي تسليط اشعـة « اكس » عـلى وصلات التلحيم للتثبت من عدم وجود خلـل فيها . وهي المرة الاولى التي تستخدم فيهـا تجهيزات اشعة « اكس » الخاصة بالانابيب في المملكة العربية السعودية .



٢٠ نوفمبر ١٩٥٦ – اعلن المستر داغ هامرشولد بعد عودته الى امريكا انه يقترح وضع القوة الدولية على الحدود المصرية الاسرائيلية وتقديم مساعدات لمصر بواسطة هيئة الامم لتنظيف القناة .

– قرر مجلس النواب الاردني مطالبة الحكومة بتبادل التمثيل الدبلوماسي مع الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية وبالغاء معاهدة ١٩٤٨ الاردنية البريطانية .

٢١ – عين الجنرال نورستاد قائد السلاح الجوي الامريكي قائدا اعلى لقوات حلف شمالي الاطلسي

– اعلن الاميرال ستومب قائد القوات البحرية الامريكية في المحيط الهادي ان القطع البحرية المزودة بالاسلحة الذرية تتجمع الان لتعزيز الوسائل الدفاعية بعد ان تم وضع الاسطول في حالة الطوارىء

– اعلن في موسكو تعيين الرفيق مولوتوف في منصب الوزير المراقب لاعمال الدولة بالاضافة الى منصبه الحالي نائبا لرئيس الوزراء .

٢٢ – ابلغت فرنسا وانجلترا واسرائيل امانة الامم المتحدة انها بدات تسحب قواتها من مصر حالا وقد اشترطت الدول الثلاث تنفيذ امور معينة قبل سحب قواتها تماما ونهائيا .

٢٣ – *انتهى مؤتمر الدول الاسلامية الاربع* في ميثاق بغداد واصدرت بلاغا اكدت فيه التوصيات التي صدرت عنها في مؤتمر طهران كافضل اساس لتسوية مشاكل الشرق الاوسط كما استعرضت مقررات مؤتمر الملوك والرؤساء العرب الذي عقد في بيروت فوجدتها متفقة مع ارائها ثم استعرضت باهتمام الاعمال التخريبية المتزايدة في الشرق الاوسط وقررت اتخاذ الاجراءات الضرورية بما يتفق وميثاق الامم المتحدة

– سافر رئيس الحكومة البريطانية انطوني ايدن الى جاميكا للراحة عملا بنصيحة الاطباء

– يستمر وصول قوات الطوارىء الدولية الى مصر .

– صدق البرلمان الفرنسي معاهدة الصداقة الفرنسية الليبية المعقودة قبل عدة شهور وهي تنص على انسحاب القوة الفرنسية المرابطة في ليبيا .

– اعلنت حكومة بودابست ان رئيس الوزراء السابق ايمري ناجي وعددا من وزرائه الذين كانوا قد لجاوا الى السفارة اليوغسلافية قد غادروا المجر الى رومانيا بصحبة عائلاتهم .

– تقدمت ٢٢ دولة تؤلف الكتلة الاسيوية الافريقية بمشروع الى الجمعية العمومية للامم المتحدة يدعو بريطانيا وفرنسا واسرائيل الى الامتثال فورا لمقررات الامم المتحدة والانسحاب من الاراضي المصرية

٢٤ – اعلنت وزارة الخارجية البريطانية ان مصر أنذرت الرعايا البريطانيين والفرنسيين المقيمين فيها بوجوب مغادرة البلاد خلال عشرة ايام .

– وصل الجنرال اسكندر ميرزا رئيس جمهورية الباكستان الى الرياض وقد جرت له مع الملك سعود محادثات هامة

– قدمت يوغسلافيا احتجاجا شديد اللهجة الى المجر بشان اختطاف رئيس الحكومة المجرية السابق ايمري ناجي ورفاقه بعد ان تعهدت المجر بالسماح لهم بالعودة الى بيوتهم فنكست بتعهداتها وتطالب يوغسلافيا بالافراج عنهم والا تعرضت العلاقات بين البلدين الى التردي .

٢٦ – اعلن ملك ليبيا ادريس الاول تعيين ابن عمه الامير حسن رضا وليا للعهد ملغيا بذلك مجلس الوصاية وانه يريد تعديل المعاهدة الانجليزية الليبية باقرب وقت .

– قررت تركيا سحب سفيرها من اسرائيل

– طلبت العراق رسميا من الولايات المتحدة تزويدها بالمزيد من الاسلحة الدفاعية وفيها الطائرات والمدافع المضادة لها .

٢٧ – اعلنت الحكومة الاردنية في بيانها الوزاري انها ستبادر بالتفاهم مع الشقيقات التي عرضت المعونة العربية لاتخاذ الخطوات التي تكفل انهاء المعاهدة البريطانية الاردنية .

– طالب مندوب مصر في الجمعية العامة للامم المتحدة دعوة مجلس الامن للاجتماع لبحث رفض المعتدين على مصر الانسحاب وتطبيق العقوبات العسكرية والاقتصادية عليهم كما طالب بتعويض مصر عن الاضرار التي لحقتها .

٢٨ – اعلنت وزارة الخارجية الامريكية ان الاتحاد السوفياتي استمر في ارسال المعدات العسكرية الى سورية على الرغم من قرار الامم المتحدة بعدم ارسال الاسلحة الى الشرق الاوسط .

– انسحبت قوات بريطانية وفرنسية جديدة من بورسعيد ويستمر وصول القوات الدولية .

– صرح سلوين لويد وزير خارجية بريطانية اثر عودته من الامم المتحدة بان الخلاف لم يسو بعد بين انجلترا وامريكا .

– وصل الى نيودلهي رئيس وزراء الصين الرفيق شو ان لاي في زيارة رسمية للهند وهي حلقة من سلسلة زيارات سيقوم بها لبورما وباكستان .

– اعلنت القيادة الفرنسية في الجزائر ان معركة عنيفة نشبت بين قواتها وقوات المجاهدين بالقرب من حدود تونس . ومما يذكر ان المعارك مستمرة في مختلف انحاء الجزائر .

٢٩ – صدر بلاغ عن وزارة الخارجية الامريكية تؤكد فيه الولايات المتحدة تأييدها التام للجهود الجماعية التي تقدم بها كل من تركيا وباكستان والعراق وايران للمحافظة على استقلالها وسيادتها ان أي تهديد لسلامة اراضي هذه الدول او استقلالها السياسي ستنظر اليه الولايات المتحدة بمنتهى الخطورة

– أعلمت امريكا بريطانيا وفرنسا بانها قلقة من تدهور علاقاتهما معها ومع ذلك فانها مستعدة لتزويدهما بالبترول على ان تكتفي حاليا باعلان رسمي يصدر عن الدولتين يؤكد عزمهما على الانسحاب بصورة قاطعة من مصر .

٣٠ – قدم داغ هامرشولد السكرتير العام للامم المتحدة تقريرا الى الجمعية العمومية يعلمها ان المجر لم ترد على مذكراته العديدة التي يطالب فيها بالسماح لمراقبين دوليين بدخول المجر تنفيذا لمقررات الامم المتحدة وهو لذلك لم يتمكن من ارسال المراقبين لمراقبة الحالة .

– قام جماعة من الثوار بمحاولة للاستيلاء على الحكم في جمهورية كوبا في امريكا اللاتينية واعتقال رئيس الجمهورية فولغنسيو باتيستا واذاع قائد الجيش انه يسيطر على الحالة ويتعقب الثائرين انصار الزعيم فيديل كاسترو الذي فر من البلاد في يوليو الماضي على أثر محاولة انقلاب قام بها .

– بدات في لندن المحادثات التركية البريطانية الخاصة بالشرق الاوسط .

– يستمر وصول القوات الدولية الى مصر واصبح عددها الان ١٦٠٠ جندي ودخلت القوات الدانمركية الى المنطقة الحرام في بور سعيد واخذت مراكزها امام المواقع البريطانية .

اول ديسمبر ١٩٥٦ – صرح كريستيان بينو وزير خارجية فرنسا بعد المحادثات السرية التي قام بها مع المسؤولين في لندن بان فرنسا

المصرية قبل ان تسحب بريطانيا وفرنسا قواتهما من منطقة القنال .

ـ اعلم مندوب اسرائيل في الامم المتحدة الامين العام داغ همرشولد ان حكومته سحبت فوجا اخر من الاراضي المصرية وان الجيش الاسرائيلي المرّابط في سيناء سينسحب الى مسافة ٥٨ كيلو مترا من ضفة القناة الشرقية .

٣ ـ اعلن سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية وكريستيان بينو وزير الخارجية الفرنسية في لندن وباريس في وقت واحد قرار حكومتيهما بالانسحاب حالا من مصر وتكليف هيئة الامم تنظيف قناة السويس باسرع ما يمكن .

٥ ـ بدأ انسحاب القوات البريطانية والفرنسية باعداد كبيرة من منطقة القناة .

٦ ـ قال شو ان لي رئيس الحكومة الصينية في تصريح له اننا مقتنعون بوجوب عودة شاي كاي شك واعضاء كتلته الى الوطن الأم واننا نأمل ان يفعلوا ذلك .

ـ اعرب الرئيس تيتو عن رضاه للمحادثات اليوغسلافية اليونانية التي تجري في بلغراد وقد صرح بذلك في حفلة اقيمت لقسطنطين كرامانليس رئيس الوزارة اليونانية .

٧ ـ عادت القوات المصرية الى احتلال صحراء سيناء وكانت طلائع القوة من القوات الالية يتقدمها عدد من قوات الامم المتحدة .

٨ ـ قررت الحكومة العراقية سحب قواتها من الاردن فورا بناء على طلب الحكومة الاردنية وكانت هذه القوات قد دخلت الى الاردن تلبية لطلب الحكومة الاردنية لاحباط المحاولات العدوانية التي تقوم بها اسرائيل .

فاجأت اسرائيل العالم بشروط اعلنت ان لا بد من تحقيقها قبل ان تسحب قواتها من منطقتي سيناء وغزة ، وهي منع استعمال غزة وسيناء للهجوم والسماح لسفن اسرائيل باستعمال القناة .

٩ ـ اعتقلت الحكومة الارجنتينية ١٩ جنرالا نتيجة لازمة وقعت في الجيش وتلا ذلك حدوث تغيير جذري في القيادة العليا اسندت فيه المناصب الى الكولونيلات الشبان .

١٠ ـ تجددت الثورة والاشتباكات في المجر وقد دعا مجلس اتحاد نقابات العمال كل عمال المصانع ووسائل النقل الى اعلان الاضراب يومين احتجاجا على عدم تلبية مطالب الاتحاد وعلى اعتقال عدد من زعمائه وقد اعلنت الحكومة حل مجلس الاتحاد وفرض الاحكام العرفية .

١١ ـ أكد وزير الدفاع الاردني ان قرار الحكومة الاردنية بطلب سحب القوات العراقية من الاردن لا يشمل القوات السورية والسعودية

١٢ ـ اعاد الاتحاد السوفياتي واليابان رسميا العلاقات الدبلوماسية بينهما وانهيا حالة الحرب التي قامت بينهما مدة احدى عشرة سنة واربعة اشهر .

ـ أقر مجلس الامن الدولي بالاجماع قبول اليابان في عضوية الامم المتحدة

ـ كشف الامين الاول للحزب الشيوعي في ليتوانيا عن قيام اضطرابات فيها وقال انه تحت تأثير احداث المجر حاولت عناصر رجعية في ليتوانيا ان تثير الشقاق محرضة الشعب ضد الروس .

١٣ ـ قررت الهيئة العامة للامم المتحدة لوم الاتحاد السوفياتي واعتباره مسؤولا عن المجزرة التي جرت في المجر وخرق ميثاق هيئة الامم المتحدة وكانت الولايات المتحدة قد قدمت مشروع قانون بهذا المعنى .

ـ اقر مجلس حلف شمال الاطلسي منهجا عاما للسياسة الغربية ايد فيه اماني شعوب اوروبا الشرقية للتحرر والاستقلال ولكنه تعهد بعدم الدخول في حرب مع الاتحاد السوفييتي لتحرير تلك الشعوب .

١٤ ـ وافق برلمان مقاطعة السار على الانضمام الى الجمهورية الالمانية الفيديرالية .

ـ الغي السابع من نوفمبر وهو ذكرى ثورة نوفمبر في روسيا من قائمة الاعياد الهنغارية واعادت الحكومة الى القائمة عيد الميلاد واثنين الفصح و ١٥ مارس الذكرى السنوية للثورة الهنغارية سنة ١٩٤٨ معتبرة اياها اعيادا وطنية .

ـ اعلنت الولايات المتحدة انها شحنت الى اوروبا الغربية ١٤ مليون برميل من بترولها منذ اقفال قناة السويس .

١٥ ـ رفضت الحكومة اليونانية دستور قبرص الذي قدمه وزير المستعمرات البريطاني لينوكس بويد اذ انه لا ينص على تطبيق حق الشعوب في تقرير مصيرها ، في مهلة معينة في قبرص .

١٦ ـ بعد صمت دام سنتين القى نوري السعيد خطابا على الشعب العراقي استغرق ساعتين روى فيه للمرة الاولى جوانب الازمة العربية من وجهة النظر العراقية وهذا ما يجعل اهمية تاريخية للخطاب من حيث كونه مرافعة عامة بسط فيها رئيس الحكومة العراقية مبررات السياسة التي يسير عليها

ـ وصل الى وشنطن البانديت نهرو رئيس حكومة الهند في زيارة رسمية لامريكا .

ـ وصل الى فرصوفيا وزير خارجية السوفييت ديمتري شبيلوف ووزير الدفاع الماريشال جوكوف وقاما بمحادثات مع زعماء بولونيا بشأن وضع القوات الروسية المرابطة في بولونيا وقد وقع اتفاق بين الجانبين .

ـ عاد العمال المضربون في المجر الى اعمالهم بعد اسبوع من الاضطرابات والاشتباكات .

١٩ ـ وصل الى كراتشي رئيس وزراء الصين الشعبية شو ان لاي في زيارة رسمية لباكستان .

٢٠ ـ انتخبت الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة كل من العراق وكولومبيا واسوج لعضوية مجلس الامن الدولي لمدة سنتين .

٢١ ـ القى السيد سليمان النابلسي رئيس وزراء الاردن خطابا هاما اكد فيه قرب الغاء المعاهدة البريطانية ونيل المساعدة المالية من مصر وسوريا والسعودية ويعتبر الخطاب في مجمله كرد على خطاب السيد نوري السعيد رئيس الحكومة العراقية .

٢٢ ـ قدم السيد صبري العسلي رئيس الوزارة السورية استقالته .

ـ اذاعت النيابة العامة العسكرية في دمشق قرار الاتهام المتعلق بقضية « تهريب الاسلحة الى سوريا » والقرار يتهم ٤٧ شخصية بالتحريض على اثارة العصيان المسلح ضد الحكم القائم ودس الدسائس لمصلحة الاجنبي ومن بين المتهمين عدة وزراء سابقين ونواب حاليين وضباط بينهم اديب الشيشكلي والمتهمون بعضهم في السجن وبعضهم تمكن من مغادرة سوريا .

ـ تم انسحاب القوات البريطانية والفرنسية من الاراضي المصرية

٢٣ ـ اعلنت الحكومة الاندونيسية ان جماعة من ضباط الجيش استولت على الحكم في جزيرة سومطرا واعلن راديو سومطرا ان الضباط استولوا على الحكم بسبب الحالة الاقتصادية البائسة وانهم مستعدون لاعادة مقاليد الامور الى الحكومة المركزية عندما تجاب مطاليبهم .

٢٤ ـ صدر في كراتشي بيان مشترك عن محادثات شوان لاي وحسين سهروردي رئيس وزراء باكستان اكد فيه الرئيسان انه لا توجد أي مصالح متضاربة بين البلدين وان قيام بعض الخلاف في وجهات النظر بشأن بعض المشاكل العالمية لا يمنع البلدين من تقوية اواصر الصداقة بينهما .

٢٦ ـ اعلنت الحكومة المصرية ان الاتفاق قد تم بينها وبين المستر هامرشولد على جميع النقاط والاسس المتعلقة ببدء اعمال التعزيل في القناة لاعادة فتحها للملاحة .

مطبعة الشراع
بيروت ـ الحازمية